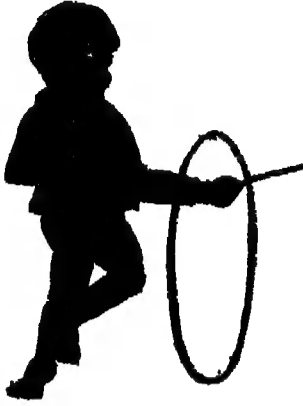




CΣΛ

قررت وزارة المعارف العمومية تدريس هذا الكتاب بمدارسها



تربية الطفل
وَمَبَادِي عِلْمِ النَّفْسِ

ألفه

بتكليف خاص من وزارة المعارف

محمد طامل النحاس
مدرس بمعهد التربية للبنات

إملى عليه المسبح
مفتشة بوزارة المعارف

الدكتور أحمد شاهين
طبيب ومدرس بمعهد التربية للبنين

براجة ييومي سليمان
مدرسة بمعهد التربية للبنات

حقوق هذه الطبعة محفوظة للمؤلفين

مقدمة

إن التربية القويمة هي أعظم ما يحتاجه أى شعب فى أى عصر حتى ينهض ويسمو إلى أعلا الدرجات .

ذلك لأن التربية تتعهد للنشء منذ أن يوجدوا فى هذه الحياة ، حتى يجتازوا مراحل نموهم أقوياء الجسم ، أصحاب العقل ، كاملى الخلق ، فيكوّن مجموعهم شعباً قوياً عظيماً .

ولقد فكر الناس فى وسائل التربية منذ أن وجدوا على سطح البسيطة . واختلفت وسائلهم تبعاً للأغراض السائدة التى وضعها المربون وأولو الأمر نصب أعينهم ، فى عصور الإنسانية المتعاقبة .

ففى العصور القديمة ، لم يكن غرض التربية أكثر من أن يُمهّد للإنسان سبل العيش ، والحصول على الطعام ، واثقاء شروخ الأخطار فى الحياة .

ثم تعقد الغرض وسما عند ما تكونت مجتمعات منتظمة اندمج فيها الإنسان وسار له بها وظيفة خاصة . واصطبغت أغراض التربية بما تكوّن فى هذه المجتمعات من مثل عليا . فكان غرض التربية عند بعض القوم أن ينشأ الإنسان نشأة حرة . ولذلك اتجهت أساليبها نحو تكوين الفرد تكويناً حريياً بتقوية جسمه ، وزيادة تحمله . وكان غرضها عند البعض الآخرين أن ينشأ نشأة دينية ، فأخذت التربية إذ ذاك مسالك روحانية ، وعملت على أن يرقى الفرد فوق الماديات .

وفى القرن الثامن عشر علت صيحات العلماء ضد التعصب فى التربية ، ونادوا بوجوب اعتبار الفرد إنساناً من جهة . وإنساناً اجتماعياً من جهة

أخرى ، فينبغي لذلك أن تتكون فيه شخصية خاصة على أساس من ميوله ونزعاته ، حتى ينعم في هذه الحياة ويسعد . كما يجب أن تكون هذه الشخصية اجتماعية ليحيا سعيداً في مجتمعه ، ويعمل لرفيه .

ولقد أدت تلك الصيحات إلى دراسة الفرد دراسة تامة ، والبحث فيما ورثه من قوى ، وفي العوامل التي تؤثر فيه حتى تستطيع التربية في ضوء كل هذا أن تشيد صرحه على أساس عملي متين ، لا على افتراض الفروض وإقامة النظريات العامة . وتكون من مجموع هذه الدراسات والأبحاث علم النفس الحديث الذي تستقى منه التربية الجديدة أساليبها ووسائلها ومناهجها .

تلك هي نواة بحثنا في مؤلفنا « تربية الطفل ومبادئ علم النفس » الذي نتقدم به إلى جميع المربين . ولقد تكلمنا فيه عن التربية وأقسامها وعواملها المختلفة ، وعن علم النفس ومباحثه وميول الفرد وما يصيبها من تغير وتطور ، حتى يستطيع المربي أن يقف على تكوين الطفل بوجه عام ، وأن يعرف أهم ما يؤثر في ذلك التكوين ، كما يأخذ منه بما يحدث في الصغير أحسن الأثر وأطيبه . ثم بحثنا في الطفل وكيفية تربيته حتى ينشأ نشأة قيّمة ؛ كذلك تكلمنا عن طرق إصلاحه إن حاد عن الطريق القويم .

ونرجو أن نكون قد وفقنا بفضل الله إلى إفادة كل من يهمهم أمر الطفل من آباء وأمهات ومعلمين .

المؤلفون

١٦ يونية سنة ١٩٣٨

الباب الأول التربية

معناها . أهميتها للفرد والمجتمع .
أنواعها ، وعواملها .

معنى التربية

لما كانت التربية مرتبطة بالحياة من كل نواحيها ، وكان رأى الناس في الحياة يختلف باختلاف وجهة نظر كل إليها ، اختلف كذلك المفكرون في أمرها . فبعضهم يعتبرها إعداد الفرد للقيام بواجباته في المستقبل ، وإدراك الغاية التي ينبغي له الوصول إليها . كأن يُهيئاً لأن يكون طيباً أو مدرساً . وبعضهم يعتبرها عملية يراد بها إظهار القوى الباطنة الكامنة في كل فرد ، واستثمارها لمصلحته ومصلحة المجتمع . كالاستفاد من غرائز الطفل وذكائه . هذا وكان كثير من المفكرين قديماً يعتقدون أن الشخص يولد وفي رأسه قوى متعددة كالخس والإدراك والذاكرة والحكم والاستنباط وغيرها . وكانت وظيفة التربية عندهم تدريب تلك القوى بتكرار تمرينها بواسطة مواد التدريس المختلفة .

أما علماء التربية اليوم فيعتبرونها عملية نفسية ، ترمى إلى إحداث أفضل ما يمكن من التغيير والتهديب في طبيعة الإنسان . لينتفع من ذلك في حياته على وجه يجعله فرداً صالحاً للمجتمع ونافعاً لنفسه . والمقصود بطبيعة الإنسان ، ما وهبه الله تعالى من غرائز وقوى واستعدادات ونزعات مختلفة . فغرض التربية اليوم ينحصر في تهذيب الغرائز والسمو بها إلى مستوى راق ، وتدريب القوى والاستعدادات الطبيعية تدريجاً ملائماً تعود فائدته على الفرد والمجتمع معاً .

وتشمل التربية جميع المؤثرات التي تعمل على تغيير سلوك الإنسان الفطري ، ورفعها إلى مستوى الإنسان الراقى ، وذلك بإعداد البيئة إعداداً صالحاً . وتعديلها تعديلاً متزاناً . يكفل للفرد النمو الطبيعي مع التهذيب .

الملائم ، والتدريب المناسب ، ليرقى جسما وعقلا وخلقا ، ويصل بالتدريج إلى أقصى ما يستطيع الوصول إليه من الكمال . فيسعد في حياته الفردية والاجتماعية على السواء .

أهميتها للفرد والمجتمع :

يولد الكائن الحي مزودا بكثير من الغرائز الفطرية ، والميول المختلفة . والقوى المتنوعة . ومن هذه الغرائز غريزة المحافظة على النوع ، وتشمل التناسل والآبوة والأمومة ومحبة الصغار وحمايتهم .

فكل إنسان أو حيوان يسعى لبقاء جنسه . والمحافظة عليه من الانقراض ، بدافع غريزي قوى ، ثم هو يحتفظ بصغاره يدافع عنها ويحميها ويعنى بها ، حتى تصبح قادرة على القيام بكل ما تتطلبه حياتها .

فالحيوان يتعهد صغاره بالرضاعة ، ثم يمرنها على البحث عن الغذاء ، والدفاع عن النفس ، إلى غير ذلك ، حتى تسلك السلوك المناسب لحياتها بدون مساعدة الوالدين . وكلنا نلاحظ أن مدة دربة الحيوان وتربيته غير طويلة . ولا تستلزم مجهودا كبيرا من الوالدين . وذلك لأن غرائز الحيوان ناضجة منذ ولادته . كما أنها ثابتة إلى حد محدود . بعكس الإنسان ، الذي هو أطول الحيوانات طفولة . وأحوجها إلى التربية . فهو الكائن الحي الذي يخلق عاجزا جاهلا محتاجا إلى من يحوطه برعايته ، ويقوده إلى الصراط السوي . ثم يتدرج في القدرة والعلم حتى يبلغ ما أعد له من الكمال على حسب استعدادده . ومقدار العناية بتربيته .

ولكى نفهم مبلغ عجز الطفل في سنواته المبكرة وأهمية تربيته ، نذكر هنا شيئا عن حياته في خلال السنوات الثلاث الأولى :

يخلق الطفل ضعيفا الجسم والعقل ، ناقص الإدراك والفطنة ؛ لا يؤتى

الكامل دفعة واحدة ، وإنما يصل إليه تدريجاً بالثريية الصحيحة والتعهد الصالح . وتتفاوت درجات نموه وكأله على حسب استعداده . وفى خلال السنوات الثلاث الأولى ، تحدث سلسلة من التغيرات تتفاوت فى السرعة والبطء . فإذا نظرنا إلى أعضاء جسم المولود ، وجدناها ناقصة غير مستكملة لنموها . ولا نجد بينها من التناسب ما نجده فى أجسام الكبار . فمثلاً نسبة حجم الرأس إلى الجسم كله . تكون أكبر بكثير فى الطفل منها فى البالغ . غير أن النمو فى هذه المرحلة الأولى من الحياة يكون سريعاً جداً .

هذا من جهة تكوين الجسم والأعضاء . أما الحواس ، فكما موجودة ، إلا أنها لا تستطيع الإدراك دفعة واحدة بعد الولادة مباشرة . أما حركات الأعضاء ، فالطفل فى البداية لا يكون قادراً إلا على بعض حركات منعكسة وغريزية كالمص والبلع فى أثناء الرضاعة ، وتحريك الأصابع والجفون ؛ وذلك لأن أعصابه وعضلاته لا تخضع فى هذه المرحلة لسلطان إرادته ، إذ أن مواطن المخ حيث لا تكون ناضجة . ثم يستطيع القيام بالحركات الإرادية تدريجاً ، فيحرك يديه ورجليه حركات إرادية غير منتظمة . ثم يستطيع استبقاء رأسه وجذعه معتدلين ، ويتمكن من تحريك يديه ورجليه حركات كثيرة ، أميل للنظام من الأولى . ثم بعد ذلك يتعلم الزحف على يديه ورجليه ، ثم المشى بعد عناية كبير ، والانتقال من مكان إلى آخر ، مما يساعد على اتساع دائرة تجاربه وخبرته ، بتأثير البيئة التى يعيش فيها ، والثرية التى يحصل عليها .

ويتأثر الطفل فى هذه المرحلة بكل ما حوله من المؤثرات الحسنة أو لردئية ، لأنه مستعد لتقليدها جميعاً ، دون أن يميز بين ما حسن منها وما قبح . فهو قابل لأن يتشكل على الوجه الذى نشأ . كما تتشكل العجينة اللينة فى القالب الذى يروقتنا .

فعلى المربي أن يعنى بتربية حواس الطفل ، وأن يكون قدوة حسنة له فى كل شيء ، لأنه مرآة تنعكس عليها صورة كل معاشريه . وكلما نمت قواه ومداركه العقلية بتدريب حواسه المختلفة والعناية بها ، ازدادت رغبته فى فهم ما حوله تلبية لغريزة حب الاستطلاع المنبثقة فيه بالفطرة . فتراه يسأل عن كل شيء يقع عليه بصره ، ويمسك كل ما تتناوله يده ، ويحاول أن يحمله ويركبه ليكشف عن سره . ويقف على حقيقته ويدرك ما خفى عنه .

من هذا يتضح لنا أن حياة الطفل ليست إلا سلسلة تغيرات متفاوتة فى السرعة والدرجة ، من حيث النمو الجسمى والعقلى . وأهم ما يجب علينا عمله هو تهيئة البيئة تهيئة مناسبة لتربية الطفل ، ثم العناية باختيار ما يناسب حال نموه ، لنسلك السبيل القويم فى تربيته التربية الصحيحة .

هذه نظرة عامة فى حياة الطفل الأولى ، تظهر لنا التغيرات التى يمر فيها فى سنواته المبكرة . ومنها نرى أن التربية ألزم للإنسان منها للحيوان ، إذ هى ضرورية لرفاهية الفرد والمجتمع .

وقد جعل الله الإنسان أطول الحيوانات طفولة ليكون لديه من الوقت ما يكتسبه من التعلم بنفسه ، مما يقوم به من التجارب العديدة فى لعبه ومرحه . ومما يكتسب من خبرة آبائه الذين يهيئون له الجو الصالح الذى يشبع رغبته . ويضمن له عيشة رغيدة فى مستقبل حياته ، مستغلا فى ذلك ما زود به من القدرة على التعلم ، والاستفادة من الخبرات السابقة .

أنواع التربية :

لما كانت التربية هى عملية التأثير بجميع المؤثرات المختلفة للوصول بالطفل إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه من الكمال كانت تشمل ما يكفل : —

- (١) نمو جسمه (التربية الجسمية)
 - (٢) تثقيف عقله (العقلية)
 - (٣) تهذيب نفسه (الخلقية)
- وهذه هي أنواع التربية الثلاثة .

وهناك تقسيم آخر لبعض المربين . فإنهم يقسمون التربية إلى فردية واجتماعية . وتشمل التربية الفردية عندهم الثلاث الأنواع السالفة الذكر (الجسمية والعقلية والخلقية) .

التربية الجسمية : وهى العمل على تنمية الجسم نموا طبيعيا سليما ، وتقويته حتى يستطيع أن ينضج بالأعمال التى تفرضها عليه الحياة الشخصية والاجتماعية ، وليقاوم الأمراض المتعددة . فسلامة الجسم ضرورة للعمل عقليا ، كما هى ضرورة لسعادة المرء وهنائه .

وليست التربية الجسمية هى العناية بالرياضة البدنية فحسب ، بل تشمل كذلك المنزل ونظام بنائه وتهويته . كما تشمل الملابس والأغذية والنوم والراحة وعدم الإرهاق وما إلى ذلك .

التربية العقلية : وهى التسليح بسلاح المعارف المختلفة المفيدة للجهاد فى سبيل الحياة ، وترقية العقل من جميع نواحيه ، وتدريبه تدريجاً منظماً على التفكير الصحيح ، وتمارين الحس على دقة التمييز ، وعلى إدراك الأشياء المحسوسة وتنظيم الذاكرة ، والتزويد بالمعلومات النافعة المناسبة لعقول الأطفال وحالة نموهم من غير إرهاق ، وتهذيب الخيال ، إذ هو عامل مهم من عوامل الابتكار والاختراع ؛ كذلك تعويد الطفل العادات الفكرية الحسنة .

والتربية العقلية لا تكون ناجحة إذا لم تكن حافزة للطفل على أن يبذل ما يستطيع من الجهد والتفكير فيما يعرض عليه ، وما يصادفه من مصاعب الحياة ، والعمل على التغلب عليها بنفسه .

التربية الخلقية : هي تربية نرمى إلى تعويد الطفل جميل الصفات كحب العمل والشجاعة والاعتماد على النفس والصبر والتعاون وغير ذلك ، فهي تعمل على ما يأتى :

١ — تعديل الميول والغرائز الفطرية .

٢ — إكساب الطفل عادات وميولا جديدة مناسبة لحاله .

٣ — تكوين عواطف سامية تجعل الفرد يميل إلى عمل الخير ، ويتبعد عن الشر ليتمكن من العيشة الهنيئة فى حياته . وبذا يعمل على ترقية المجتمع مضمحياً فى سبيل ذلك بشئ من حريته ، مفضلاً مصلحة الجماعة على مصلحته الشخصية .

هذا وإن أقسام التربية الثلاثة ليست منفصلة بعضها عن بعض ، بل هى متصلة أتم الاتصال . فالتربية العقلية الصحيحة ، هى أيضاً تربية خلقية ، لأن الأخلاق مظهر من مظاهر العقل . كذلك تأثير حالة الجسم فى العقل واضحة . ولو اقتصرنا عنايتنا على التربية الجسمية ، لنشأ الطفل كالحیوان ! أو على التربية الخلقية وحدها ، لأصبح الطفل زاهداً فى الحياة ! أو على ترقية العقل فقط ، لضعف الجسم حتى لا يقدر على القيام بما يتطلبه العقل .

هذا ولا يفوتنا أن نذكر كلمة عن التربية الاجتماعية لأن بعض المربين يعلق عليها أكبر الآمال ، لضمان سعادة الفرد وسعادة أمته . ذلك لأن الفرد إنما يعيش للمجتمع وبالمجتمع . فهو وحده بناء الأمة الى هى منبع خيره وسعادته . والأمم بأفرادها إن عملوا علت وارتفعت ، وإن أهملوا ضعفت واستكانت .

ومن أنصار هذا رأى « جون ديوى » ، المربي الأمريكى الذى تتمشى

فلسفته مع روح العصر الذى نعيش فيه . فالتربية فى نظر هذا العالم عملية اجتماعية ، الغرض منها :

(١) النمو وفقا للطبيعة ، (٢) الثقافة والتدريب ، (٣) التكوين الاجتماعى ولا بد من أن ترتبط هذه الغايات بعضها ببعض ، كى تؤهل الطفل لان يكون عضواً متوافقاً مع المجتمع الذى ينتمى إليه ، والبيئة التى يعيش فيها . كما يجب أن تكون المدرسة المكان الذى يحيا فيه الطفل الحياة الطبيعية الملائمة لسنه وعقله ، وأن تكون فى الوقت نفسه على اتصال وثيق بالمنزل والحياة العامة .

عوامل التربية :

كل مؤثر يؤثر فى الفرد . ويجعله أصلح للبيئة الطبيعية فى بيئته . يعد عاملاً من عوامل التربية والعوامل نوعان :

١ — عوامل عامة : وهى التى لا سيطرة لنا عليها فى تربية الطفل . مثل الوراثة وصحة الوالدين ومناخ القطر وموقعه ومستوى أهل الطفل المادى والاجتماعى وغير ذلك ، وهذه العوامل تارة تنفع وأخرى تضر ؛ ولهذا يجب علينا أن ندرسها . وأن نتدخل فيها تدخلاً فعلياً بقدر الإمكان حتى يتمكن الطفل من أن يستفيد منها ، وبذا يتجه المجتمع كله فى تطوره إلى وجهات صالحة .

٢ . — عوامل خاصة : وهى مختارة من بين العوامل العامة الكثيرة ، بقصد التأثير فى نفوس النشء . لإحداث تغييرات معينة لمصلحة الفرد والجماعة ، ومثلها البيت والمدرسة والمجتمع .

البَابُ الثَّانِي

التَّربِيَةُ الجِسمِيَّة

شروط النمو الجسدي الصحيح . الغذاء الصالح
للطفل . ضرورة الهواء النقي والرياضة للنمو .

شروط النمو الجثمانى الصحيح

علاقة الطفل بأمه وتأثير ذلك فى صحته

ان علاقة الجنين بأمه دقيقة معقدة لا نستطيع مهما حاولنا أن ندرك مداها ، أو نعرف كنهها على وجه التمام ، لأنها أدق كثيرا مما تتصور . غير أن ما قد يظهر على الطفل أحيانا من شذوذ جثمانى ، وما يلحقه من أمراض ، أو على العكس من ذلك ، اذا كان قوى البنية سليم الجسم ، يساعدنا على تفهم هذه العلاقة الى حد معين . ويحملنا على اعتبار الأم قلبا انسانيا يصب فيه الجنين عجيبة لينة فيتشكل الى حد محدود . ويتعين لنا من ذلك أن نوع الحياة التى تحياها الأم ، وكل ما تقوم به من مختلف الأعمال ، له كبير الأثر فى تكوين جنينها . فلا غرابة إذن أن تكون هى المسئولة وحدها أمام الله والهيئة الاجتماعية عن هذه الوديعة التى منحها الله اياها .

من أجل هذا يجب عليها أن تتحمل هذه المسئولية بصبر وجلد ، وأن تؤدى واجباتها المقدسة نحوها . ولتسكن على ثقة من أن تربية الطفل تبدأ فعلا قبل الوضع ، فعليها إذن أن تقوم بكل ما تستلزمه هذه التربية من العناية التامة بنفسها فى النواحي الآتية : —

١ — الناحية الصحية

والمقصود بذلك أن تكون صحيحة الجسم سليمة من الأمراض ، وأن تريح جسمها فتعطيه حقه من النوم والسكون ، وأن تدخر قواها فلا تقوم بأعمال مضنية ، أو حركات مجهدة . وأن تتجنب ما يسبب تعبها كالسفر الشاق ، والرحلات الطويلة ونحوها . غير أنه لا ينبغى مطلقا أن تركز إلى

البطالة والخمول والكسل ، لأن هذه قد تُنتج أمراضا عصبية ، زيادة على أنها تفسح المجال للأوهام والخيالات التي قد تؤثر في الجنين تأثيراً سيئاً . بل يجب عليها ممارسة الرياضة البسيطة ، كالتنزه والمشي والقيام بعمل تمرينات سهلة لا تستلزم مجهوداً كبيراً ، والتسلي بأنواع التسلية البريئة ، كأشغال الأبرة أو مزاوله بعض الفنون الجميلة ان استطاعت ، أو غير ذلك مما تقطع به وقتها ، في النافع المجدي . ونعود فنكرر ضرورة تجنب كل ما يهلك قواها ، ويؤثر على أعصابها تأثيراً سيئاً قد يسبب ضرراً في تكوين جنينها .

هذا ويجب عليها العناية التامة بغذائها بمعنى أن يكون بسيطاً ومضمون الفائدة ، وأن تتخذ كل ما من شأنه أن يجعل جهازها الهضمي يسير بانتظام تام ، خشية الاضطرابات والأمراض .

ويجب أن تكون معيشة الأم هادئة بعيدة عن الضوضاء والجلبة لأن هذا مما يحمل النفس على الاستقرار والهدوء . فإذا أضفنا إلى ذلك التمتع بالهواء النقي والشمس الساطعة ، فإها تجنى صحة جيدة ونفساً هادئة مستقرة ، وهذا أول ما ننشده ونأمل أن تتمتع به كل حامل .

ولا يفوتنا التنويه بما تفعله بعض الأمهات تلبية لدواعي الزى الحديث مما قد يكون له أثر ظاهر في تكوين الجنين . فالملابس الضيقة تحدث ضغطاً على البطن ، ومن ثم على الجنين ، فيحول دون نموه الطبيعي . ولهذا يجب تجنب هذه الأنواع من الملابس التي تضر بالجنين ، وتجلب المصاعب عند وضعه .

هذا ومن مستلزمات الصحة الجيدة ، دوام المحافظة على النظافة التامة سواء أكان ذلك في المنزل أم في الجسم أم في الملابس . والأم في حاجة كبيرة إلى الاهتمام بذلك .

٢ — الناحية العقلية

ليس من شك في وجود تلك العلاقة المتينة بين الأم وجنينها وليست

هذه العلاقة قاصرة على علاقة الجسم بالجسم أو الدم بالدم فحسب ، بل هي تتعدى هذا إلى العقل والأخلاق . فسكون الأم وهدوؤها واستقرار حالها وراحة فكرها وإحاطتها بجو من السرور والفرح ، يريح أعصابها ومن ثم غفلها . أما الانفعالات والأوهام والخيالات الممقوتة وكثرة التفكير ونحو ذلك ، فإن أثرها السيء في أعصاب الأم ينتقل إلى الجنين البريء ، ويؤثر في أعصابه ، ويسبب له الاضطرابات العقلية .

فعلينا إذن أن نتجنب كل ما يجهد فكرها . وأن تدع التفكير والقلق والسهر ، وأن تتسلق بشتى الطرق المسلية ، كالمطالعة السهلة البسيطة ، وممارسة الأعمال اليدوية المفيدة ، إذ أن هذا لا يريحها فقط ، بل يؤثر تأثيراً حسناً في تكوين عقل الطفل الذي تنتظره .

٣ — الناحية النفسية

عرفنا أن علاقة الأم بجنينها واسعة النطاق . وقد سبق القول أنها تشمل الناحيتين الصحية والعقلية . ونريد الآن أن نقول أنها تشمل الناحية النفسية كذلك . فإخلاق الطفل متعلقة بانفعالات أمه ، ولذلك كان واجبا عليها الاحتراس مما يثير فيها شديد الانفعالات ، فتتجنب كل ما يخيف ويرعب ، لأن ذلك ينشئه مضطرباً يذعر لأقل مفاجأة ، كما يجب أن تبعد عن النظر إلى الأشياء المرعبة ، وعن رؤية الحوادث المفجعة ، والكوارث المؤلمة ، لأن ذلك يجعل من جنينها طفلاً سريع التأثر ضعيف الإرادة .

وليست الوقائع وحدها هي التي تؤثر في النفس فتهيئ الأعصاب ، بل إن لقراءة القصص المملوءة بالحوادث كالقتل أو الانتحار أو الروايات البوليسية ، تأثيراً سيئاً جداً في تهيئ انفعالات الأم ، وكذلك سماع الأخبار المحزنة ، له أثر كبير في استيلاء السكدر والألم عليها ، ولذلك كان عليها أولاً ،

وعلى من يحيطون بها ثانياً « الترفيه عن نفسها بقدر ما يمكن ، وعدم إثارة غضبها أو تكديرها حتى تكون دائماً مسرورة هادئة .

وعما يزيد في سرورها احاطتها بالصور والتحف الجميلة التي تبعث في نفسها شعور الارتياح والاطمئنان ، ومشاربتها على التنزه والتفريح عن نفسها بشتى الوسائل الممكنة .

فإذا راعت الأم كل ما تقدم ، وقامت بكل شيء على الوجه الأكمل ، كانت الأيام كفيلة باظهار نتيجة حسنة موفقة في تكوين وليدها .

ولنوجه نظرنا إلى الوليد وإلى واجب أمه نحوه ، ذلك الواجب الذى فرضته عليها الطبيعة ، وهو العناية بأمر تربيته تربية صحيحة تضمن له صحة جسمه وعقله ، وتهيء له حياة طيبة ، وعيشة راضية في مستقبله .

الحقيقة ، إن دائرة عمل الأم قد اتسعت وانتقلت من العناية بطفلها عناية غير مباشرة في أثناء حملها ، إلى العناية والاهتمام المباشر بعد وضعه . فقد كانت من قبل تعنى بنفسها لتحفظ صحتها وصحة جنينها في الوقت نفسه . أما الآن فقد أصبح طفلها وحده يحتاج إلى عناية مستقلة زيادة على موالاة العناية بنفسها ، ومراعاة غذائها وراحتها الجسمية والعقلية ، وإتقاء أسباب الأمراض التى تهدد حياتها في ذلك الطور ، وتؤثر في صحة وليدها الذى هو تابع لها في غذائه .

هذا ومعظم وفيات الاطفال ناشئة عن جهل الامهات بالتربية الحقة ، مع أن هذه التربية في الشهرين الأولين ما هى إلا تمهيد لاطراد نمو الطفل نمواً طبيعياً بحيث يأخذ مجراه الصحيح في خلال هذين الشهرين ، مع المحافظة على الطفل من المؤثرات الخارجية التى قد تسيء إلى أعصابه وحواسه .

فكلنا يعلم أن العوامل الضرورية لنمو الطفل ونشاطه وحفظ كيانه هى الشمس والهواء النقي . والطفل بطبيعة الحال أشد تأثراً بتقلبات الجو من

الكبار . ولذلك يجب أن تكون حجرته مستوفية للشروط الصحية إلى أكبر حد مستطاع . فالتوافد ينبغي أن تكون كافية لدخول الشمس والهواء حتى يتمتع بأكبر قسط منهما ، وأن تكون نظيفة على الدوام . وبما يساعد على ذلك قلة أثاثها فنجعلها يشمل فقط ما هو ضرورى ونافع للطفل .

والنوم حياة الطفل وكيانه ولا سيما في حداثة سنه . فهو ينام كثيرا ولا يستيقظ في حالته الطبيعية إلا عندما يشعر بالجوع . ولكن من الأطفال من يسترسل في النوم إلى حد غير عادى ، وإذ ذاك يجدر بالأم أن تبادر بعرضه على الطبيب ، لبحث عما قد يكون به من العلل التى تسبب ذلك النوم الطويل . ومن الأطفال من يكثر البكاء فيمنعه ذلك عن التمتع بالنوم الذى هو فى أشد الحاجة اليه كما قدمنا ، وهنا يجب أن تتحرى أسباب ذلك وأن تعمل على إزالتها .

والطفل ينام نحو ٢٠ ساعة فى الشهور الأولى . وتقل هذه المدة شيئا فشيئا كلما كبر . فهو من ٤ — ٨ سنة تكون ١٢ ساعة تقريبا . ومن ٨ — ١١ تنقص إلى ١١ ساعة تقريبا ، وهكذا . ويجب أن يتمتع الطفل بالمدة اللازمة له من النوم . حتى يتكون جسمه تكوينا صحيحا ، وينمو نموا مطردا وتهدأ أعصابه ، ويقوى على مقاومة الأمراض .

وعلى الأم أن تعود طفلها النوم فى أوقات معينة . لما لذلك من الأثر الفعال فى مستقبل حياته .

ويجب ألا ننسى أن جسم الطفل رقيق سريع التأثر ، يحتاج إلى عناية مستمرة بنظافته أولا فأول ، لأن تراكم القاذورات عليه ولا سيما عند الثنيات ، يؤلمه ألما شديدا ، وينتهى غالبا بإصابة الجسم أو تسليخ الجلد . فإذا تراكم العدس فى عينيه مثلا ، سبب التهابا قد يودى إذا أهمل . إلى إصابة العين نفسها . ويترتب على ذلك ضعف البصر أو فقده . وكذلك الأذن فإن

تراكم مادة الصملاخ بها ، قد يؤدي الى صمم وقى يزول بازالتها ، وقد يؤدي الى نتائج أكبر خطرا .

أما الفم ، فتجب العناية بنظافته لأنه طريق الطعام إلى المعدة . ولما كان الطفل لا يقوى على « المضغضة » بنفسه ، كان واجب الأم أن تنظف له فمه قبل الرضاعة وبعدها ، حتى إذا ما أصبح قادرا على تنظيف فمه بنفسه ، أحضرت له فرجونا جيدة النوع ، وعودته تنظيف فمه وأسنانه صباحا ومساء مع المراقبة والارشاد .

هذا ويجب تعويد الطفل العادات الصحية الحسنة ، كغسل اليدين قبل الأكل وبعده ، وعدم وضع الأشياء في الفم ، وما إلى ذلك .

والأنف طريق الهواء إلى الرئتين ! فيجب أن يكون خاليا من الأقدار التي قد تسده ، فيضطر الطفل إلى التنفس من الفم وهي عادة خطيرة . ولذلك يجب أن نعمل دائما على نظافة الأنف وإزالة ما يتراكم به أولا فأول ، حتى يصل الهواء إلى الرئتين نظيفا نقيًا .

أما باقى أجزاء الجسم ، فيجب غسلها من حين لآخر مع الاهتمام بالشئيات كتحته الأبط ، وبين الفخذين وأسفل الرقبة ، وكذا فتحات الإخراج ، لأنها طالما تلوث بيول الطفل أو برازه ، وكلاهما إذا ترك سبب التهاب الجلد . لذلك تجب مراعاة النظافة التامة فيها ، ومسحها بأحد المساحيق الجيدة النوع .

وإذا ما ترعرع الطفل وجب على الأم تعويده النظافة ، وإرشاده إلى اتباع القواعد الصحية بنفسه ، ومراقبته مراقبة دقيقة حتى يصبح ذلك عادة فيه .

ملابس الطفل

يجب قبل كل شيء ألا ننسى أن الملابس بنوعها ، لا بكثرة . لأن السكثرة الزائدة تضيق الطفل ، وتعوق نموه الطبيعي ، وتعرقل عملية التنفس وغيرها .

من الوظائف العضوية الضرورية . وكلما كانت الملابس بسيطة ملائمة للجو ،
تحقق الغرض المقصود منها ، وهو المحافظة على الطفل لا الاضرار به . ونحن
في جو دافئ كجو مصر لا يحق بنا الخوف على الأطفال منه . حقيقة أن
الطفل يولد ضعيفا سريع التأثر ، ولكن هذا ليس معناه أن نبالغ في التحفظ
إلى الحد الذي يصل إليه بعض الناس . ونحن الآن في عصر يجب أن نقلع
فيه عن العادات القديمة الضارة . فلا داعي إذن لتقييد الطفل ، وحصر
جسمه في مختلف اللقائف ، وتقييد أطرافه ، فليس في ذلك أدنى فائدة بل فيه
ضرر شديد ، لأن هذه الأشياء تضغط على جسمه اللين ، ومن ثم على أجهزته
الصغيرة الضعيفة فتضعف حركتها ، وتعوق نموها . فيبدو الطفل ساكنا
مكتوفا محروما عما يتمتع به الأطفال السعداء من حرية وسعة وخفة
في الحركة . والواجب بطبيعة الحال أن تتطور الملابس بتطور نمو الطفل ،
كما يجب أن يكون ما يلاصق الجسم منها ناعما . أما المعاطف والأغطية
الخارجية ، فيجب ألا تستعمل الا اذا استدعى الجو ذلك . وعلى الأم
الاعتدال في إنتقائها .

تغذية الطفل

لا يخفى على أحد ما لرعاية الأم من المزايا العديدة . فكلنا يعرف ذلك
الغذاء الطبيعي الذي أعده الله لهذا الوليد الضعيف . وحسبنا أن جميع
الأمهات يرتحن إلى إرضاع أطفالهن . أما اذا عجزت احداهن عن اداء
مهمتها لسبب من الأسباب ، فانها تلجأ إلى مرضع تقوم مكانها بذلك ، أو تعتمد
إلى تغذيته بالالبان المختلفة .

ولبن الأم هو أوفق غذاء للطفل من يوم ولادته إلى وقت فطامه .
ولا غرابة ، فتركيبه يتدرج مع نمو الطفل شيئا فشيئا ، وفوق هذا فهو خال

من الجراثيم التي قد يحتويها ألبان الحيوانات . وهو سهل الهضم زيادة على أنه يحتوى على جميع العناصر اللازمة لتكوين جسم الطفل . وفضلا عن ذلك فإنه يصل مباشرة الى فم الطفل نظيفا في درجة حرارة ملائمة .

وفي الحالة التي تلجأ الأم فيها إلى مرضع لوليدها ، يجب أن تحرص أشد الحرص على انتقائها سليمة من العلل والأمراض ، وأن تغني بغذائها وراحتها ونزعتها عناية خاصة ، لأن صحة الطفل مرتبطة بصحتها .

أما مواعيد الارضاع ، فيجب أن تسير على نظام خاص ، لنأمن على الطفل من سوء الهضم والاضطرابات المعدية أو المعوية التي تنتج من إرضاع الطفل في مواعيد غير منتظمة ، أو لمجرد إسكاته عند البكاء . والواجب دائما تحديد عدد الرضعات والفترات التي بينها ، مراعين في ذلك سن الطفل وحالته الصحية من الضعف أو القوة ، وحالة لبن الأم أو المرضع من الكثرة أو القلة ، ومن الكثافة أو الخفة ، وقدرة الطفل على الامتصاص وسرعته في الهضم . ومادام الطفل يتمتع بالنشاط ويبدو عليه السرور ، ويرتاح في النوم والاستيقاظ ، وما دام يمتلئ الجسم نضير اللون ، كان لنا أن نطمئن إلى صحة النظام المتبع في إرضاعه ، وكفاية الرضاعة لجسمه ، وموافقها لسنه وحالته .

وعند ما تفكر الأم في فطام طفلها بعد ما يقل لبنها ويتغير في حوالى الشهر الثامن تقريبا ، فالواجب الاستعاضة عن بعض الرضعات بأكلات صناعية يتوفر فيها سهولة الهضم واشتمالها على المواد اللازمة للنمو ، وأن تكون ملائمة لسن الطفل وحالته الصحية ونوع الجو أيضا .

وعلى الأم إذا ما كبر طفلها أن تعود آداب المائدة ونظام الأكل ، وغير ذلك من مختلف العادات الصحية . كتنظافة الفم والأسنان . وغسل اليدين قبل الأكل وبعده ، والمحافظة على مواعيد الغذاء . ويمكن للأم أن تبدأ بغرس هذه العادات من السنة الثانية من حياة الطفل .

اضطراب نمو الطفل بسبب سوء التغذية

ذكرنا فيما تقدم أن هناك وسيلة أخرى لإرضاع الطفل من غير ثدى أمه ، تلك هي إرضاعه من الألبان الطازجة والمجففة .

في مثل هذه الحالات يجب مراعاة القواعد الصحية في التغذية الصناعية مراعاة تامة ، والحرص على عدم تلوث اللبن بالجراثيم التي قد تصل إليه من الحيوان الذي يأتي منه ، أو من الماء الذي يضاف إليه ، أو الآنية التي يوضع فيها .

وقد يتسبب عن سوء التغذية ، أو نقص بعض مواد منها ، أمراض عديدة تهدد حياة الطفل . فالأملاح المعدنية مثلاً ضرورية جداً لأنها تعمل على تكوين العصارات الهضمية ، وتقوية العظام والأسنان والأظافر . والفيتامينات ، من أهم المواد التي يحتاج الجسم إليها ، فاللبن الذي يفقد الفيتامين يصير قليل الفائدة إن لم يكن عديمها . وقد دلت التجارب على أن فقد اللبن للفيتامين يؤدي بالاطفال إلى الكساح ولين العظام ، كما يضعف مقاومتهم للأمراض الفتاكه . والفيتامين هو القوة التي تجعل الجسم قادراً على الارتفاع بالغذاء ، لأنها تجعل الغذاء صالحاً لتكوين الجسم . فلا شك إذاً أن له أهمية عظيمة جداً في نمو الطفل وحفظ صحته .

هذا وسوء التغذية يؤثر على تكوين الطفل العقلي ، لارتباط نمو الطفل الجسمي بالعقلي ، فقد يتسبب عنه التأخر في المشي والكلام وغيرهما .

وهناك عادة ذميمة عند كثير من الأمهات ، وهي محاولة إسكات الأطفال الصاخبين بوضع الحلبات الصناعية في أفواههم . وليس هناك من فائدة تجنيهاً الأم من وراء ذلك إلا أن تسكت بكاء الطفل المرتفع الذي قد يكون متسبباً

عن ألم في جسمه، أو شعور بعدم الراحة . ولهذه العادة أضرار كثيرة .
فالحملة التي يهتمها الطفل تكون معرضة للهواء الملوث بالأتربة ، والذباب
الحامل للجراثيم ، فيتعرض الطفل بسببها للعدوى بالأمراض . هذا فضلا
عن أن حركة الامتصاص هذه تشوّه تكوين الفم والحلق .

وليس هذا كل ما يجب علينا أدائه نحو صحة الطفل ، بل أن هناك علاوة
على التغذية والنوم والملابس شيئا آخر له أثره الكبير في تكوين الطفل
وهذا الشيء هو ترويضه بكثرة ، ويكون ذلك بالخروج به إلى الخلوات
والأمكنة الهادئة كالحدايق والبساتين ونحوها ، التي هي في الواقع ميدان
فسيح للتعرض للشمس ، وبمجال واسع للاستمتاع بالهواء النقي العليل . على
أن الواجب أن تكرر هذه الرياضة يوميا ولا نحرم الطفل منها إلا في
حالات مرضه ، عندما يأمر الطبيب بذلك .

ويمكن أن يكون أول خروج الطفل بعد أسبوع تقريبا ، إذا ولد في
الصيف ، وبعد أسبوعين إذا ولد في الربيع أو الخريف ، وبعد شهرين إذا ولد
في الشتاء . ويحسن جداً أن يكون ذلك في عربته الخاصة إذا سمحت الحالة
المالية بذلك . ويشترط في العربة أن تكون ذات شكل بيضى ، وذات غطاء
يمكن خفضه ورفعها حتى لا يتعرض الطفل للفتح الشمس الوهاجة ، أو البرد
القارس ، أو المطر أن تغير الجو فجأة . ويجب أن تأخذ الأم أو المربية من
ملابس الطفل ما تستعمله لتغيير ما يبتل من ملبوسه ، وبذلك تتحاشى خطر
بلولة جسمه ، وتضايقه في أثناء نزهته .

ويجب أن نحرمه من كل قيد يعوق حركة أطرافه كاللفائف ونحوها ،
حتى يقوم بتلك الحركة التي تعتبر أولى تمريناته الرياضية . وعندما يستطيع
الطفل المشى والجري ، يجب أن نشجعه على ممارسة ذلك بقدر ما تسمح به
قدرته في غير ارهاق لقواه ، أى أننا نجتمع بين ركوبه العربة الخاصة وبين

مشيه قليلا ، ثم نقلال من الحالة الأولى تدريجيا ونكثر من الثانية .
ونعود فنكرر أنه من الواجب عدم اجهاد الطفل ، وأن اعطاه الحرية
فى الجرى والوثب والتنقل من مكان لآخر ، ما يكفل لنا تمرين أعضائه
وتنشيط جسمه ودورة دمه وحركات تنفسه . وعندما يبلغ الطفل الرابعة
أو الخامسة ، تستطيع أمه أو مربيته أن تدربه على أداء بعض تمارين بدنية
بسيطة جدا توضع فى قالب ألعاب شيقة ، تتضمن تحريك الأذرع والأرجل
والرأس والوسط وغيرها . وأن فى ذهاب الأطفال إلى المدرسة سيرا على
الأقدام ، ماهو كفىل بذلك . وليس من شك فى أننا إذا اتبعنا الإرشادات
السابقة ، نكون قد أدينا واجبا نحو صحة الطفل ، وضمننا له إلى حد كبير نمواً
مطردا ، وجسما سليما صحيحا ، ونشاطا وقوة ، وقدرة على مقاومة الأمراض .

وزن الطفل

وبما يدلنا على أن الطفل يتمتع بصحة جيدة ، نضارة لونه ، وامتلأ
جسمه ، وانتظام نموه ، وجودة شهيته ، وقلة مرضه ، وكثرة حركته ونشاطه
وسروره ، وقلة بكائه ، وتقدم نموه ، وازدياد وزنه .

وهذه الظاهرة الأخيرة مقياس دقيق لنمو الطفل . ولذلك كان من أهم
واجبات الأم المثابرة على معرفة وزن الطفل بالضبط لتقارن دائما بين
أوزانه فى الأوقات المختلفة ، وتتخذ الاجراءات اللازمة إذا استدعى الحال .

ويجب أن يوزن الطفل عاريا فى حجرة مغلقة النوافذ ، أو بملابس
خفيفة على شرط أن يوزن بها كل مرة ، أو توزن هى على حدة لمعرفة زنتها
بالضبط .

كذلك يجب أن يكون الوزن فى وقت معين . وفى يوم معلوم من أيام
الاسبوع بعد الرضاعة أو قبلها ، مثل ما حصل فى المرة الأولى . والغرض

من ذلك كله معرفة درجة نمو الطفل بالضبط ، حتى إذا شاهدنا نقصاً في الوزن .
 بحثنا عن العلة التي سببت ذلك النقص . والعادة أن تكون اليئات أقل
 وزناً من البنين الذين في أعمارهم . وفي الصيف يقل النمو نسبياً ، ويظهر أثر
 ذلك في الوزن . وكذلك فالطفل الذي يتغذى بالارضاع الصناعي يكون
 أقل وزناً من زميله الذي يتغذى بلبن الأم أو الموضع . وهذه ظاهرة يجب
 ملاحظتها عند الوزن .

ولا يفوتنا أن نذكر كلمة عن التسنين الذي هو حادث طبيعي في حياة
 الطفل ومظهر من مظاهر نموه .

فالأسنان تظهر في الطفل حوالى الشهر السادس أو السابع . ويتم
 بروز « الأسنان اللبنية » عندما يبلغ الطفل سنتين ونصف سنة من عمره .
 ولا داعى هنا الى الكلام عن عهد ظهورها بالترتيب ، أو موعد تبدلها
 بالأسنان الثابتة وإنما نكتفى بأن نلفت أنظار الأمهات الى أن ظهور
 الأسنان لا يستلزم مرضاً مطلقاً كما يتوهم الكثيرون منهن . وليس
 من المعقول أن يكون كل ما يصيب الطفل من الأمراض في هذه الفترة
 ناتجاً عن التسنين . وكل ما يمكن أن يعترى الصغير ، هو تهيج في الانصباب
 قليلاً ، ومعنى ذلك أن يكون الطفل كثير البكاء ، قليل النوم ، متوعل المزاج
 عندما تقترب السن من البروز في اللثة التي قد يعترىها الورم لهذا السبب .
 ويجب علينا تنظيف الفم جيداً بأحد المحاليل المطهرة الدافئة ، ومس اللثة
 المتورمة بقليل من المسكنات .

الباب الثالث

البيئـة والوراثـة

البيئة

البيئة هي كل ما يحيط بالإنسان ، وكل ما يتصل بحياته ويؤثر فيه من وقت ولادته إلى أن يموت . فالبلد الذي يعيش الإنسان فيه ، والهواء الذي يستنشقه ، والغذاء الذي يأكله ، والتقاليد السائدة في قومه ، والجماعة التي ينتمي إليها ، كل ذلك يعتبر بيئة له .
والبيئة نوعان طبيعية واجتماعية .

فالبيئة الطبيعية تشمل جميع المؤثرات التي تعمل في الفرد دون أن يكون له عليها سلطان ، ومثلها الموقع الجغرافي للبلد الذي يعيش فيه ، وأنواع الجو الذي حوله من حرارة ورطوبة وبرودة ، وصنف الماء الذي يشربه ، والهواء الذي يحيط به ، والمسكن الذي يأوى إليه .

والإنسان يتأثر إلى حد كبير بالبيئة الطبيعية . فساكن السواحل يختلفون اختلافا ظاهرا عن ساكن المدن ، وأهل القرى أحسن صحة وأهدأ مزاجا من أهل المدن ، والشعوب التي تعيش في بلاد معتدلة أنشط عقلا وأقل انفعالا ، وأضعف تأثراً بالوجدان من تلك التي تعيش في بلاد شديدة الحرارة .

والشخص الذي يأوى إلى منزل صحي توافرت فيه أسباب الراحة ، يختلف اختلافا ظاهرا في طباعه ووجدانه ومشاعره عن الشخص الذي يسكن في بقعة مزدحمة لا يتوافر فيها الشمس ولا الهواء ولا الهدوء .

والبيئة الاجتماعية عبارة عن كل ما يؤثر في الإنسان باعتباره فرداً في مجتمع من المجتمعات الخاصة كالأسرة والمدرسة ، أو المجتمعات العامة كالشعب الذي ينتمي إليه ، وما يسوده من نظام وعادات وتقاليد .

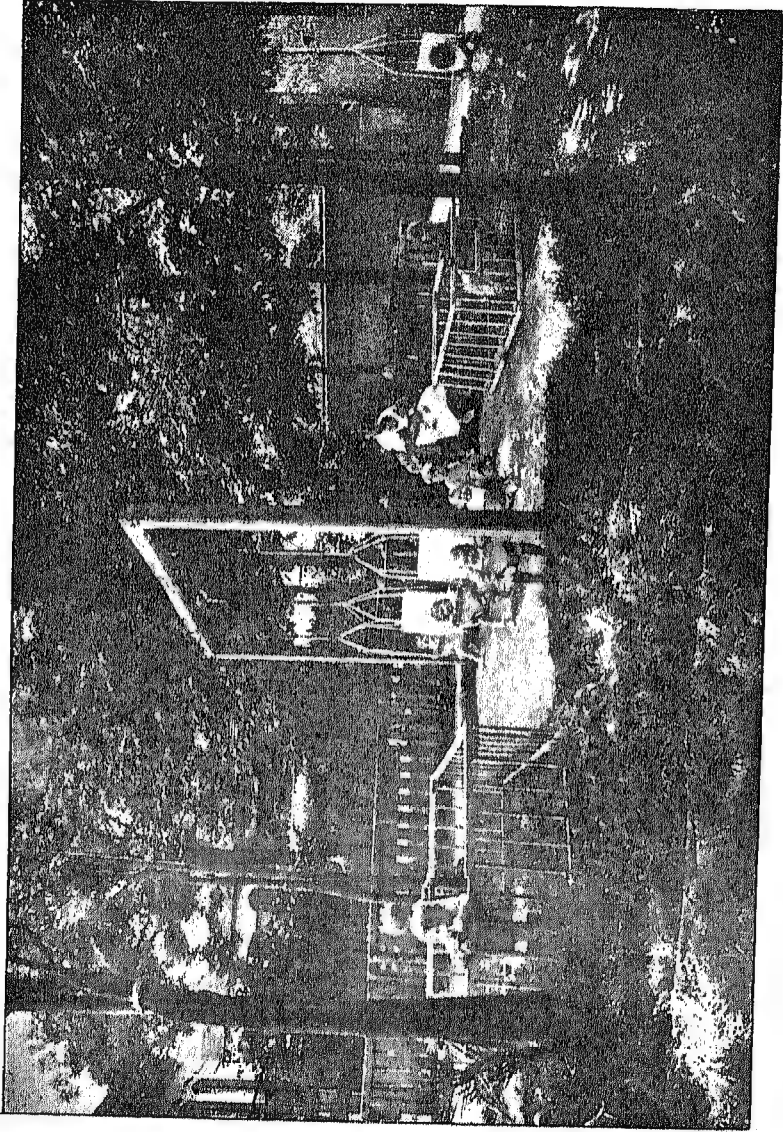
وكما يتأثر الفرد إلى حد كبير بالبيئة الطبيعية ، كذلك فهو يتأثر إلى حد بعيد بالبيئة الاجتماعية . ففقدار ما يلقاه من عطف ذويه وعنايتهم به ، وما يسود منزله من آداب وتقاليد وعادات ، والروح الذى يغلب فى مدرسيه ومربيه ، والنظم الاجتماعية فى بلده ، والقوانين التى وضعت ليسير عليها هو وعشيرته ، والدين المتمكن من نفوس من حوله ، كل ذلك وغيره يؤثر تأثيراً كبيراً فى تكوين الشخص وصوغ أخلاقه ، وبناء عاداته وعواطفه .

والمنزل هو أول بيئة تؤثر فى الإنسان ففيه يبدأ حياته ، ويمضى معظم أوقاته فى طور نموه الأول عندما يكون سهل التأثير ، قابلاً للتشكيل أكثر منه فى أى طور آخر . فلا غرو إذن أن يتأثر الطفل أكثر مما يتصور الوالدان من كل ما فى المنزل من أشخاص وأشياء ، وكل ما تقع عليه حواسه من مناظر ، ويسمعه من ألفاظ ، ويثار فيه من وجدانات وانفعالات ، ويشعر به من مختلف العواطف .

ولقد أجمع المربون على أن السنوات الخمس الأولى من حياة الطفل هى أهم مرحلة فى نشأته ، بل أن فيها يتم بناء أخلاقه . ويكمل تكوينه . والمنزل هو المكان الذى يمضى الطفل فيه تلك السنوات . فهو غالباً لا يبدأ المدرسة قبل الخامسة . ومن هذا يمكننا أن ندرك إلى أى حد يعمل المنزل فى تكوين الإنسان ، حتى أن المربين فى كثير من الممالك الغربية ينشئون مدارس لصغار الأطفال الذين لا تساعدهم بيئتهم المنزلية على النمو الصحيح والتكوين السليم ، يدخلها هؤلاء فى سن مبكرة حوالى الثانية ، يتعودون فيها العادات الصحيحة ويتعلمون فيها النطق السليم ، وتغرس فى نفوسهم بذور الأخلاق الصالحة ، ويعتنى بأجسامهم وصحتهم ، وبذلك يعوضون فى هذا النوع من المدارس المسمى «بمدارس الحضانة» ، ما لا يكفل المنزل تقديمه لهم .

فالمنزل إذن هو الذى يكون الطفل فى مبدأ الأمر وهو العامل الأكبر

— ٣٣ —



منظر في إحدى مدارس الحضانة بسويسرا

فى تشييد بنائه فيما بعد . والشعوب إنما ترتقى برقى الأسر ، وتهض على أكتاف الآباء والأمهات .

وتشارك المدرسة مع المنزل فى تربية الطفل بعد أن يقضى سنواته الأولى فيه . فهى البيئة الثانية للطفل التى تلى فى الأهمية منزله ، إذ أنها تعمل على تقوية جسمه بالألعاب والتمرينات ، وتظهر ما كمن فى نفسه من ميول واستعدادات ، وما جبله الله عليه من ذكاء ومواهب وقدرات ، فتشبعها بما يعود عليه من الخير ، وما يعده إعدادا طيبا للمستقبل عند ما ينفرد بأمور نفسه ، ويكسب عيشه ، ويتصرف فى شئونه دون سند من والديه أو مدرسيه . وهى التى على أساس ما غرسه الله تعالى فيه تكوّن أخلاقه . وتربى فيه روح المثابرة والصدق والإيثار والعدالة والتضحية للغير والمحافظة على المواعيد والتعاون ؛ وهى التى تغرس فيه العادات الجسمية الصحيحة ، فتقوى عضلاته وتنمى بدنه . وبذلك كله تهيوه لأن يعيش فى مجتمع الحياة عيشة سعيدة راضية .

من هذا كله ، نستطيع أن ندرك ما للمدرسة من عظيم الأثر فى تكوين الناشئ ، فهى إن صلحت وعملت على تربيته فى جميع نواحيه ، وأخذته بالتهذيب والتصقيل ؛ ووجدت بجانبها منزلا طيبا يعاونها فى مهمتها العظيمة ، ويسايرها جنباً إلى جنب فى تنشئة الطفل ، بعثته لنا فى الحياة فرداً قويا سليماً ، وعضواً نافعا يرقى به وبأمثاله المجتمع ، ويسمو إلى أوج الكمال المنشود .

الوراثة

الوراثة هي تلك القوة الطبيعية التي تنقل إلى الفرع صفات من أصوله الخاصة ، ومن الفصيلة الحيوانية أو النباتية التي ينتمى إليها .

أقسام الوراثة

يمكن البحث في موضوع الوراثة من نواح عدة على حسب وجهات النظر المختلفة . وأهم هذه النواحي ثلاث وهي :

أولا : يمكن تقسيمها من حيث المصدر المنقولة عنه الصفات الموروثة إلى قسمين : —

١ — وراثة نوعية ، وهي التي تنقل إلى الفرع الصفات الخاصة بالفصيلة الحيوانية أو النباتية التي ينتمى إليها ، وهي الصفات التي تتميز بها فصيلة عن سواها من الفصائل . وإن مظاهر هذا النوع من الوراثة في الإنسان كثيرة أهمها وراثة الغرائز والأمزجة الخاصة بالنوع الإنساني . فكل طفل يولد مزودا بهذه الغرائز وتلك الأمزجة عن طريق الوراثة النوعية .

ويفسر الوراثة النوعية قانونُ النظرية التلخيصية العام ، الذي ينص على أن ما يظهر في الإنسان في أثناء نموه من الطغولة إلى الرجولة إن هو إلا صورة مصغرة لتطورات الجنس البشري . فالمرحلة التي يحتازها الطفل في النمو ما هي إلا تلخيص (تحمله عليه الوراثة النوعية) لما اجتازه الجنس الإنساني في ارتقائه من الهمجية إلى الحضارة . فثلا تنص هذه النظرية على أن الطفل يرث وراثة نوعية صفات خاصة يأخذها عن الجنس البشري عند ما كان الإنسان همجيا في القرون الأولى ، ويظهر هذا في ألعاب الطفل الصغير كألعاب الصيد والمطاردة .

٢ - وراثه خاصه : وهى التى تنقل إلى النوع صفات من أصول خاصه .
وتنقسم من حيث قرب الأصل المنقولة عنه إلى قسمين : —

١ - وراثه خاصه مباشره : وتظهر فيما يرثه الطفل عن أصله المباشر (أبيه وأمه) ، كلامح الوجه ولون البشرة وطول القامة وقوة الذكاء وغيرها .
وبمقتضى هذا النوع من الوراثة تنتقل للفرد الحالات النفسية أو الجسمية الخاصه بأبويه ، وهذه هى «الوراثة بالتحيز» . ومعنى ذلك أنه قد تغلب لدى الطفل بوجه عام الصفات التى ورثها عن أحد أبويه على الصفات التى ورثها عن الآخر لدرجة تستكن معها هذه الصفات الأخيرة وتختفى مظاهرها . ويخيل إلينا فى هذه الحالة أن الفرد لم يرث إلا عن أحد أصليه ، مع أن صفات الأصل الآخر تكون موجودة لكنها كامنة ، وقد تظهر عن طريق الوراثة فى أبناء هذا الفرد . وبذلك تكون وراثه هؤلاء الأبناء غير مباشره .

ب - وراثه خاصه غير مباشره : وتظهر فيما يرثه الطفل عن أحد أجداده أو إحدى جداته ، من جهة الأب أو من جهة الأم ، ومنها ما يسمونه بالوراثة الفرعية ، أو الوراثة بالواسطة ، أو الوراثة المشتركة ، التى تظهر فيها الصفات التى يشبه فيها الطفل أحد أعمامه أو أخواله ، أو إحدى عماته أو خالاته .

فالطفل يرث بعض الصفات التى كانت موجودة فى أحد أجداده من جهة الأب أو الأم ، ولولم تكن موجودة فى أصله المباشر . غير أن عدم وجودها فى أصله المباشر ليس فى هذه الحالة إلا ظاهرياً فقط . فالواقع أنها موجودة فيه بشكل خفى كامن ، وأن الطفل قد ورثها عنه ، لا عن أصله غير المباشر . فإطلاق عليه «الوراثة الخاصه غير المباشره» يشمل الوراثة الفرعية ، ويرجع فى الحقيقة إلى الوراثة الخاصه المباشره .

وتنقسم الوراثة الخاصة بوجه عام من حيث نسبة الصفات المنقولة عن أحد الأصلين ، إلى الصفات المنقولة عن الأصل الآخر ، إلى ثلاثة أقسام : —

(١) وراثة بالتحيز ، وهي أن تشبه كل الصفات في الفرع صفات أحد أصلية فقط ، كأن ينشأ الولد مثل أبيه في صفاته الجسمية والعقلية والخلقية ، أو البنت مثل أمها في ذلك .

(٢) وراثة بالاقتران ، وفيها يكون الفرع مشابهاً لأحد أصليه ، في بعض صفاته الموروثة ، وللثاني في البعض الآخر ، كأن يأخذ الولد الذكاء وطول القامة عن أبيه ، وسواد الشعر وشكل العينين عن أمه .

(٣) وراثة بالاتلاف ، وفيها تكون صفات الفرع الموروثة مخالفة لصفات أصلية ولكنها متألفة منها ، كما إذا تزوج أسود ببياض فإن ابنهما قد ينشأ ولون بشرته وسط بين لوني والديه ، كما هو الحال فيما يسمى «بالمولد»
ثانياً : — وتنقسم الوراثة أيضاً من حيث نوع الصفات الموروثة عن الأصول الخاصة أو عن الفصيلة إلى ثلاثة أقسام :

(١) وراثة جسمية ، وهي وراثة الأمور المتعلقة بالجسم كاللون والطول والقصر وما إليها .

(٢) وراثة عقلية ، وهي وراثة مظهر من المظاهر العقلية كالذكاء والقدرات العقلية الخاصة مثل القدرة الموسيقية والقدرة الرياضية وغيرها .

(٣) وراثة وجدانية ، ومنها وراثة حدة الطبع وسرعة الانفعالات وشدة الغضب وغيرها مما قد يكون له الأثر الكبير في التكوين الخلقى للفرد .

ثالثاً : — وتنقسم الوراثة باعتبار صلاحية الصفات الموروثة إلى قسمين :

(١) وراثه صالحه ، وتظهر فيما يُنقل للطفل من أصوله الخاصة أو من فصيلته . من الصفات الجسميه والعقليه والوجدانيه ، التى لها أطيّب الأثر فى حياته الفردية والاجتماعية .

(٢) وراثه مَرَضِيَّة (بشلولية) ، وتظهر فيما ينقل للطفل من أصوله الخاصة أو عن فصيلته من الصفات الجسميه الضارة ، كوراثه بعض الأمراض الجسميه ، وبعض العاهات مثل عمى الألوان والصمم والبكم ، أو العقلية كالجنون والعتة ، أو الوجدانية كشدة الغضب وحدته .

هذا وقد يظهر لدى الفرد فى طور من أطوار حياته صفة وراثية جسميه أو نفسية ، كانت قد ظهرت لدى أصله فى سن مماثلة لسن ظهورها فيه ؛ وأكثر ما تحدث هذه الظاهرة فى الحالات المَرَضِيَّة تبعاً للقانون المعروف « بقانون الوراثة المتحددة الأزمنة » . وقد كتب عنها كثير من العلماء وذكروا لها عدة شواهد نورد منها ما يلى : —

بعض الأمراض الخفية كالصرع تظهر لدى الفروع فى نفس السن التى ظهرت فيها لدى الأصول ، وكذا الإصابة بالعمى والصمم وغير ذلك من العاهات ، تصاب بها الفروع فى نفس السن التى أصابت فيها الأصول .

ولما كان سبب الوراثة ينحصر فى المادة المكونة للجنين التى تتألف من البويضة واللقاح ، فكيف يعقل أن يرث الطفل صفة لم تكن موجودة فى أصله وقت أن تكون جنينه ؟ وما السبب الذى من أجله تظهر هذه الصفة عنده فى نفس السن التى ظهرت فيها عند أحد أصليه ؟ السبب فى ذلك أنه إذا أصيب شخص فى سن ما بعاهة جسميه ، أو بمرض عقلى من غير أن يكون هناك سبب خارجى لهذه الإصابة ، فما ذلك إلاً لأن تركيبه الداخلى الاصلى كان يقتضى أن يصاب بتلك العاهة بعد مرور زمن معين . وقد يكون هناك عوامل مَرَضِيَّة كامنة ، ينتج عنها بعد مرور زمن معين العمى أو الصمم

أو غير ذلك من العاهات . وربما كان هناك استعداد عصبي ينجم عنه الإصابة في سن خاصة كالجنون مثلا : فإذا ولد لهذا الشخص ولد انتقل اليه في المادة الحيوية ؛ وهذا التكوين الطبيعي الخاص الذي كان كامنا في أصله ، والذي ينتقل اليه بطريق الوراثة ، يجعله يصاب هو بالعاهة أو بالمرض في نفس السن التي أصيب به فيها أصله ، ومن هذا يتضح لنا مقدار قوة الوراثة في تكوين الأفراد .



الاسرة المنكوبة
أفرادها جميعا بلهاء

وراثة الأمراض والعيوب الجسمية

قد يرث الإنسان عن أبويه صفات مفيدة وصفات ضارة . ففي الحالة الأولى تسمى الصفة (صفة عادية) ، وفي الحالة الثانية تسمى الصفة (صفة

شاذة). والصفات التي تشذ عن العادة والمألوف تسمى أمراضاً، وإذا كانت على شكل عيب في الجسم تسمى عيوباً أو عاهات .

والاستعداد لمرض من الأمراض ينشأ عن نقص في القدرة على أداء الوظائف الحيوية . وينشأ هذا النقص بدوره عن اختلاف التراكيب الجسمية الوراثية للأفراد عن التراكيب الصحيحة ، مما يسبب عجز الفرد عن الاحتفاظ بحياته وصحته تحت ظروف الوسط الذي يعيش فيه .

بما تقدم ، يتبين لنا جلياً أن أثر الوراثة قوى جداً في تكوين النشء من حيث الصفات العقلية والخلقية والجسمية ؛ وأن لكل ما يرثه الطفل شأنًا كبيراً في مصير حياته الخاصة يتعداه إلى حياة الأسرة ، ثم إلى حياة الشعب بأسره .

لهذا يجب أن يأخذ علم الوراثة مركزه الجدير به بين بقية العلوم الحيوية الأخرى ، التي تعمل على إسعاد الفرد ، وأن يتدارس رجال الطب وعلماء النفس والاجتماع والقانون ، كل في دائرة اختصاصه ، للعمل على تطبيق التشريع الذي تقره النظريات العلمية الصحيحة حفظاً لسلامة أفراد الأمة من العاهات والأمراض التي تنتقل من الآبوين إلى الطفل البريء . ولا يمكن لأحد أن يقدر عظيم الفائدة والنفع اللذين يعودان على النسل من القضاء على كل موروث ضار للجسم والعقل والنفس .

والطرق التي يجب أن نلجأ إليها لا بد وأن تكون تعاونية بين الحكومة والجمعيات والأفراد .

أما الذي يجب على الحكومة عمله ، فهو سن القوانين التي تحرم الزواج على ضعاف العقول والمرضى بأمراض تنقل بالوراثة ، وتؤثر في صحة النشء وعقليتهم . بل يجب البحث عن أفراد هذه الطائفة ومعالجتهم في مصحات

خاصة . وهناك حكومات لجأت الى أكثر من هذا وأصدرت قانونا لتعقيم الرجال والنساء الذين يخشى على توارث نسلهم من أمراض لها خطرهما على الجسم والعقل ، كالبلهاء والمجانين وغيرهم ، كما أنها حثمت على كل من يريد الزواج ، أن يكون خاليا من الأمراض العقلية والعضوية كمرض الزهري وغيره . ولم تقف عند هذا الحد بل تعدته الى تشجيع الأصحاء جسما وعقلا على الزواج والتناسل ، فنحت الأسر التي كثر عدد أطفالها مكافأة مالية سنوية ، مساعدة لهم على تربية أطفالهم تربية صحيحة قويمه .

والواجب على الجماعات التي تعمل لصالح المجتمع ، أن تنير الطريق لأفراد الأمة لاسيما أفراد الطبقة الفقيرة الجاهلة ، وذلك بأن تنشر بينهم دعاية قوية تكشف لهم عن الخطر الذي ينتج عن الأمراض الوراثية على الجسم والعقل . وتكون الدعاية بإلقاء المحاضرات والإعلانات والسينما والمذياع وتوزيع الصور والمنشورات . وهذه الوسائل يمكن المحافظة على أفراد الجيل الجديد من الأخطار التي قد تهدده بسبب التوارث السقيم .

هذا وهناك واجب خاص على كل فرد يقضى بالآل يقدم على الزواج إلا إذا كان واثقا كل الثقة من صحته ، ومن تجرده من الأمراض الجسمية والعقلية والخلقية التي من شأنها أن تنتقل إلى ذريته . وعليه أن يستعين برأى طبيب اختصاصي إن كان عنده شك في ذلك .

ومن واجب الآباء والأمهات والمربين أن ينتهزوا كل فرصة ممكنة لشرح مسائل الوراثة لمن عهد إليهم تربيتهم ، ويكون ذلك بالطرق التي يرونها ملائمة لهم ، بمجرد أن يبلغوا السن التي يستطيعون فيها فهم هذه الأمور الهامة التي لها أثرها في حياتهم المستقبلية ، فردية كانت أو اجتماعية .

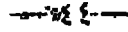
كما ينبغي للمربين أن يعنوا بدراسة نفسية الطفل واستعداداته الوراثة ،

وأن يحاولوا الوقوف على تاريخ أسرته ، ومعرفة أحوالها ، وما يتصل بها حتى يستطيعوا استغلال الصفات الوراثية الحسنة ، وإضعاف الفاسد منها .

الوراثة والبيئة :

كان من رأى بعض العلماء أن الوراثة لا تؤثر إلا قليلا ، وأن البيئة أهم عامل فى تكوين الإنسان ، إلى أن جاء عصرنا الحاضر ، وأظهرت التجارب ما للوراثة والبيئة معاً من الأهمية المشتركة فى نمو الطفل ، فاعتبرتاهما عاملين قويين فى التربية لا يمكن الاعتماد على أحدهما دون الآخر . فإذا حكمنا مثلاً بان الوراثة هى كل شئ ، نكون قد أنكرنا قيمة التربية المنزلية والمدرسية والاجتماعية ، وهى تربية لا يستهان بها فى نشأة الطفل الجسمية والعقلية والخلقية . وإذا نحن عولنا التعويل كله على التربية ، وحسبنا الوراثة شيئاً ثانوياً ، كانت التربية ناقصة ، لأننا نكون قد أهملنا طبيعة الطفل التى هى أساس تنشئته .

لهذا يجب التسليم بأن لكل من الوراثة والبيئة أثراً فعالاً فى تربية الطفل . فالوراثة مسئولة عن القوى والاستعدادات الكامنة فى نفس الطفل ؛ والبيئة مسئولة عن إظهار تلك القوى والاستعدادات ، وتعهدها بالتربية الصحيحة إلى أن تصل إلى الغاية المقدر لها من النمو .



المنزل وأثره في التربية

الصلة بين البيت والمدرسة

أدرك علماء التربية أثر عهد الطفولة المبكرة في حياة الطفل ، إذ أن قابليته للتعلم في ذلك الوقت تكون أكثر منها في أى مرحلة أخرى من مراحل نموه ، ولذلك فإنه يتأثر بسرعة وسهولة بعادات ذويه ومعتقداتهم . ومن أجل هذا اعتبر البيت البيئة الأولى التي تصوغ الطفل على حسب العوامل الفعالة فيه ، والروح السائدة بين أفرادها . فهو إن صلح حاله أو ساء ، له أثره القوي في حياة الطفل . ويستمر هذا الأثر مدى حياته .

وقديماً كان يعتبر المنزل العامل الوحيد في التربية ، بل وفي التعليم ؛ فكان البيت هو الذي يكوّن القبيلة ، والقبيلة تكوّن الأمة . وكانت مبادئ الأسرة وتعاليمها أساساً تعتمد عليه الشعوب القديمة في ثقافتها .

والطفل يتأثر بكل فرد من أفراد الأسرة . فهو يأخذ عن والدته ، ويتعلم عن أبيه ، وينقل عن إخوته وأقاربه . ولكل من هؤلاء تأثير خاص في تكوينه .

ففي المنزل يتعلم اللغة ، ويتفهم معنى الكلام ، ويتشبع بالمبادئ التي يسير عليها أهله من غير قصد أو تلقين ۞ ويتعلم الطفل معنى الاقتصاد والمحافظة على التقاليد والمعاملة ؛ كما ينشأ شعوره الديني والخلق متأثراً بأهله وماهم عليه من نزعات دينية وخلقية ، وما بينهم من صلوات الود والعطف والاحترام . ويدرك الطفل فيه معنى الحقوق والواجبات ، ويعرف روح النظام ومعنى التعاون ، وذلك مما يراه من والديه ومن جميع أفراد أسرته ۞ كما يتعود

الطاعة ، لا لأنه مكره عليها ، بل لما يشعر به نحو والديه اللذين يبدلان النفس والتفيس لا يسعاده . ولعل البيت بمفرده هو الذى يفهمه معنى التضحية تمام الفهم فالطفل يرى أمه تسهر عليه إذا مرض ، والآب يكذب ويعمل ما فى وسعه لإجابة مطالبه ، وكل منهما يفضل راحة الابن على راحته الشخصية .

ولما كان البيت هو المدرسة الأولى ، تلاميذها الأطفال ، ومهذبوها الآباء والأمهات ، كان عليه غرس الأخلاق الفاضلة ، وبث المبادئ القويمة فى نفوس الأطفال ليصبحوا النواة الصالحة لرجال المستقبل والبذرة الطيبة لأممات الغد . والام هي المربي الأول المسئول عن طفلها ، وعلى مجهوداتها فى تربية أطفالها يبنى المجتمع . فترية الام لطفلها هي النواة الاولى فى تكوينه ، فإذا ما تعهدته بالرعاية والإرشاد ، وبذلت أحسن المجهود فى إعدادة الإعداد الصحيح ، سهل على المدرسة القيام بواجبها فى إتمام تربيته على الوجه الأكمل واستطاعت أن تعد للمجتمع أطفالاً سليمي البنية ، أقوياء العقل ، واسعى المدارك .

وأثر البيت يبقى مع المراه طول حياته ، وتلازمه ذكرياته فى جميع أطواره . لهذا كان حقاً للطفل على والديه أن يتعهداه منذ صغره بالتربية الصحيحة المناسبة لسنة وعقله ، وأن يقوّموا أخلاقه ويتمموا مداركه حتى يمكنه أن يعيش عيشة رغيدة فى مستقبل حياته وبذا يكونان قد أدّيا الواجب عليهما نحوه لوجه الله والوطن .

والواجب القضاء على ما تفعله بعض الأممات الجاهلات من حشو رؤوس أطفالهن بالآوهام والخرافات الباطلة والآكاذيب الفارغة التى لها أسوأ الأثر فى حياة الطفل . ولنعلم أن الطفل مرآة للبيت الذى يأتى منه ، فالناس إذا رأوا طفلاً مهذباً حكموا على أهله بذلك ، والعكس بالعكس .

ينتقل الطفل من البيت إلى المدرسة ، لأن البيت لا يستطيع وحده أن يعده إعدادا كاملا للحياة ، بل يجب أن تشترك في ذلك المدرسة . ولما كانت المدرسة هي البيئة الثانية للطفل ، والمكمل للبناء الذي وضع أساسه في المنزل من وجهات التربية الثلاث ، الجسمية والعقلية والخلقية ، كان حقا على القائمين بشئون التربية توطيد الصلة بين البيت والمدرسة بحيث يعاون كل منهما الآخر في تأدية عمله ، إذ أنهما يقتسمان عملا واحدا هو تربية الطفل ، ويسعيان إلى غاية واحدة هي الوصول بالطفل إلى أقصى ما يمكن الوصول إليه من الكمال . وعلى ذلك فبديهى أنه لا يمكن بحال من الأحوال أن نفصل بينهما ، ما دما نسعى إلى تربية الطفل تربية سليمة حققة .

فواجب المدرسة إذن ، هو مساعدة الأم على إتمام تهذيب الطفل وتكملة ما بدأتها معه في البيت ، مع تزويده بالعلوم والمعارف .

وليس البيت وسيلة لإعداد الطفل للمدرسة فقط ، بل إنه يسير معها جنبا إلى جنب . فالطفل في أثناء حياته المدرسية يقضى جزءا من يومه في المنزل . ولذلك كان لزاما أن يستمر تعاونهما من غير انقطاع ، وأن يعمل كل منهما على تعويض ما يحده من الضعف في الثانى . ولا تنتهى مهمة الاهلين بمجرد إرسال أبنائهم إلى المدرسة . بل إن من واجبهم أن يتبعوا سير نجاحهم ، ومقدار استفادتهم من وجودهم بالمدرسة ، مع تشجيعهم التشجيع المناسب ، والتحرى عن نقط الضعف فيهم من آن لآخر ، ليعملوا على تقويتها ، وكذلك الوقوف على استعداداتهم الخاصة ليساعدوهم على تنميتها .

وما أفضل المدرسة التي توافق البيت ، وما أسعد البيت الذى يطابق المدرسة ؛ وما أعظم النفع الذى يعود على الأطفال من ذلك التوافق والتطابق ، لأنهم بذلك لا يشعرون بفارق كبير بين البيت والمدرسة .

ومن أهم ما نراه واجبا على الأم أن تؤديه نحو توطيد العلاقة والصلة بين المنزل والمدرسة ما يأتي :

(١) أن تكون على اتصال مباشر بالمربين على تربية الطفل بالمدرسة
التي ماون على تربيته تربية صحيحة .

(٢) أن تحترم قوانين المدرسة وتعطيها حقا من التقدير والعناية
لتكون قدوة حسنة للطفل في حسن الاهتمام بتنفيذها .

(٣) تشجيع الطفل على أداء واجباته المدرسية وتنظيم أوقاته بالمنزل .

(٤) ألا تقسح مجال التذمر للطفل من المدرسة قبل البحث عن
السبب الذي دعاه إلى إبداء تذمره وعدم رضاه ، وأن تحذر كل الحذر من
تخطئة المدرسة أمام الطفل أو لومها ، لأن هذا يضعف من مركز المربين
في نظره .

(٥) أن تشترك مع المدرسة في تربية الطفل وعلاجه بما قد يلاحظ
فيه من نقص أو شذوذ في تكوينه الجسمي أو العقلي أو الخلق ، وأن تعمل
على استئصال ما قبح من العادات ، وتكوين ما حسن منها .

وعما يزيد الرابطة بين المنزل والمدرسة ، تكوين هيئات من الأمهات
والمعلمات تعمل على توثيق الألفة والتعاون بينهما ، كما تعمل على إيجاد
مبادئ عامة للسير بمقتضاها في ترقية أساليب تربية الطفل ، والبحث في
المشاكل التي يقابلها وطريقة معالجتها . ومثل هذه الهيئات منتشرة في
البلاد الغربية ، وقد أصبح لها أثر كبير في توجيه طرق التربية وتنشئة الأطفال
نشأة سليمة صحيحة . وقد بلغت من القوة والنفوذ أن أصبح لها مجلات
تنشر مبادئها ومباحثها ، وأن تعقد مؤتمرات تبحث في ترقية الأساليب التي
تتبع في تربية الأطفال .

— ٤٨ —

وكما أن على الأم واجبات ، فكذلك على المدرسة واجبات رئيسية
نذكرها فيما يأتي : —

١ — عقد الحفلات للأهل ، وإلقاء المحاضرات فيما يختص بتربية الطفل .
التربية الصحيحة .

٢ — تنظيم اجتماعات بالمدرسة للمدرسين وأولياء الأمور معا ليتبادلوا
الآراء في كل ماله علاقة بتربية الصغار .

٣ — الاتصال بالمنزل في الأحوال الشاذة التي قد تظهر في تكوين
الطفل لكي يتعاونوا سويا على علاجها .

٤ — إخطار الآباء بحالة أطفالهم بوجه عام بوساطة تقارير ترسل
إليهم من آن لآخر .

الباب الرابع

علم النفس

معناه - فائدته في تفهم نفسية الأفراد
والجماعات - دراسة الطفل وأهميتها .

معنى علم النفس

لقد اهتم الإنسان منذ وجوده بدراسة ما يحيطه من الأشياء والكائنات والظواهر، وهداه عقله بالتدريج إلى جمع المعلومات الكثيرة عن العالم الذى يعيش فيه. ثم قسم تلك المعلومات وفصلها عندما كبرت وتشعبت، حتى يسهل عليه البحث فى كل قسم منها. ومن ثم نشأت العلوم المختلفة من علم الطبيعة الذى صار مبحثه خواص المادة، وعلم النبات ومحور البحث فيه هو النبات، وغيرهما من باقى العلوم المعروفة.

ولقد اهتم الإنسان بنفسه منذ أول الحياة، فبدأ يدرس أفكاره وميوله وحالاته النفسية المختلفة، واتسعت دراسته لنفسه مع الزمن، وشملت الفلسفة التى شملت مباحث أكثر العلوم المعروفة الآن. وبذلك صار من ضمن مباحث الفلسفة سلوك الإنسان وتفكيره وميوله وطبيعته.

ولم تقتصر أبحاث الفلاسفة على الإنسان فقط، بل شملت الحيوان أيضاً، فبحثوا فى سلوكه وقارنوا بينه وبين الإنسان فى ذلك. ولما أن اتسعت هذه المباحث، بدأت تنفصل عن الفلسفة، وانفرد لها علم خاص هو علم النفس.

وكانت دراسة السلوك نظرية لا تتركز إلى التجارب، ولا تؤيدها آلات أو أجهزة للقياس، ولكن الفلاسفة منذ عهد قريب رأوا ضرورة الاستعانة بالتجارب العملية، فقاموا بشيء منها فى القرن التاسع عشر، ثم اتسعت هذه التجارب وكثرت فى أواخر ذلك القرن، وبدأ العلماء ينشئون

معامل لعلم النفس في جميع أنحاء العالم المتمددين ، فازدادت بذلك مباحث العلم ، وتوطدت حقائقه ونظرياته ، بعد أن وضعت على أساس علمي صحيح .
فموضوعات علم النفس كانت قاصرة في أول الأمر على ملاحظات سلوك الانسان وحالاته النفسية والعقلية ، وكان يقوم بهذا البحث جماعة الفلاسفة . فلما اتسعت الأبحاث وانتشرت أخذت تنفصل عن الفلسفة ، ويكون مجموعها علما جديدا مستقلا سمي بعلم النفس ، صار يتمتع بما تتمتع به بقية العلوم من تجارب عملية قد بلغت في السنين الأخيرة درجة كبيرة من الدقة والاتقان .

ويمكننا أن نعرف علم النفس بأنه العلم الذي يبحث في الحالات النفسية والعمليات العقلية ، كيف تنشأ ، وماذا يصدر عنها من أنواع السلوك .
ويمكننا أن نقول عنه إنه علم السلوك ، أو العلم الذي يبحث في سلوك الحيوان (بشرط ألا يكون آليا كحركة القلب والرئتين أو غمض الجفن إذا اقترب شيء نحو العين) ، وفي القوى التي يتسبب عنها هذا السلوك .
أو هو علم العقل ، إذا عرفنا أن العقل هو القوة التي يصدر عنها السلوك غير الآلي .

ومن هذه التعاريف يمكننا أن ندرك أن علم النفس علم محايد يهتم بالسلوك أيا كان ، ويدرس النزعة الطيبة كما يدرس النزعة الخبيثة ، دون أن يصدر عليها حكما من الأحكام .

فهو إذن يختلف اختلافا واضحا عن علم الأخلاق وعلم الاجتماع ، فالولها يبحث فيما يجب أن تكون عليه أخلاق الإنسان ، وثانيهما يبحث فيما يجب أن تكون عليه علاقة الفرد بالمجتمع والمجتمع بالفرد .
ولأن علم النفس يبحث في سلوك الانسان والحيوان ، فهو يرتبط

بعلوم كثيرة كالمنطق والتربية والاجتماع والحيوان ووظائف الأعضاء وغير ذلك، إذ أن مبحث كل من هذه العلوم تمس عن قرب أو عن بعد، عقل الإنسان أو سلوك الحيوان .

فالمنطق يبحث فيما يجب أن يكون عليه تفكير الإنسان، وعلم النفس يبحث في تفكيره بوجه عام سواء كان صائبا أو خاطئا، منطقيا أو غير منطقي .

والتربية تبحث في استغلال نزعات الطفل وميوله، وتوجيهها لتوجيه الصالح، حتى يدخل مجتمع الحياة فرداً صالحاً يسعد ويُسعد المجتمع الذي هو فيه . وعلم النفس يبحث في سلوك الإنسان وميوله ونزعاته ! فلا هو يعمل على توجيهها، ولا يهتم باستغلالها، ولكنه يعطينا فكرة عن نوع هذه الميول وقوتها وخصائصها .

فائدته في تفهم نفسية الأفراد والجماعات :

ولقد تغلغل علم النفس في كل شيء في الحياة، واستفادت منه الأفراد والجماعات في نواح كثيرة، ولا تساع مباحثه . وكثرة تشعبها قسم إلى فروع أهمها علم النفس التعليمي . وعلم النفس الصناعي وعلم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي .

أما علم النفس التعليمي . فيشمل تلك المباحث التي يمكن أن يستفيد منها المربي في تربيته للأطفال . فالمربي الذي يقف على طبيعة الطفل فيعرف ميوله وذكائه، يمكنه أن يريه على أساس تلك الميول، ويوجهه في دراساته تبعا لمقدار الذكاء الذي عنده . والمربي الذي يعرف من علم النفس أن الطفل يقطع في أثناء نموه مراحل مختلفة، تتميز كل منها بسميزات خاصة، يمكنه أن يسير معه في كل مرحلة تبعا لتلك السميزات، ويعطيه فيها ما يناسبه ويتفق معه .

والمرءى الذى يعرف من علم النفس أن غرائز الطفل باقية ما عاش .
لا يمكن أن تندثر وتموت ، وأن الضغط عليها ضار بتكوينه الصحى ، يعمل
على إعطاء هذه الغرائز شيئاً من الحرية حتى يُمكن الطفل من إرضائها ، عاملاً
فى الوقت نفسه على توجيهها فيما يعود عليه بالفائدة .

ولقد استفادت ميادين الصناعة من علم النفس ، وأفردت مباحث خاصة
بالصناعة وما يتصل بها ، وأصبح للعلم فرع يعرف بعلم النفس الصناعى ، يبحث
فى العمل والعمال ، والمهنة وأصحابها ، ويقفنا على أحسن نظام لترتيب اوقات
العمال حتى ينتجوا أكبر إنتاج ، دون أن يُرهقوا أو يصيبهم الضعف والسقم .
ويختلف ترتيب أوقات العمل بالنسبة للعمل نفسه ؛ ففى بعض المصانع
يستحسن ان يستريح العامل كل ساعتين ، وفى البعض الآخر كل أربع ساعات
وهكذا .

ولقد أفادت مباحث هذا الفرع فى تنظيم العمل بالمصنع ، ووضع أدوات
العمل وآلاته ، بحيث لا يضيع وقت العامل فى البحث عنها من بين أدوات
أخرى ، كما نُظِّمَت حركاته تبعاً للأعمال المختلفة ، فأراحته بذلك فى أثناء
تأديته لها ، وفى الوقت نفسه جعلته ينتج أضعاف ما كان ينتج من قبل .

ولقد استفاد كثير من أصحاب الأعمال فى أوروبا وأمريكا بعد ما طبقوا
مباحث علم النفس الصناعى فى مصانعهم حتى وصلت الزيادة فى إنتاج بعض
المصانع الى أربعة أمثال ما كانت عليه من قبل ، فعاد ذلك بالربح الوفير عليهم
وعلى العامل ، إذ استطاعوا أن يزيدوا أجره ، ويهيئوا له فى مصنعهم أسباب
الراحة . كما استفاد من ذلك الجمهور إذ استطاع أصحاب الأعمال أن يخفضوا
من أسعار ما ينتجون فى مصانعهم .

ولقد ذكرنا أن علم النفس يبحث فى سلوك الفرد ؛ والفرد يعيش وسط

المجتمع ، ولذلك كان لعلم النفس أن يبحث في علاقة الفرد بالمجتمع . وقد أفردت لذلك مباحث خاصة ، وكون مجموعها فرعاً جليلاً الشأن من فروع علم النفس . ويسمى علم النفس الاجتماعي ؛ فيمكننا بدراسة الفرد كعضو من أعضاء المجتمع ، أن نعرف كيف يتأثر بالمجتمع ويؤثر فيه ، وكيف نجعله عضواً صالحاً ، وكيف نشيء رابطة قوية وثيقة بينه وبين من يعيشون معه .

فالْحَاكِم يستفيد من دراسة الفرد في المجتمع حتى يجعله خاضعاً لنظمه وقوانينه ، والواعظ والمعلم والخطيب والممثل وغيرهم ، كل أولئك يستفيدون من دراستهم لعلم النفس في التأثير على الجماهير بما يشاؤون ، واستهوائهم لما يريدون .

ولقد استطاع بعض المصلحين في أمريكا ، أن يُحوّلوا بعض عصابات الناشئين المفسدين إلى جمعيات تتعاون مع البوليس في اقتفاء أثر المجرمين ، وقطع دابرهم .

وبالمثل ، استفاد المصلحون كذلك من دراسة المجرمين ، والوقوف على ميولهم الشريرة وما كوّنها فيهم ، وأصبحوا يعاملونهم في السجون بما يكون فيه صلاحهم وخروجهم للمجتمع أفراداً مستقيمين .

كذلك تبين من مباحث علم النفس أن كثيراً من الشذوذ الذي يحدث في بعض الأطفال والكبار ناشئ عن سوء معاملة ميول الأفراد وهم أطفال صغار . كما أن بعض الأمراض لا ترجع أسبابها إلى عوامل فسيولوجية يمكن علاجها بالعقاقير الطبية ، بل إن بعض الحالات النفسية تحدث مثل هذه الأمراض . ولذلك وجب معالجة هؤلاء معالجة نفسانية حتى تزول الآثار السيئة التي نشأت عما أصاب ميولهم وطبائعهم من شر المعاملة في إبان الطفولة . ولا يتسنى ذلك إلا بعد أن تفهم نفسيات هؤلاء الأفراد ، ونعرف

ما أصابها في صغرهم . ويمكن القيام بذلك عن طريق التحليل النفساني ، وهو مبحث ذو شأن عظيم من مباحث علم النفس .
ولكم أفاد علم النفس من ناحية التحليل في شفاء أمراض كالشلل والصمم لم ينفع في شفاؤها الطب ، لأنها نتيجة لاضطرابات نفسية . ولكم رد التوازن إلى عقول محتلة ، والاطئنان إلى نفوس قلقة ، والثقة والقوة إلى أفئدة ضعيفة عاجزة .

لقد تدخل علم النفس في كل شيء ، وأفاد أعم الفائدة وأكبرها ، فالتاجر يستفيد منه في تفهم نفسيات عملائه ليستهوى كلا إلى بضاعته بالطرق التي تنفعه ، والصانع يختار لنفسه ما يلائم طبيعته من الأعمال ، فيكثر من إنتاجه ؛ والطبيب فيكتسب ثقة مريضه ، ويشجعه على التخلص من مرضه ويعرف ما إذا كان ناشئا عن عوامل جسمية فيسير معه حتى الشفاء ، أو عوامل نفسانية فيرسله لمن يتعهده بالتحليل النفساني ؛ والواعظ فيؤثر به على نفوس سامعيه ؛ والمربي يفهم نفسيات الأطفال وميولهم وعقلياتهم ، حتى يتمكن من وضع طرق التربية الصحيحة في مراحل النمو المختلفة التي يجتازها الطفل .

دراسة الطفل وأهميتها :

لقد بدأت دراسة الطفل من قديم الزمن ، وبنى المربون آراءهم على نوع دراستهم التي لم تدعمها التجارب والأبحاث الدقيقة ، ولذلك اختلفت تلك الآراء فمنهم من اهتم بتربية الطفل تربية جسمية كالترية الأسبرطية . ومنهم من عامله معاملة الكبار فأعطاه أكثر مما يستسيغه عقله ، كالترية في القرون الوسطى . وعلى العموم كانت الفكرة السائدة في جميع العصور الضغط على الطفل ، وكبت غرائزه ونزعاته الطبيعية ، إذ اعتقدوا أنها مصدر شرور الحياة .

ولقد بدأ عهد جديد في دراسة الطفل منذ القرن الثامن عشر ، واستهل المربون ذلك العهد بجعل تربيته مبنية على أساس دراسته ، وكان أعلا المربين صوتاً وأشدّهم أثراً (روسو) الفرنسي ، الذي يعتبر أول من بنى قواعد التربية على دراسة الطفل . وقد أراد بذلك أن ينقذه مما كان قد طوقه من القيود القديمة فنأدى بالرجوع إلى الطبيعة ، وأخذ الطفل بما يلائم قواه وميوله .

وفي أوائل القرن العشرين ، بدأت الهيئات القائمة بشئون التربية والتعليم في البلاد الأجنبية تشعر بتأخر أطفالها من الوجهة النفسية والاجتماعية ، فقام لفيف من كبار علماء النفس بالبحث في هذا الموضوع ودرسوا الطفل من الناحيتين الآتيتين :

(١) الناحية الصحية ، وفيها بحثوا عن الشروط اللازمة لحياة الطفل الصحية ، ودرسوا ما يحتاجه الطفل النامي من الهواء الطلق والغذاء والملبس والراحة والرياضة وغيرها .

وكانت نتيجة هذه المباحث أن أنشئت مؤسسات متنوعة لرعاية الأطفال ، كما أنشئت الملاعب المختلفة في المدن الكبيرة .

(٢) الناحية النفسية ، وفيها درسوا عقلية الطفل وميوله ونزعاته وقواه واستعداداته كي تقوم تربيته على أساس ما يتفق معها ، وبذلك أناروا الطريق للمربين فسهلوا لهم القيام بأعباء المسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقهم .

فالمرءى يجب أن يبدأ بدراسة طبيعة الطفل واستعداداته وميوله وغرائزه وعقليته والفوارق التي بينه وبين غيره من الأطفال ، وغير ذلك من الأمور النفسية الهامة ، حتى يستطيع أن يبني عمله على أساس صحيح ، وهو تنمية قوى الطفل ، والارتفاع بها على الوجه الأكمل ؛ فتقهُم الطفل هو أهم شيء

يعتمد عليه المربي في أداء وظيفته ، إذ ليس من المستطاع أن يريه أو يعلمه على الوجه الصحيح دون أن يدرس نفسيته .

يتضح لنا بما تقدم أن الدعامة الكبرى التي يبنى عليها أساتذة علم النفس صرح التربية والتعليم في أطواره الأولى ، هي دراسة الطفل دراسة تفصيلية ، يمكن على أساسها أن يُقدم إليه في كل طور من أطواره نموه المختلفة . ما يناسبه من التربية والتعليم . وبذا استطاعوا أن يكشفوا عن الأسس الصحيحة التي يجب أن يعتمد عليها المربون في تنمية الفكر وتقوية الحكم وتكوين الخلق المتين والشخصية البارزة .

ولست هذه الدراسة من الأمور السهلة التي يتسنى لكل إنسان أن يعالجها ، بل إنه لا يستطيع أن يلاحظ الأطفال ويدرّسهم ، إلا من فطر على حبهم والعناية بشئونهم ، وكان قادراً على أن ينزل إلى مستواهم العقلي ، وكان صبوراً كثير العطف عليهم ، ليستطيع بذلك أن يجذبهم إليه ، كما يجب أن يكون مشبعاً بطرق البحث العلمي ، ملماً بأصول علم النفس وبهذا يمكنه أن ينظر إليهم ويسمع منهم ويفهمهم ويندجج في حياتهم العقلية والنفسية .

وهناك طريقتان متبعتان في دراسة الطفل وهما :
الطريقة الفردية ، والطريقة الجماعية .

الطريقة الفردية :

وهي القيام بملاحظة تفصيلية للطفل في أثناء حديثه ولعبه ومظاهر نشاطه المختلفة التي يبدىها في أدوار نموه . ونستطيع مباشرتها بوسيلتين :

(١) الملاحظة الخارجية (ب) التجريب

١- الملاحظة الخارجية : وهي طريقة من السهل اتباعها مع الأطفال لأنهم

لا يتظاهرون بغير الحقيقة كما يفعل الكبار . والطريقة هي أن تتأمل في أعمال الطفل ثم نحاول أن نفسرها من الوجهة النفسية بعد أن نفحص الطفل نفسه من الوجهة الجسميه ، ونقف على حالته الصحية العامة ، ومبلغ قوة حواسه أو ضعفها ؛ كما يجب أن نلم بعض الإلمام ببيئة الطفل التي يعيش فيها حتى يكون حكمنا صحيحاً ، وتأتى دراستنا بالفائدة المطلوبة . وتشمل هذه الطريقة ملاحظة قدرة الطفل العقلية ، من حيث سرعة الفهم أو بطئه ، وميله إلى الاستطلاع وقوة عزيمته ، وشوقه إلى التحصيل ، وذكاؤه الطبيعي وقوة التفكير والانتباه والذاكرة والخيال وغير ذلك ، علاوة على مراقبة ظهور القوى الكامنة في نفسه .

ب—أما التجريب : فما هو إلا ملاحظة الطفل في ظروف خاصة نهيئها له ونحيطه بها ، وتميز طريقة التجريب عن طريقة الملاحظة في أننا نستطيع أن نكرر نفس التجارب عدة مرات حتى نتحقق من نتائج ملاحظتنا له . ومثال ذلك وضع الأطفال في أمكنة مزودة باللعب على اختلاف أنواعها ، وملاحظة ميولهم في أعمارهم المتباينة .

ولا بد أن نعتمد على هاتين الطريقتين معاً (الملاحظة والتجريب) لنحصل بهما على حقائق ثابتة عن طبائع الأطفال .

الطريقة الجمعية :

وهي لا تقوم على دراسة طفل خاص ، بل على مجموعة من الأطفال ، فندرسهم في أثناء عملهم ولعبهم وتنافسهم وغير ذلك من الظروف المختلفة ، ونعطيهم اختبارات جمعية معينة مثل اختبارات الذكاء والاختبارات المدرسية ، حتى نقف من كل ذلك على مدى نموهم العقلي والنفسي من حيث

التفكير والإدراك والملاحظة والانتباه والحفظ وقوة الاستهواء والوجدان وغير ذلك .

القيمة العملية لدراسة الطفل :

١ — قد ساعدت دراسة الطفل على تفهم طبيعته وأطوار نموه المختلفة واكتسبته حقوقا بعد أن لم يكن عليه إلا واجبات ، وصار ذا شخصية حقيقية ، يتمتع بكثير من الحرية التي تساعد على تنمية قواه الجسمية والعقلية والخلقية .

٢ — وجهت أنظار المربين من والدين ومعلمين إلى الفروق بين الأفراد وحملتهم على الاهتمام بها ، وصار من غايات التربية إنباء القوى المختلفة في الأطفال ، والوصول بها إلى الدرجة المقدرة لها .

٣ — ساعدت المربين في الوقوف على القوى العقلية في الأطفال ، فأصبحوا قادرين على معرفة أن هذا الطفل ذكي وذلك غبي مثلا ، وآخر ضعيف الذاكر ، أو بطيء الحفظ وغير ذلك . ومن هذا يعرف المربي ما يناسب الطفل فيعمل على إمداده به ، ولا يلومه على تأخر قد لا يكون له ذنب فيه ، أو ينسب إليه الكسل ويؤذيه ، دون أن يدرس العوامل والظروف التي تحوطه ، والتي قد تكون السبب في ذلك التأخر أو الكسل .

٤ — تسببت في إصلاح كثير من الغلطات الشائعة في تعليم الصغار وأخصها التعليم النظري الخالي من التدريب العملي . وبذا وفرت على الأطفال والمربين وقتاً كبيراً وجهداً عظيماً كانا يضيعانه سدى من جراء سوء الطرق ، والجهل بطبائع الأطفال وأطوار نموهم .

٥ — أفادت في وضع مناهج مرنة تتناسب وقوى الأطفال .

٦ — ساعدت المربين على فهم المشاكل الأخلاقية وصار الآباء والمعلمون

— ٦١ —

يفهمون أطفالهم تمام الفهم ، ويحاولون التأثير فيهم بتعديل ييئتهم ، وتحويل ميولهم إلى وجهات نافعة . بعد أن أصبحوا يعرفون أسباب أفعالهم ومصادرها .

٧ — ساعدت على معرفة ضعاف العقول وعلى العناية بتربيتهم تربية عملية خاصة تناسب وحالتهم العقلية .

الباب الخامس

العقل والجسم والصلة بينهما .
الجهاز العصبي ووظائفه .
تربية الجهاز العصبي .

العقل والجسم والصلة بينهما

إن كلاً منا يحس ويدرك « ويتخيل ويفكر ، ويذكر شيئاً وينسى آخر ، ويحكم على هذا ويستدل على ذلك ، ويجد في نفسه ميلاً شديداً إلى عمل ما ويشعر بنفور من عمل آخر . فمجموع هذه الخواطر التي تجول في النفس « والميول « الموروث منها والمكتسب ، تسمى عقلاً .

فالعقل قوة يصدر عنها السلوك غير الآلى .

على أننا لا نستطيع أن ندرك طبيعة العقل . ولكن تتجلى لنا مظاهره الثلاثة : المظهر الإدراكي ، والمظهر الوجداني ، والمظهر النزوعي . وهذه هي مظاهر الشعور ، وهو الحالة العقلية للإنسان وقت اليقظة « أو بعبارة أخرى ، هو أن يحس الإنسان بما يحدث في بيئته ، وما يحدث في داخل نفسه من إدراك ووجدان ونزوع .

فالإدراك هو مجرد المعرفة أو الفهم لشيء من الأشياء التي تحيط بنا ؛ وهو يبدأ من الاحساس وينتهي بالتفكير .

أما الوجدان ، فهو شعور المرء باللذة أو الألم أو الحب والبغض أو غير ذلك من مختلف المشاعر . فإذا سارت الأمور في مجراها الطبيعي من غير حائل يحول دون سيرها ، شعر المرء بالسرور والارتياح ، وعلى العكس من ذلك إذا وقفت عقبة في سبيلنا ، وحالت دون نوال مقصودنا تأثرنا لذلك وشعرنا بالألم . أما النزوع وهو المظهر الثالث لأي عملية عقلية ، فيبدأ بأبسط الأعمال الإنسانية وهي السلوك الغريزي ، وينتهي بالعمل الإرادي المقترن بالتفكير . وليس الإدراك والوجدان والنزوع أنواعاً منفصلة يتكون من مجموعها الشعور ، إنما هي مظاهر لشيء واحد هو العقل ، وتحدث كلها في آن واحد ؛

ولكن لا يستلزم ذلك أن تظهر هذه المظاهر دائماً بنسبه وبقوة واحدة ؛ بل الواقع إنها تختلف على حسب الأشخاص وأمزجتهم وأحوالهم الخاصة . فالوجدان يكون غالباً في الانفعالات الشديدة ، والنزوع في حالة قوة الإرادة والعزم والتصميم ، ويغلب الإدراك في حالة التفكير العميق .

أطوار الحياة العقلية : —

قسم علماء النفس الحياة العقلية للإنسان إلى ثلاثة أطوار — فالطور الأول هو طور إدراك المحسّات وسيادة الانفعالات وغلبة السلوك الغريزي ؛ وهذا يظهر لنا في حياة الطفل الصغير — والطور الثاني ، هو طور إدراك الكليات ونمو العواطف - والطور الثالث ، هو طور إدراك المعنويات وتكوين المثل العليا .

فحياة الإنسان تتطور منذ ولادته إلى بلوغه ، أطواراً مختلفة وينتقل من مرتبة إلى أعلى تبعاً لنمو جهازه العصبي ، وازدياد خبراته ، واتساع أفق الحياة التي يحياها ، والتربية التي يتلقاها ، فحواسه قاصرة في أول عهده بالحياة ، ومدرّكاته في مبدئها تكون بسيطة غير واضحة ، وقلها تخرج عن دائرة الإحساسات الغامضة المبهمة . فإذا تفتحت حواسه ، وتقبّلت الآثار التي تصل إليها من العالم الخارجي ، أخذ إدراكه الحسي يقوى شيئاً فشيئاً ويتقدم ، حتى يصل إلى مستوى إدراك العاقل المفكر . والفضل في ذلك يرجع إلى حواسه التي تتصل بالعالم الخارجي اتصالاً مباشراً ، وإلى نمو المخ والمراكز العصبية التي تتلقى الرسائل الواصلة إليها من الحواس . فتترجمها وتوولها وتربطها بعضها ببعض ؛ وهكذا يواصل العقل أعماله المختلفة .

الصلة بين العقل والجسم : —

إننا لا نستطيع أن ندرك العقل إلا في كائن حي ، فلا نعرف عقلاً

مجرداً عن الجسم . بل إن العقل والجسم يرتبطان في السكائن الحى أحدهما بالآخر أوثق ارتباط .

والعقل حليف الجسم فى حركته وسكونه وحالة صحته أو اعتلاله . وتتوقف حركة كل منهما على الآخر . فمضى قويت أعضاء الحس وهى أبواب المعرفة والعلم ، قويت الملاحظة التى يتوقف عليها نمو باقى القوى العقلية . فالعقل والجسم متحدان . فإذا نظرت العين شيئاً ، أدركه العقل وإن اضطرب العقل ، اختلت حركات الجسم ، وهكذا .

والجسم مسرح للعقل تتجلى آثاره فيه ؛ لأن سلوك الإنسان وما يقوم به من مختلف الأعمال الجسمية ، إنما يعبر عن أعمال العقل . كما أن حالة الجسم الصحية تؤثر كل التأثير فى حالة العقل

فإن أصيب الإنسان مثلاً بحمى شديدة ، ترتفع درجة حرارته ، وتؤثر حالته المرضية هذه كل التأثير على عقله ، فلا يستطيع الإدراك أو التفكير السليم ، وقد يصل به الأمر إلى النسيان التام ، أو الهذيان .

وكذلك يؤثر العقل فى الجسم ، فعند اضطراب العقل مثلاً ، نشاهد أن المريض قد يأتى بحركات مختلة غير مترتبة ، تتميز بالعنف والتخريب ، وربما أتى بأفعال قد تحدث لغيره أذى . لأن قوته الجسدية تكون مجرد قوة حيوانية خالية من التفكير ، وليس للعقل والحكمة سلطان عليها .

أما إذا حدث لفرد حادث اصطدام مثلاً ، وأصيب أحد المراكز الخفية ، فقد يتسبب الشلل عن ذلك ، فلا يقوى المريض على تحريك العضو الذى يتصل بالمركز المصاب حتى ولو بإرادة منه ، كما أنه يفقد بعض القوى العقلية كالذاكرة إذا أصيب مركزها فى المخ .

وهناك غير ذلك كثير من الأمثلة المشاهدة التى تبين مقدار ما بين الجسم والعقل من صلة وطيدة .

الجهاز العصبي . وظائفه بطريقة اجمالية .

تريية الجهاز العصبي من الصغر .

المجموع العصبي :

يتأثر الانسان بمؤثرات مختلفة ، بعضها يأتي من داخل جسمه ، والبعض الآخر يمتدحيط به . وهذا التأثير هو الذي يدفعه إلى القيام بمختلف الأعمال . ويكون هذا عن طريق المجموع العصبي ، وهو مكون من مراكز عصبية « وأعصاب تربط هذه المراكز بأعضاء الحس والعضلات وغيرها من أجزاء الجسم المختلفة ؛ فبواسطة هذه الأعصاب تنتقل جميع الآثار ، ماحدث منها في داخل الجسم ، وما أتى من العالم الخارجي ، إلى المراكز العصبية .

فكل مؤثر يؤثر فينا ، وكل عمل نقوم به ، وكل انفعال يتأبنا ، إنما يرجع إلى عمل جهازنا العصبي ، أى أنه هو الذي نشعرنا بالمؤثرات المختلفة . وهو الذي يسيطر على سلوكنا ومشاعرنا . وقد سبق أن ذكرنا في تعريف علم النفس أن العقل هو الذي يهيمن على السلوك والمشاعر والحالات النفسية المختلفة ، وعلى ذلك فالعقل مركزه الجهاز العصبي ، وإذن فهو يتحكم في الجسم عن طريق هذا الجهاز . ونستنتج من هذا أن الرابطة بين العقل والجسم قوية متينة .

ويتركب الجهاز العصبي من مجموعتين كبيرتين هما : —

أولاً : المجموعة الدماغية الشوكية — وتشمل الدماغ والنخاع الشوكي والأعصاب وعددها ٤٣ عصباً وهي موجودة على كل من جانبي الجسم ، وتنقسم إلى ١٢ عصباً دماغياً ، ٣١ عصباً شوكياً .

والدماغ تنقسم إلى ثلاثة أقسام : —

١ - المخ - وهو أكبر أجزاء الدماغ ، وشكله يضى ، ويملاً كل تجويف الجمجمة تقريبا ، وينقسم إلى نصفين يسميان بالنصفين الكرويين ! وهذان النصفان متصلان من أسفل ، ومنفصلان من أعلى بشق مستطيل . والطبقة الظاهرة للمخ رمادية اللون ، وبها مراكز الحس المختلفة ، وهى على هيئة تلافيف عديدة يقال إن عددها وعمقها يختلفان باختلاف ذكاء الإنسان . وهى المادة الرئيسية للجهاز العصبى لأن بها مختلف المراكز . وتتصل الجهة اليمنى من هذه المراكز بالجهة اليسرى من الجسم ، والعكس بالعكس . وكذلك تكون هذه المراكز مرتبة ترتيبا عكسيا ، أى أن المراكز المتصلة بأجزاء الجسم السفلى ، هى أعلى المراكز موضعا فى المخ ، والمراكز الخفية المتصلة بأجزاء الجسم العليا هى أسفل المراكز فيه .

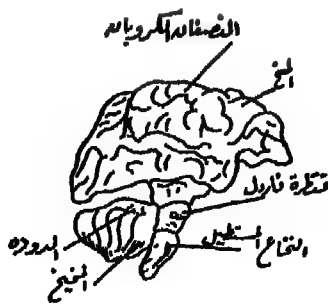
ومن ذلك يتبين لنا أن المخ هو المسيطر على جميع الحركات الإرادية وغير الإرادية ، وأنه مصدر الاحساس والتفكير والإرادة والانفعال . فهو الذى يتلقى الرسائل الحسية . الآتية له من جميع أجزاء الجسم ، ومن الحواس المختلفة ، فيؤولها ويصدر الأوامر بالحركة . ويُشعر بالاحساس والوجدان . وبما يستحق الذكر ، أن الطفل يولد بهذه المراكز كلها ، غير أنها لا تقوم بوظائفها مرة واحدة . ولذلك لا يستطيع الطفل تأدية جميع الأعمال العقلية فى بدء حياته . على أن بعض المراكز المذكورة تعمل منذ ولادته ، كمركز حركة الشفتين واللسان ومركز الذوق ، وهو يقع فى أسفل الطبقة الظاهرة للمخ مع مركز الشم .

أما مركزا السمع والبصر فيقومان بوظيفتهما بعد الولادة بأيام . ويقع أولهما خلف مركز الذوق ، والثانى فى مؤخر المخ من أسفل . ثم تأخذ المراكز فى النمو شيئا فشيئا ؛ فينمو مركز السمع من مجرد الأصوات . وعندما ترتبط كل كلمة بمعناها ينمو مركز الكلام الذى يقع خلف مركز التفكير الموجود

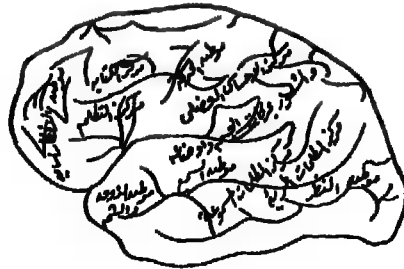
باعلى المخ من الامام . وهنا يمكن للطفل محاكاة الاصوات بعد سماعها مباشرة . وعند ما تنمو الذاكرة والحافظة ، يصبح قادرا على تقليد تلك الاصوات بعد انقضاء فترة على سماعها . وفي هذه المرحلة تتصل مراكز السمع بمراكز الكلام والابصار ، فيتذكر الطفل ما يربيه من الاشياء ، ومدلولاتها من الاصوات والالفاظ ، ويستطيع ترديدها والتعبير عنها . وبالتدريج يستطيع أن يميز الاشياء بعضها عن بعض ، وأن يعين لكل منها اسما . وفي أثناء ذلك تحتفظ الحافظة بما يرد إليها من آثار السمع والبصر ، فيزيد إدراك الطفل . وينمو بعد ذلك مركزان جديدان هما مركز المرئيات ومركز الكتابة ، ويقع الأول منهما بجانب مركز البصر والثاني بين مركزي التفكير والكلام .

ويجب على المربي ألا ينسى أن هذين المركزين الجديدين ينموان ببطء ، فلا يُعلم الطفل الكتابة قبل نمو مركزها ، ولا القراءة قبل نمو مركز الكلمات المرئية . ولا يملئ عليه شيئا ليكتبه قبل نمو مركز الكلمات المسموعة ومركز الكتابة ، بل ينبغي أن يسير مع الطبيعة ولا يُحمّلها فوق طاقتها .

وتقع باقي المراكز في أعلى المخ وأواسطه ، وكلها موجودة في الطبقة الخارجية ، ومرتبطة تبعاً للنظام الذي سبق ذكره ، والمبين في الرسم .



الدماغ



المواطن المخية

والمهم أن نعرف أن أى نقص فى تكوين هذه المراكز يسبب خللاً فى وظيفة العضو المتصل بها، وإن بدت لنا سلامته فى الظاهر، فهناك حالات تظهر فيها العين كاملة التركيب، ولكنها لا تستطيع الإبصار لتلف مركز البصر فى المخ.

٢ — المخيش : — وهو أصغر من المخ فى الحجم، ويقع فى أسفل الجمجمة، ويتصل به من أعلى، وبالنخاع المستطيل من أسفل، وينقسم إلى نصفين كرويين أيضاً وسطهما كتلة عصبية صغيرة تعرف بالدودة. وبه مراكز حركة العضلات وتربطها. ويعمل على حفظ توازن الجسم، ويعاونه المخ فى ذلك.

٣ — النخاع المستطيل : — وشكله مخروطى، وتتصل قاعدته بأسفل المخ والمخيخ، كما تتصل قمته بالنخاع الشوكى. والجزء الأمامى والعلوى منه بارز يسمى بالقنطرة، وبها عقدة الحياة، وعندها تتقاطع الأعصاب الآتية من المخ إلى الحبل الشوكى، فتذهب الأعصاب الآتية من نصف المخ الأيمن إلى الجزء الأيسر من الجسم، والعكس بالعكس.

ويقوم النخاع المستطيل بإدارة الحركات الحيوية الهامة، كحركات التنفس، وتنظيم ضربات القلب، والهضم وغيرها.

وأما النخاع الشوكى، فهو حبل عصبى اسطوانى الشكل، يبتدىء من الطرف الأسفل للنخاع المستطيل، وينتهى فى القناة الفقرية على محاذة الفقرة القطنية الأولى، وينتهى بطرف مديب متصل به خيط لى رقيق، يتصل بقاعدة العصعص، ويسمى بالخيط النخاعى، ويوجد عليه انتفاخان، أحدهما الانتفاخ العنقى، ويقابل مبدأ أعصاب الطرفين العلويين، والآخر الانتفاخ القطنى، ويقابل مركز أعصاب الطرفين السفليين. ويشاهد على جانبي النخاع،

الأعصاب الشوكية وعددها ٣١ عصباً على كل جانب ، ويتصل كل عصب بالنخاع الشوكي بواسطة حبلين ، أحدهما من الأمام ، والآخر من الخلف . وتتفرع هذه الأعصاب في أجزاء الجذع والأطراف .

وتحاط الدماغ والنخاع الشوكي بثلاثة أغشية ، الظاهرة منها تسمى (١) الأم الجافية ، ويلبها (٢) العنكبوتية ، ثم (٣) الأم الحنون ، وهي الغشاء الداخلي .

والأم الجافية ، مكونة من غشاء ليفي متين ملتصق بعظم الجمجمة . ويمتد في القناة الفقرية . أما العنكبوتية ، فهي غشاء رقيق شفاف يُكوّن كيساً حول الدماغ والنخاع الشوكي ، بداخله السائل المخي الشوكي . والأم الحنون تتكوّن من غشاء رقيق أيضاً يلتصق بالدماغ والنخاع الشوكي ، وتتفرع فيه الشرايين قبل دخولها إلى الأجزاء العصبية .

ويطلق على الدماغ والنخاع الشوكي ، الجهاز المركزي .

والجزء الثاني من المجموعة الشوكية الدماغية يتكوّن من الأعضاء المعروفة بالجهاز الدائري أو المحيطي وهي الأعصاب . وكل عصب من هذه الأعصاب عبارة عن حزمة مكونة من عدة ألياف عصبية محاطة بغشاء رقيق . والعصب إما صادر من مركز عصبي ، أو وارد إليه . فالأعصاب الصادرة هي التي تنقل الأمر من المركز العصبي إلى العضو الذي يقوم بالعمل ، ولذلك تسمى أيضاً بأعصاب الحركة . والأعصاب الواردة هي التي تنقل الأثر من أجزاء الجسم إلى المركز العصبي ، ولذلك سميت بأعصاب الحس . وهناك أعصاب تقوم بكتا الوظائفين كما يحدث في الأعمال المنعكسة . والأعصاب كلها على نوعين : —

١ — الأعصاب الدماغية ، وهي اثنا عشر عصباً على كل جانب ، وتتفرع

من المخ والنخاع المستطيل، وتخرج من الثقوب التي في قاعدة الجمجمة، ويانها كما يلي بالترتيب : العصب الشمي، والعصب البصري، والعصب المحرك لأغلب عضلات العين، والعصب الاشتياقي « محرك لعضلة واحدة من عضلات العين »، والعصب التوحي الثلاثي وهو أكبر الاعصاب الدماغية وفروعه محرك لعضلات المضغ ومتصلة بحساسية جلد الوجه، والعصب المحرك الوحشي للعين، والعصب الوجهي، والعصب السمي، والعصب اللساني، والعصب الحائر « محرك للقلب والرتين والأمعاء »، والعصب الإضافي الخاص بالتنفس والقناة الهضمية، ثم عصب تحت اللسان.

٢ — الأعصاب الشوكية، وعددها ٣١ عصباً على كل من جانبي الجسم وتركب من : ٨ عنقية، و١٢ صدرية، و٥ قطنية، و٥ عجزية و١ عصباً. وهذه الأعصاب مع النخاع الشوكي تسيطر على الأفعال المنعكسة.

والفعل المنعكس، كالسعال والعطس وإغلاق العين عند اقتراب شيء منها: فجأة، وإبعاد اليد إذا لامست شيئاً ساخناً، وسحب القدم إذا وخزها جسم شائك، وما شابه ذلك من الحركات الآلية المختلفة، التي لا تحتاج إلى إرادة أو تفكير. ويقوم بهذه الحركات أعضاء الجسم نتيجة لمؤثر خارجي. ينتقل تأثيره فيها بواسطة الأعصاب الواردة إلى المراكز العصبية المتصلة بها. وهذه المراكز تصدر عن طريق الأعصاب الصادرة أوامر بالحركة المناسبة. وكل هذا يحصل في وقت وجيز يكاد لا يشعر به المرء. والأفعال المنعكسة تعمل على حفظ الأعضاء التي تقوم بها من الخطر.

ثانياً : العظيم السمبتي أو مجموعة الارتباط العصبي أو المجموع العقدي

وتركب هذه المجموعة من سلسلتين من العقد العصبية متقابلتين مع جانبي العمود الفقري، وهي تتفرع إلى فروع عصبية دقيقة جداً تنتشر في جميع

«الأعضاء التي تقوم بالأفعال غير الإدارية» كالقلب والرئتين والكبد وغيرها من الأعضاء الباطنة «وفي جذر الأوعية الدموية .

فهي تعمل على توافق الوظائف الحيوية للأعضاء الرئيسية في جسم الإنسان، مثل وظائف القلب والمعدة وغيرهما، يساعدها في ذلك النخاع المستطيل .

وكل هذا العمل آلى لا يحتاج إلى المخ إلا في حالات خاصة كتعب القلب أو المعدة أو ما شابه ذلك . وفي هذه الحالات يتدخل المخ ويسعى في إزالة الألم .

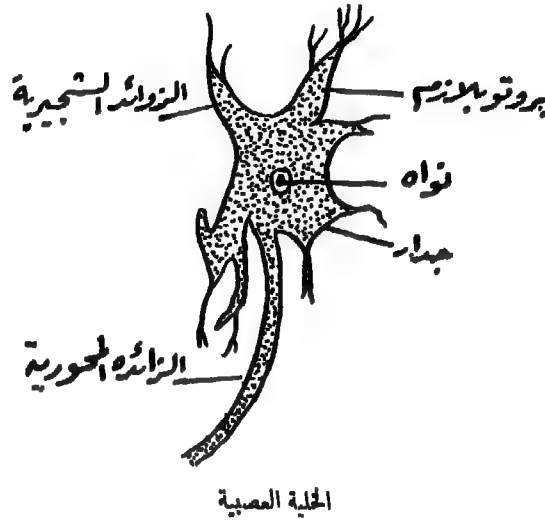
الخلايا العصبية

وجميع أجزاء الجهاز العصبي التي سبق ذكرها «مكونة من عدد لا يحصى من الخلايا العصبية، وتمتاز هذه الخلايا عن غيرها من خلايا الجسم الأخرى بوجود زوائد قصيرة كثيرة التفرع تربطها بعضها ببعض، وتسمى بالزوائد الشجرية . وبكل خلية زائدة واحدة طويلة، تسمى بالزائدة العصبية المحورية، وامتدادها يكون الأعصاب .

وهذا الاتصال الذي يربط بين الخلايا بعضها ببعض غير مباشر، إذ أن الزوائد الشجرية للخلية الواحدة تتقابل مع الزوائد الشجرية لخلية أخرى تقابلها غير تام ! ومعنى ذلك أنه يوجد بين الشجيرات فراغ دقيق . ويسمى هذا الاتصال غير التام، «سِنَابَس» .

وهذا الاتصال غير التام مهم جداً، لأن الإرشادات والآثار التي تحملها الأعصاب المختلفة إلى الخلايا العصبية تنتقل من خلية إلى أخرى عن طريقه . وعليه يتوقف سرعة الإدراك وسرعة أداء العمل أو بطئه، إذ تقفز هذه الإشارات من خلية لأخرى، وقد يصعب ذلك أحيانا فلا تتمكن الإشارة

من الانتقال إلا بصعوبة ، وقد تضطر إلى تغيير سيرها ، فتأخر في الوصول إلى المخ . ولذلك يختلف الناس اختلافاً يَبْيناً في سرعة الحفظ وغيره . لأن الإشارات لا تؤثر في الإنسان إلا متى وصلت إلى مراكزها في المخ .



وأهم ما يجب على المربي معرفته خاصاً بالجهاز العصبي هو :
١ — إن الخلية العصبية تتأثر بالمؤثرات الداخلية والخارجية ، كشعورنا بالجوع ورؤية ما حولنا .

٢ — إن الخلية العصبية تحتفظ بالآثار إلى حين ، ولذلك يمكننا استذكار المعلومات وتكوين العادات العقلية والحركية والخلقية وغيرها .
٣ — إنها هي التي تحمل الإشارات الداخلية أو الخارجية إلى المراكز العصبية .

٤ — إنها تتعب من مواصلة تأدية وظيفتها ، فيجب أن تستريح . وتختلف قابليتها للتعب باختلاف السن ، ولذلك يجب عدم إرهاق الأطفال بتكليفهم الاستمرار في العمل بعد شعورهم بالتعب .

ه — إن كل المؤثرات تصل إلى المراكز كتلة واحدة. فإذا رأينا صورة. فأننا نراها كشيء واحد! وقد نستطيع بعد ذلك أن ندرك أجزاءها المختلفة وأجزاء تلك الأجزاء.

تربية المجموع العصبي :

تبين لنا بما ذكر مدى تحكم الجهاز العصبي في إدارة الجسم، ومدى أثره في عمل العقل بصفته مركزاً له، وكيفية من ذلك أن جميع أعمالنا الجسمية والعقلية، وما يترتب عليها من حالات نفسية كالانفعالات المختلفة، إنما هي نتيجة قيام المجموع العصبي بوظائفه في الظروف المختلفة.

ولما كان هذا المجموع العصبي كغيره من الأجهزة، غير تام النمو عند الولادة فهو إذًا في حاجة إلى التربية الصالحة، والنمو المنتظم الذي يكفل للطفل حياة مستقبلية هادئة سعيدة. وقبل أن نتكلم عن هذه التربية، نلفت النظر إلى أن المسئولية الأولى في نمو هذا الجهاز، تقع على الأم في أثناء حملها، فكثرة السهر والتفكير وعدم انتظام المعيشة في أثناء هذه المدة يؤثر في الجهاز العصبي. لجنينها البريء. ونتيجة لذلك قد ينشأ حاد الطبع كثير الغضب، وقد ينشأ أيضًا ضعيف القوى العقلية.

وتتوقف تربية هذا الجهاز وكال نموه على مراعاة القواعد الصحية في تربية الجسم والعقل منذ الصغر، وما تشمله تلك التربية من تغذية كافية مفيدة وهواء نقي ونظافة مستمرة، ونظام دائم، ورياضة جسمية وعقلية، وراحة كافية، وغير ذلك مما يكفل تأدية كل من الحواس ومن الأعضاء المختلفة لوظائفه على أحسن وجه.

هذا إلى العناية بتنمية كل القوى العقلية مثل الانتباه والملاحظة والذاكرة. والخيال وغيرها، وتدريبها تدريجاً مُنظماً، وتقويتها على القيام بوظائفها خير

قيام . كما يجب أن نعمل على تهذيب الغرائز والميول الفطرية وتعديلها ، واستغلال نشاط الطفل الذاتى استغلالا حسنا حكيمًا فى الوقت المناسب . فلا يصح أن يكون ذلك سابقا لأوانه أو متأخرا عنه ، لأنه يكون فى كلتا الحالتين ضارا بالطفل . ولا يخفى ما لهذه الغرائز والميول من الأثر الكبير فى تكوين مجموع الطفل العصبى وتربيته . ولا شك أن فى ظهورها مجالا واسعا لزيادة عمل هذا المجموع وتدريبه وتمرينه على تأدية وظيفته بما يصل إليه من الآثار التى تأتى له عن طريق الحواس المختلفة . ويتبع ذلك بطبيعة الحال نمو إدراك الطفل الحسى الذى هو نتيجة توطيد الصلة بين المراكز الخفية المختلفة التى تكون المجموع العصبى .

وإن للبيئة المحيطة بالطفل أشد الأثر فى تنمية هذا الجهاز ، لأن كل ما يسمعه الطفل ويراه ويلسه ويتذوقه ينطبع على مجموعته العصبى المرن ، فيتأثر به أشد التأثير ، حتى يصعب إزالة هذا الأثر فيما بعد .

فعلى المربي إذن أن يُعنى كل العناية بتربية المجموع العصبى للطفل منذ صغره على الأساس الذى سبق شرحه ، لأن ذلك يجعل كل جزء من أجزاء جسمه يؤدي وظيفته على أتم وجه . وبذلك يضمن له فى المستقبل حياة سعيدة . وتربية الجهاز العصبى تؤدي إلى قيام الأعضاء الظاهرة والباطنة بأعمالها بنظام . فينمو الجسم نموا طبيعيا مطردا لا اضطراب فيه ، وينمو العقل تبعا لذلك ويقوى .

وإذا ما اشتد جسم الطفل ونما عقله ، قويت إرادته ، واستطاع التحكم فى مشاعره . وضبط انفعالاته . فيسهل بذلك تكوين أخلاقه ، وبث العواطف الشريفة فيه . وينشأ تبعا لذلك نشأة طيبة . ويتجه فى حياته اتجاها صالحا .

وعلى المربي أن يعالج الأطفال ذوى الأمزجة العصبية ، وذلك بمعاملتهم معاملة لينة وإحاطتهم ببيئة هادئة ، خالية مما يهيج أعصابهم ، ويُقلق وجدانهم .

الباب السادس

الغرائز

أثرها في حياة الانسان — دراسة بعض الغرائز الهامة :
التملك أو الاقتناء — حب الظهور أو التسلط —
الانقياد أو الخضوع — المقاتلة .
دافع المنافسة .

الغرائز

إذا شاهدنا الطفل الصغير بعد أن يولد ، نجده يستطيع القيام بحركات كثيرة من تلقاء نفسه ، كتحرك ذراعه ورأسه ، وكالعطاس والتشأوب ، وكالاضطراب والانزعاج ، أو الزحف والجري إن استطاع ذلك ، إذا سمع دويًا مفاجئًا .

هذه الحركات ومثيلاتها إذن فطرية فيه ، خلق الله الطفل وهو قادر على القيام بها ، دون أن يعلمه أحد ذلك .

ومن هذه الحركات ما يسمى بالحركات العكسية أو المنعكسة ، وهي الحركة التي يقوم بها عضو واحد من أعضاء جسم الإنسان إذا ما وُجد سبب خاص له . دون أن يتعلم القيام بها في حياته ، فغمض العين إذا ما اقترب منها شيء . متحرك ، يسمى حركة منعكسة أو فعلاً منعكساً ، والعطاس إذا ما دخل الأنف شيء ، وارتفاع الساق إذا ضرب على أسفل الركبة ، وتضييق حدة العين إذا وقع عليها ضوء شديد ، كل ذلك يسمى بالأفعال المنعكسة .

والفعل المنعكس الذي خلق الله الإنسان قادراً على أدائه ، بسيط لا يكاد يشترك في أدائه إلا عضو واحد من أعضاء جسم الإنسان ، وهو يحفظ كيان العضو الذي يقوم به . فالعين تغمض حتى تتقي بذلك ضرراً قد يصيبها ، والأنف تعطس حتى تخرج من الأجسام التي دخلت فيها ما قد يضر بها ، والحدة تضيق لإزاء النور الشديد حتى تحمي نفسها من أثره وهكذا .

وهناك نوع آخر من الأفعال ، نجد أن الإنسان يستطيع القيام بها بالفطرة دون أن يتعلمها ، ولكنها تختلف عن الأفعال المنعكسة من حيث اشتراك أكثر من عضو واحد في القيام بها ، ومثلها الهرب إذا ظهر أمام الإنسان

ما يخيفه ، فإن ساقيه ويديه وعينه وسمعه تشترك في حركة الحرب . وكالمقاتلة إذا حدث ما يغضبه ، فإننا نجد في الغالب أن أعضاء كثيرة تقوم بحركة الهجوم والنزال . ومثل هذه الأفعال تُسمى بالأفعال الغريزية .

وإذا كان الفعل المنعكس يعمل على حفظ العضو المختص بحركته ، فإن الفعل الغريزي يعمل على حفظ كيان الفرد كوحدة أو الجنس ككتلة . فالإنسان يهرب ليحفظ حياته من خطر داهم ، وهو يقاتل لينتصر على ما يقف في سبيله في الحياة ، وهو يتناسل ليحفظ جنسه من الفناء .

وهذه الأفعال الغريزية المختلفة ، ناشئة عن قوى فطرية كامنة في كل نفس تسمى بالغرائز ؛ فالغريزة قوة فطرية تجعل الإنسان يقوم بأفعال خاصة للوصول إلى أغراض معينة . وتتصل هذه الأغراض بالمحافظة على الإنسان أو على جنسه .

ولقد اختلف الناس في حصر الغرائز الإنسانية ، فمنهم من وصل بها إلى ما فوق الأربعين ، ومنهم من نزل بها إلى اثنتين أو ثلاث . على أن كثيرا من علماء الوقت الحاضر قد اتفقوا على حصرها في أربع عشرة غريزة ، تتميز كل منها بشعور خاص من الوجدان ، يشعر الإنسان به إذا أثرت فيه . فعندما تثار غريزة الحرب يشعر الإنسان بالخوف ؛ وعندما تثار غريزة المقاتلة يشعر الإنسان بالغضب ؛ وإثارة السيطرة تأتي بالزهو ، وهكذا الأمر في بقية الغرائز .

ولقد دعى ذلك العلماء إلى التوسع في تعريف الغريزة التي سبق أن ذكرناه ، حتى يشمل النص على ذلك الشعور من الوجدان ، وقد أطلقوا عليه « الانفعال » .

على أننا لو دققنا النظر في أمر الغريزة وإثارها ، لوجدنا أن الإنسان

ينتبه لما يثيرها فيه ، ويدركه دون غيره من مختلف الأشياء ، فإذا ظهر حيوان مفترس مثلاً ، وأثار غريزة الهرب وجّه الإنسان له أكثر انتباهه . وإذا ظهر شيء جديد أمام المرء فأثار غريزة حب الاستطلاع فيه ، تحول أكثر الانتباه إليه وهكذا .

ولذلك لم يكن التوسع في تعريف الغريزة خاصاً بإدماج الشعور بالانفعال فيه فقط ، ولكن العلماء وضعوا فيه أيضاً نصاً على إلزام الغريزة المرء أن ينتبه إلى ما يثيرها فيه . ويمكننا أن نذكر التعريف الشامل للغريزة فيما يأتي : الغريزة قوة فطرية تجعل الإنسان ينتبه إلى أشياء خاصة (وهي ماثير الغريزة) ويشعر بانفعال خاص ، ويقوم بأفعال خاصة ، أو على الأقل يشعر بدافع الرغبة في القيام بتلك الأفعال الخاصة ، إن كان هناك ما يمنعه من القيام بها . فالاستطلاع مثلاً غريزة تجعل الإنسان ينتبه إلى أي شيء جديد عليه ، ويشعر بانفعال العجب ، ثم يقترب من ذلك الشيء أو يقلبه بين يديه للتعرف عليه ، أو يشعر بالرغبة في ذلك دون أن يحققها ، إن كان ممنوعاً عليه أن يقترب ويقبّل .

وحب الاجتماع كذلك غريزة تجعل الإنسان ينتبه إلى حالة وحدته وانفراده التي تثيرها فيه ، ويشعر بذلك ، ويعمل على أن يذهب إلى مجتمع أو متتدى حتى يكون بين الناس .

والتسلط أو حب الظهور غريزة تجعل الإنسان ينتبه إلى من هم أقل منه ، فهو لاء يثيرونها فيه ، فيشعر بانفعال الزهو ، ويعمل على أن يظهر قدرته وكفاءته أو يتظاهر بهما .

وهكذا في بقية الغرائز .

وإن ذلك الانفعال الذي يظهر عند إثارة الغريزة ، هو نواتها ، وهو ما يميزها عن غيرها من الغرائز الأخرى ، وهو أيضاً الأساس الذي اتخذه

كثير من العلماء لحصرها في الغرائز الأربع عشرة الآتية :

الغريزة	الانفعال
(١) الاستطلاع .	العجب .
(٢) الهرب .	الخوف .
(٣) المقاتلة .	الغضب .
(٤) السيطرة أو التسلط .	الزهو .
(٥) الخضوع .	الخنوع (الاستكانة) .
(٦) الوالدية .	الحنو .
(٧) البحث عن الطعام .	الجوع .
(٨) النفور .	الاشمئزاز — التفرز .
(٩) الاستغاثة .	اليأس .
(١٠) الاجتماع .	الشعور بالوحدة .
(١١) التركيب .	الشعور بحب البناء .
(١٢) الاقتناء أو التملك .	الشعور بحب المملك .
(١٣) الجنسية .	الشهوة .
(١٤) الضحك .	المرح أو التسلية .

ويجب أن نذكر هنا ، أن في الحيوانات غرائز تماثل الغرائز الانسانية ، فالهرب والمقاتلة والاستطلاع والجنسية والبحث عن الطعام والوالدية موجودة في كثير من الحيوانات ، والاقتناء موجود في بعضها كالنمل مثلاً . كما أن لدى الحيوانات غرائز تختلف باختلاف النوع ؛ فغريزة بناء العش موجودة في الطيور ، وبناء الجحر في الثعلب والأرنب وغيرهما .

ولكن غرائز الانسان تختلف عن غرائز الحيوان في أنها أكثر مرونة

وقابلية للتعديل ، وذلك لتغوفه في الذكاء . وفي الحقيقة نجد أن مرونة الغرائز تزداد كلما ارتقى الكائن الحي في المرتبة الحيوانية ، فهي في الحشرات أقل مرونة منها في الحيوان ، وفي الحيوان أقل مرونة منها في الإنسان .

والغرائز أهم الأسس التي يبنى عليها سلوك المرء وأفعاله في الحياة . فالاستطلاع أساس المعرفة والتعليم ، والسيطرة أساس التفوق والمثابرة ، والمقاتلة أساس الكفاح وتذليل العقبات ، والهرب (الخوف) أساس الحذر والاحتراس .

وهذه الغرائز تتفاعل كلها معاً ، وتعدل وتتطور ، وتمتزج وتنظم ، فمنها تتكون العواطف والمثل العليا والأخلاق والعادات التي هي أساس الحياة المنتظمة ، والمعيشة الاجتماعية الراقية . ولذلك كان واجباً علينا أن نغني بها أشد العناية ، وأن نعمل على تهذيبها في الطفل منذ نعومة أظفاره ، حتى لا تدفعه إلى طرق عقيمة تضر به ، وتجعل حياته مليئة بالشروع والبؤس والشقاء .

من كل هذا نرى أن الطفل لا يخلق صحيفة بيضاء كما يقول بعض العلماء ، ولا يخلق شريراً أو صالحاً ، ولكنه يخرج لهذه الحياة بقوى واستعدادات ، إن نحن هذبناها وربيناها ، فإننا نخرجه بذلك فرداً طيباً صالحاً نافعاً لنفسه ولأسرته وللجمع الذي يحيا فيه . أما إن أهملناها فقد تصبح وبالاً عليه . تدفعه إلى الشرور والآثام ، فينبذه المجتمع ، ويشقى في الحياة .

وتهذيب الغريزة ليس معناه الضغط عليها ، فالضغط ضار بالطفل . ومهما حاولنا فلن ننجح في قتل الغريزة أو مسحها من نفسيته . وإن تراءى لنا أننا قد نجحنا ولم يظهر للغريزة أثر ، فليس معنى ذلك أنها قد ذهبت من عقله وانمحت من حياته النفسية ، بل إنها قد اختفت فيما يسمى بالعقل الباطن ، تسير المرء دون أن يدري ويشعر ، وتحدث في سلوكه أسوأ الأثر . وقد

يتسبب عنها شذوذ في خلقه ، واضطراب في عقله .

وقد ينتج عن الضغط رد فعل شديد ، فإن حرمت الطفل من إرضاء غريزة المقاتلة وضغطت عليها فيه ، فقد تنفجر فيقسو أشد قسوة ، ويضرب أخواته الصغار ، ويعتدى على الحيوانات الضعيفة ، بل وقد يعتدى بالقول أو بالفعل على من ضغطها فيه .

على أن آثار الضغط على الغريزة لا يعدو فقط أحد هذين الأمرين السابقين ، بل قد يكون من أثره أن يحاول الناشئ إرضاء غريزته سرّاً وخفية بعيداً عن الرقابة الشديدين عليه ، وقد يندفع لجهله أو لاستعائته بغير مريه ، من خدم أو أطفال أكبر منه سناً ، لأن يسلك طريق الإيجرام ، كأن يسرق إن ضُغِطَ على غريزة الاقتناء عنده ، أو يشاكس الناس ويعتدى عليهم ، إن كان الضغط واقعاً على غريزة المقاتلة .

وكما أن للضغط على الغريزة أثره السيئ ، فإن إعطاء الطفل الحرية الكاملة في إرضائها ضار به ، إذ قد تؤدي به الغريزة إلى مناهج فاسدة ، وبذلك ينشأ فردا غير صالح لنفسه وللجمتمع الذي يعيش فيه . فإن أُعطيت غريزة المقاتلة الحرية الكاملة ، فقد تدفع الطفل للضرب والشجار والقسوة والعنف .

وإذن كان من الواجب ألا تنهج منهج الشدة والضغط في معاملة غرائز الطفل . كذلك يجب ألا نعطيها الحرية كاملة ؛ بل نوجهها في الجهات الصالحة النافعة فنجعل الطفل يرضى غريزة حب الاستطلاع بتشجيعه على السؤال وإشباع عقله بما يناسبه من الإجابات . ونجعل يرضى غريزة المقاتلة في ألعابه الهجومية كلعب البحث والاختفاء « استغاية » وألعاب الحروب « وفي تشجيعه على تذليل ما يعترضه من عقبات وعوائق .

ونحو غريزة السيطرة نحو العمل على التفوق فيما ينفع ويفيد ، لا في أن يهتم الطفل كل الاهتمام بملابسه ومظهره فقط .
وإرضاء الغريزة فيما ينفع الفرد ولا يضر بالمجتمع يسمى «إعلاء» أو تساميا . وهو من أهم ما يجب على المربين أن يقوموا به نحو غرائز الأطفال الناشئين .

المقاتلة والغضب

المقاتلة غريزة موجودة في الإنسان والحيوان ، وظاهرة قوية في الجماعات أيضا ، إلا أنها تأخذ أشكالا متباينة على حسب تأثير نوع البيئة والمجتمع .

ويسحب هذه الغريزة انفعال الغضب . وهو شعور وجداني قوى يحدث بعض آثار ظاهرة في الجسم ، وتحتاج له الأعصاب . وهو الذي يحفز الإنسان للدفاع عن نفسه أمام من اعتدى عليه .

والغضب له أثر خطير في حياة الفرد . إذ يضر بصحته وأخلاقه إذا اشتد وتكرر . أما إذا تهذب ، جعل صاحبه شجاعا مقداما ، يدافع عن أهله ووطنه .

ويثير غريزة المقاتلة رؤية العدو ، أو التعدي على حقوق الفرد ، أو مس كرامته ، أو وجود حائل بين الشخص وبين الوصول إلى رغبته .

وكلنا يلاحظ هذه الغريزة في الصغار وفي الكبار على السواء - فمثلا إذا حاولنا أخذ لعبة من الطفل في الوقت الذي يريد فيه اللعب بها ، أو إذا بعثرنا ما يجمع من الأشياء ، أو حاولنا هدم القصر الذي يشيده من الرمال ، أو غير ذلك من ضروب الممانعة للأعمال التي يميل إليها الطفل ، فإذا نلاحظ

عليه .. ؟ نلاحظ تغييرا في ملامح وجهه ، إذ تبدو عليه أمارات الغضب ، ثم لا يلبث أن يصرخ ويكي ويشتم ويلقي ما بيده ، وربما هشمه أو داسه بأقدامه . ولا يتمكن غالبا من ضبط نفسه إذا كان الشيء عزيزا عليه ، فتراه يهجم على المعتدى يقاتله ويضربه ، ويعضنه لتدخله في أموره الشخصية .

وبين سن ٧ و ١٢ نرى الأطفال يتشاجرون لاتفه الأسباب . وإذا لاحظناهم في الملعب — وخاصة الأولاد منهم — وجدناهم يشبعون هذه الغريزة بالمشاكسة والشجار والملاكمة والمهاجمة وغير ذلك من وسائل المقاتلة .

كذلك الحال مع الكبار . إلا أن الطفل ينقصه ضبط النفس . أما الكبير فيتمكن من ضبط نفسه ، وتحكيم عقله عند الغضب .

هذا ويجب أن نوجه هذه الغريزة إلى ما هو مفيد ونافع لصحة الفرد . وأخلاقه معا . فالألعاب الرياضية بأنواعها ، كالمصارعة وكرة القدم وغير ذلك ، كلها أشياء تنفس عن غريزة المقاتلة .

ولما كان الغضب من الانفعالات الشديدة التي يجب تهذيبها ، وجب على المربين العناية بمعاملة الطفل الغاضب معاملة معتدلة حازمة . وأخذه باللين والهدوء حتى تخمد ثورته ، ويعود إلى حالته الطبيعيه . ولا يصح بأي حال من الأحوال أخذه بالشدة والعنف ، لأن ذلك يزيد الطين بلة . ويترك أثرا سيئا في نفس الطفل ، كما يزيد قوة الباعث على الغضب عنده .

ونستطيع أن نسمو بالغضب إلى عاطفة راقية أو خلق كريم ، بأن نربطه بمثيرات سامية ، كالغضب للحق والدفاع عن الأهل والوطن . ومواجهة الصعاب والتغلب عليها .

غريزة الأدخار أو التملك

كثيراً ما نلاحظ هذه الغريزة بوضوح وجلالة في عهد الطفولة ، بل إننا لنراها تلازم بعضنا طول حياته . فمن يبحث في جيب أحد إخوته الصغار يجد محسواً بذخائر يراها الصغير في نظره ثمينة « وما هي إلا قصاصات من ورق ملون أو قطع من الخزف أو الحجر أو الزجاج ، أو عدد من البكر أو المسامير أو ما شابهها . فالطفل يجمع ما يقع تحت متناول يده ، أو يجتذب التفاته ، بغض النظر عن فائدته أو قيمته ، وهو في ذلك يلبي نداء هذه الغريزة المُلحّة . وتختلف الأشياء التي يدخرها الطفل على حسب البيئة التي يعيش فيها . فالطفل القروي تختلف مجموعة مقتنياته عن ساكن المدن ، ومجموعة المصري تخالف بعض المخالفة مجموعة الانجليزى أو الفرنسي .

وكل ما يجمعه الطفل يعتبره ملكاً له ، يدافع عنه ويذلل النفس والنفس . في سبيل الاحتفاظ به . وهذا الميل الغريزي في الطفل يصحبه سرور ولذة عظيمان ، هما نتيجة شعوره بأن له شيئاً يحتفظ به ويستمد التسلية والقوة منه . وإننا لنلاحظ أن الطفل يميل إلى تملك كل ما له علاقة مباشرة به « فهو يعتبر ثدى أمه ملكاً له ، كذلك مربيته « ولعبته وملبسه ، وهلم جرا .

قيمتها في التربية :

إن لهذه الغريزة قيمة في التربية لا يستهان بها إذا وجهت الوجهة الصالحة . فقائدة الأشياء المدخرة ليست مقصورة على قيمتها فحسب ، بل إن هذه الأشياء تعمل على استثارة شوق الطفل إلى ملاحظتها ملاحظة دقيقة ، وإلى البحث عن منشأ وفائدتها وقيمتها الجغرافية أو التاريخيه ، ومقارنتها بما يماثلها ،

وتدوين الملاحظات عنها ، ثم وضعها في مكان خاص ، ترتب فيه مع غيرها من الأشياء التي من نوعها من نبات أو حيوان أو جماد . وبذا تكون هذه الغريزة وسيلة لتوسيع معلومات الطفل . كما تصبح هذه المعلومات التي سعى إلى تحصيلها يباعث من عنده ، ذات أثر قوى في نفسه .

وقد أدرك المربون ما لهذه الغريزة من فائدة في التعليم ، فأنشأت لكل مدرسة متحفا خاصا لما يجمعه الأطفال من مختلف الأشياء ، وشجعتهم على جمع كل ما يتصل بدروسهم المختلفة .

وقد يحصل أن يندفع الطفل بحكم هذه الغريزة ، فيمد يده إلى ما لا يملك . وقد يعتبر سارقا في نظر أمه في هذه الحالة ، فتعاقبه دون أن يكون هناك ما يستحق العقاب ، إذ أنه لا يفرق بين ما هو خاص به ، وما هو خاص بغيره . وواجب الأم في هذه الحالة أن تفهمه أن ما أخذه ليس ملكا له ، بل هو ملك لغيره ، وأن عليه أن يرده إلى صاحبه . وأنه كما لا يجب أن يتعدى على متاعه أحد ، فكذلك يجب ألا يتعدى على ما هو ملك للغير . وعلينا أن نشبع هذه الغريزة في الأطفال بأن نخصص لهم (مصروفا) ، ونمدمهم باللشعب التي تناسب أعمارهم حتى لا تدفعهم هذه الغريزة إلى إرضائها في الخفاء .

غريزة تاحب الظهور والخضوع

غريزة حب الظهور أو السيطرة :

هذه الغريزة تدفع الطفل لأن يعمل على اجتذاب أنظار الغير نحو ما يقوم به من شتى الأعمال ، كما تحمل صاحبها على معارضة سلطة الغير حبا في الاستقلال والحرية الشخصية ؛ وتدفعه إلى تسخير غيره في قضاء حاجاته .

ولو أننا لاحظنا تصرفاتنا ، لوجدنا هذه الغريزة ظاهرة جليلة فيها . فكل واحد منا يسعى لمقاومة نفوذ الغير ، وإظهار سلطته عليه بكل ما أوتي من قوة جسمية أو نفسية . وفي هذا يشعر المرء بشيء من اللذة والراحة الناتجين من إشباع هذه الغريزة .

وإننا لنرى الطفل يسعى لإظهار قوته على بيئته ، ويحاول أن يبسط سلطته عليها ، ويسخرها في أموره الشخصية . فهو يحب في لعبه أن تكون له السيادة ، فتارة يرفع شيئاً ثقيلاً ليظهر قوته الجسدية ، وطوراً يحاول أن يخضع لعبته ليدوم بمظهر السيطرة والسلطان . وقد يقاوم الطفل سلطتنا مستعينا بغيره من الأطفال الذين يلعب معهم . ولكن طبائع الأطفال تتفاوت في قوة الباعث لهذه الغريزة ؛ فبعضهم يقاوم بشدة ، وبعضهم يخضع بسهولة . والطفل الذي يقاوم سلطة غيره ، يسعى غالباً إلى تسليط قوته عليه . وهذا يظهر جلياً في ألعاب الأطفال الجمعية ، حيث نجد أكثر من واحد منهم يتسابق للقيادة وإعطاء الأوامر . والطفل الذي يأمر وتطاع أوامره ، لا بد أن يكون خليقاً بالقيادة ، مزوداً بعناصر جسدية أو فكرية تؤهله لتزعم غيره من الأطفال . وهناك عدا إلقاء الأوامر وحب القيادة منافذ أخرى للطفل ، يظهر بها سلطته ، كالتظاهر والتفاخر والاستئثار بالكلام . وهذه المظاهر نشاهدها كثيراً في أطفالنا كل يوم .

وواجبنا أن نخفف من وطأة هذه الغريزة ، فلا نغالى في زخرف ملابس الطفل كيلا نساعد على التفاخر والكبرياء . كما يجب ألا نعوّد الطفل الأمر والنهي ، لأنه بذلك يصبح غير قادر على طاعة غيره في المستقبل . ولكي نجعل الطفل مطيعاً قابلاً للانقياد ، يجب أن نعالجه بالحزم ، والحكمة بدلاً من القوة والعنف ، وإلا نشأ جباناً ضعيف الإرادة لا يعمل

إلا إذا أرغم على العمل ! مثله في ذلك كمثل الحيوان الأعجم ، تدفعه فيسير
بلا تصرف ولا إرادة .

غريزة الخضوع :

قد يكون الطفل بطبيعته خاضعا مستسلما لسلطة غيره ، فهو يخضع لكل
ما يؤمر به بدافع غريزته المضادة لغريزة السيطرة ، وهي غريزة الخضوع
والانقياد . وشتان ما بين الغريزتين . فالأولى تشعر صاحبها بالفوز والنصر ،
وتدفعه إلى الزعامة والسيطرة ، أما الثانية فتجعله ضعيفا مستكينا ذليلا قليل
الثقة بنفسه .

وقد يكون السبب في خضوع الطفل استمرار التسلط عليه مما يؤدي
إلى الضغط على غريزة حب الظهور فيه ، ويدعو إلى إذلاله وعدم الثقة في نفسه
والشك في قدرته . والواجب علينا والحالة هذه أن نعمل على إزالة هذه
الأسباب بكل الطرق الممكنة ، وذلك بأن نشعره بأهميته ومقدرته فنحمله
بعض المسؤوليات والأعمال المناسبة لمقتضى حاله ، ونشجع غريزة الظهور فيه ،
ونعوده الاعتماد على النفس ، والثقة بها ، كما نعوده الإقدام والثبات
والمثابرة والتغلب على ما يقف في سبيله من الصعاب .

ويجب أن نعاذل بين الغريزتين حتى تصبح النسبة بينهما متزنة ، فلا يعود
الطفل ذليلا ولا متهورا . كما يجب أن ندرّبهما على ما فيه الخير والفائدة
لحياة الفرد والجماعة .

المنافسة والمباراة

المنافسة دافع نفسى مصدره غريزتا السيطرة والمقاتلة ، يسوق صاحبه إلى ميدان العمل لينافس غيره ويصل إلى ما وصل إليه من المقدرة والمهارة ويعمل على التفوق عليه . ويعتبر هذا الدافع باعثا قويا على تقدم الأفراد والجماعات ، بل والأمم بأسرها . فهو الذى يثير همة الفرد وعزيمته . فيندفع إلى العمل برغبة شخصية تجعله يبذل كل ما فى وسعه ليلحق بمن هم خير منه . ويرتب على ذلك تقدمه وارتفاعه إلى مستوى أرقى من مستواه العادى . ولا يخفى أن فى ارتفاعه هذا إثارة لمن هم دونه مقدرة وكفاءة ، فتقوى عزيمتهم ، ويزيد اهتمامهم ويجدون فى اللحاق به .

ولنا لنلاحظ هذا الدافع فى الطفل فى الدور الأول من حياته ، فيما بين الرابعة والخامسة . فهو مع إخوته يقلد حركاتهم ، وكثيرا ما يأتى لنا قائلا أنظروا كيف أقدر على فعل ما قام به أخى كالقفز وقذف الكرة وبناء شئ وغير ذلك .

هذا والمنافسة فى الألعاب الجمعية بين الأطفال والكبار ظاهرة جليلة نشاهدها فى كل مناسبة .

المباراة والتربية :

لما كان للمباريات أثر فى تقدم الفرد والمجتمع ورفقيهما ، كان من الواجب على المربي أن يعنى بها كل العناية ، وأن يحسن تنظيمها ، وإلا كانت تثيرها الحقد والغيرة والحسد والعداوة بين الأفراد . وربما أثارت فى نفس الفائز روح الغرور ، وبعثت فى نفس المغلوب روح اليأس . وهنا يصبح ضررها أكثر من نفعها .

وعلى المربي والمربية أن تستشير هذا الميل في الطفل ، بأن تشجع الضعيف والقليل الثقة بنفسه ، على منافسة من هو أقوى منه ، وألا تؤنبه أو تحقره إذا لم يتمكن من ذلك . إذ أن قوى الأفراد تتباين . وليس بالمعقول أن تكلف الطبيعة فوق طاقتها ، وتطالب الطفل بما هو فوق مقدوره . بل الواجب ألا تكلفه من الأعمال إلا بما يمكنه النجاح فيه . وأن تتدرج معه على حسب مقدراته الطبيعية ، كما يجب أن تعودته المثابرة على العمل ، والجد في الوصول إلى ما تصبو إليه نفسه .

ويجب تشجيع المنافسة الشخصية ، أى بين الفرد ونفسه ، عندما يبلغ الطفل المنزلة العقلية المناسبة لذلك . وتنظيم المباريات بين جماعة وجماعة ، يعد الطفل الايثار واحترام الجماعة والعمل لنصرتها .

على أنه لا يجوز المغالاة في الثناء على الفرد ، أو منحه المكافآت لهذا الغرض ، لأن في هذا ما يثير الحقد بين الأطفال .

ويجب أن يسود المنافسة روح الصداقة والتقدير للجهود الذى يبذله المتنافسون ، لأن ذلك من أكبر العوامل التى تساعد على ترقية المجتمع ورفع شأنه .

الباب السابع

الميول الفطرية العامة – أثرها في حياة الانسان –
ضرورة مراعاتها في التربية .

الميل الفطرية العامة

نشاهد علاوة على تلك الأفعال الغريزية التي يستطيع المرء القيام بها دون أن يتعلمها من أحد إذا ما اضطرت الظروف والمناسبات لذلك ، أنواعاً أخرى من السلوك الفطري تشابه كثيراً السلوك الغريزي ، حتى أن كثيراً من الناس لا يميّز بينهما ، ولا يرى فارقاً فيهما . ومثل هذا السلوك الفطري : التقليد واللعب .

فالطفل الصغير قادر على أن يقلد غيره في حركاته وأفعاله ؛ فهو يبتسم إذا ما ابتسمت أمه له ، ويطوح يديه إذا فعل أحد أمامه ذلك ، ويتكلم باللهجة التي يتكلم بها من حوله ، ويمشى مشية أبيه ، ويتصفح الجريدة قبل أن يعرف القراءة والكتابة ، لأنه يرى أباه يتصفحها ، وهكذا .

ونستدل من هذا على أن الطفل مجبول بقوة فطرية تجعله قادراً على أن يقلد غيره في الحركات والأفعال .

على أن تقليد الطفل لا يقف عند القيام بالحركات والأفعال التي يشاهد غيره يقوم بها ، بل إننا نشاهد فيه قدرة على تقليد الغير في وجداناتهم ومشاعرهم وعواطفهم ، فهو يفرح إذا رأى شخصاً فرحاً ، ويغضب إذا وقع بصره على وجه غاضب ، ويشمتز إذا ظهرت علامته الاشتزاز على أحد في رفقته .

وهو أيضاً قادر بالفطرة على أن يقلد الغير في آرائهم وأفكارهم وعقائدهم . فإن قال أبوه إن هذا المنظر جميل ، صدقه وآمن به ، دون أن يطلب دليلاً أو يتزود ببرهان . وإن أوحيت إليه أن رجلاً من الرجال كريم عظيم ، قد يصدقك فيما تقول ، دون أن يبني تصديقه لكلامك على أى أساس .

ونستخلص من هذا أن في الإنسان قوة فطرية تجعله مستعداً لأن يتقبل آراء الغير وأفكارهم وعقائدهم ، وهو مقتنع واثق ، دون أن يقدم له دليل أو برهان للتصديق على صحة تلك الآراء والأفكار والعقائد . وتسمى هذه القوة الفطرية « بالاستهواء » .

وأن فيه قوة أخرى تجعله مستعداً لأن يشارك الغير في وجدانهم ، فيفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ، ويحب لحبهم ، ويخاف لخوفهم . وتسمى هذه القوة الفطرية « بالمشاركة الوجدانية » .

وكذلك يخلقه الله تعالى وفيه قوة فطرية أخرى تجعله يقوم بالحركات والأفعال التي يقوم بها الغير وتسمى هذه القوى « تقليداً » .

والسبب الذي من أجله لم تعتبر هذه القوى أو الميول الفطرية غرائز ، ينحصر في أنه ليس لأيٍّ منها وجدان خاص أو انفعال كما سبق أن ذكرنا . فالاستهواء قد يرتبط بالفرح أو الحزن أو الخوف أو الغضب تبعاً للفكرة ، أو الرأى الذي يوحى الغير به إلى الإنسان . فقد تكون الفكرة سارة فيفرح ، أو محزنة فيحزن ، أو مخيفة فيخاف ، أو مثيرة للغضب فيغضب .

أما في المشاركة الوجدانية ، فهذا الفرق واضح بينها وبين الغريزة . فبينما أن إثارة غريزة الهرب دائماً يصحبها خوف ، فإن المشاركة الوجدانية قد تكون على شكل خوف أو حب أو إعجاب أو زهو أو غير ذلك . فإن شاهدت شخصاً عليه علائم الخوف خفت ، أو آخر تبدو عليه أمارات العطف عطف ، وهكذا .

وكذلك الأمر في التقليد . فقد أقلد حركة من الحركات وأنا مسرور جذل ، وقد أقلد أخرى وأنا خائف وجل .

ولذلك سميت هذه القوى الفطرية بالميول الفطرية العامة ، تميزاً لها عن

الغرائز التي تسمى بالميل الفطرية الخاصة ، وذلك لأن لكل غريزة وجدانا خاصا بها . يظهر إذا ما أثبتت في أى الظروف والمناسبات .

والمشاركة الوجدانية والتقليد ، ليسا قاصرين على الإنسان بل إنهما موجودان في الحيوان الاجتماعي . أى الذى ينتقل مع غيره في قطع . كالخيل والبقرة والغنم وغيرها .

والميل الثلاثة . لها أكبر الأثر في نشأة الطفل الصغير . فهو عن طريقها يقلد أباه وأمه ومن يحتك به . في آرائهم ووجداناتهم ومشاعرهم وأفعالهم . فإن كانت طيبة ساعد ذلك على تنشئته فردا صالحا . وإن كانت فاسدة أضرت ذلك بتكوينه ، وخرج للحياة بنزعة للشر والفساد . ولذلك كان من الواجب أن نكون قدوة صالحة لأطفالنا الصغار . نقوم أمامهم بالأفعال الطيبة حتى يأخذوها عنا ، فتصبح عادات فيهم . فالمثابرة والنظافة والنظام واللغة الصحيحة والألفاظ الطيبة وغير ذلك ، يمكن أن نكونها في الطفل عن طريق التقليد .

والعطف على البائسين وحب الأسرة والوطنية والتحلي بالصدق والأمانة . يمكننا أن نبشأ فيهم عن طريق المشاركة الوجدانية .

والعقيدة الدينية والآراء الصالحة والتقاليد الطيبة . يمكننا أن نفرسها فيهم عن طريق الاستهواء .

وهذه الميل الثلاثة قوية في الطفل الصغير ، وذلك لقلة خبراته وعجزه في الحياة . وتضعف كلما اشتد ساعده ، واعتمد على نفسه ، ونضج فكره وقويت فيه النزعة للاستقلال والعمل .

وتتداخل هذه الميل بعضها في بعض ، وهي تعمل معاً كأنها وحدة .

فقد يُبَسِّثُ في الفرد رأى خاص عن شخص فيجعله ويحترمه ، ويعمل على أن يأخذ عنه ما احترمه من أجله .
وبذلك يعمل الاستهواء والمشاركة الوجدانية والتقليد عملها كأنها قوة واحدة ، لا تنقسم عراها ولا تنفكك رابطتها .

الاستهواء

كل منا لديه آراء كثيرة ، ومعلومات شتى ، وتقاليد معينة ، في مختلف مرافق الحياة ، يتمسك بها في جميع أحواله ، ويعززها وينشرها بين الناس . وإذا حققنا النظر ، وجدنا أننا قد أخذناها عن غيرنا من غير قصد أو تفكير . ذلك لأن كلاً منا في هذه الحياة متأثر بطبيعته بآراء غيره متأثراً يختلف باختلاف استعداداته وظروفه وأحواله والبيئة المحيطة به ، وخاضع في كل ذلك للبل الفطري الذي يجعل الإنسان متأثر بأفكار غيره واعتقاداته فيقبلها دون معارضة أو تمحيص . وهذا ما يعرف بالاستهواء . ولولاه لنشأ كل فرد مستقلاً برأى خاص ، ولنتج عن ذلك اضطراب المجتمع واختلال كيانه واندثار تقاليده بل وحضارته . ولكن الواقع أن الأفراد تؤثر في الجماعات ، والجماعات في الأفراد ، كما أن الفرد يؤثر في الفرد وفي نفسه أيضاً ، وبهذا تحتفظ الأمة بتقاليدها ، والشعب بمعتقداته ، ويشب الصغار على شاكلة الكبار ؛ فابن المتدين يشب متديناً في الغالب ، وابن الوطنى يشب وطنياً ، والشرقى يأخذ بعرف قومه ، والغربى يسير في معيشتهم على نمط الغرب وهكذا .

وطور الطفولة مرآة جليلة نرى فيها أثر الاستهواء في الحياة . فإذا أوحيت لطفل كثير الحركة بأنه سيكون هادئاً ، وسيستمع بسكون إلى القصص التي ستلقاها عليه ، فقد يجدى معه هذا الايحاء ويركن إلى الاستقرار والسكون . وبتشجيع الطفل على الرفق بإخوته الصغار واستهوائه إلى العطف عليهم ، يسهل

علينا أن نقوى فيه عاطفة المحبة نحوهم . وإذا كان لدينا طفل خجول ، فإننا نساعد في التغلب على خجله بالإيحاء اليه القدرة على أداء ما نعهد إليه من مختلف الأعمال .

وإذا أشرنا للأطفال كم يكون جميلا منهم أن يساعدوا في تنسيق الحجرة ، فإنهم يفعلون ذلك في حماس .

وهكذا نستطيع أن نستوى الأطفال ، ونؤثر فيهم أشد التأثير ، فيندفعون للعمل برغبة قوية من محض إرادتهم ، وقوة صادقة من عزيمتهم . ولا صعوبة في ذلك بعد أن أصبحت التليحات الموحاة حقائق ماثلة في أذهان الأطفال عن طريق قابليتهم للاستواء ، وسرعان ما يحققونها . غير أن الأطفال قد يتأثرون بعكس ما نوحيه اليهم في بعض الأحيان ، فيقومون بضد ما نريد . وهذا ينشأ في معظم الأحوال عن كراهية الطفل للوحى ، أو رغبته في إظهار شخصيته . ولذلك كان نجاح الاستواء متوقفا على قدرة المربي ومهارته وحكمته وتصرفه تصرفا حسنا مناسباً للظرف الذى هو فيه مع الأطفال .

والاستواء ولا شك أكبر نفعا من أساليب الأمر المختلفة التى طالما تدعو الأطفال للتمرد والعناد . ويختلف استعداد الأطفال للتأثر بالاستواء باختلاف أعمارهم وظروفهم وأحوالهم ويتبين ذلك فيما يلى : -

١ - الاستواء قوى في السنين الأولى ، ولعل ذلك يرجع لقلة خبرة الأطفال بالحياة ، وخلو أذهانهم من ضروبها وتفصيلها ، ونقص إدراكهم مما يجعلهم غير قادرين على النقد والحكم .

٢ - تزداد قابلية الاستواء عند الأطفال إذا وجدوا في جماعات كأن يكونوا مع إخوتهم في البيت أو أقرانهم في المدرسة . وهذا أحد الأسباب التى من أجلها يرى بعض المربين ضرورة جعل المدرسة مركزا للحياة الطفل الاجتماعية .

٣ — تقل هذه القابلية تدريجيا كلما تقدم الاطفال فى السن . وهذا طبيعى لأن تقدمهم فى السن يصحبه نمو فى العقل ، وزيادة فى الخبرة وقدرة على النقد والتمييز .

وتزيد القابلية للاستهواء تبعا لعوامل أخرى أهمها ما يأتى :

- ١ — التسرع فى القول أو الفعل .
 - ٢ — ضعف الشخصية وعدم الثقة بالنفس .
 - ٣ — شدة المزاج العصبى .
 - ٤ — الجهل بموضوع الاستهواء أو اضطراب معلومات الفرد عنه .
 - ٥ — صعوبة تحكيم العقل وإعمال الروية لسبب من الأسباب العارضة ، كالتعب والمرض والتنويم المغناطيسى وغير ذلك .
- والنساء بوجه عام ، أشد قابلية للاستهواء من الرجال وذلك لرفقة عواطفهن وسرعة تأثرهن . كما أن الإنسان بوجه عام يكون فى وسط الجماعة أميل إلى ما يوحى إليه به منه إذا كان منفردا .

وليس كل إنسان قادرا على استهواء غيره ، ولا يكون ذلك وليد الصدف ، بل إن هناك صفات يجب توافرها فى الموحى ليتسنى له ذلك وهذه الصفات هى :

- ١ — أن يكون الشخص ذا مكانة عالية وشخصية بارزة محترمة .
- فالاستهواء يكون أقوى إذا صدر من رئيس إلى مروض أو من مرب إلى أطفاله .

٢ — أن يلقى الموحى كلامه وحديثه وعباراته بلبهة الواثق المطمئن المتمكن من نفسه ، دون أن يدع مجالا للشك أو التردد فى قبول فكرته .

- ٣ — أن يكرر الموحى إيجاه ، لأن التكرار فيه معنى التأكيد فتكرار

الموحي لفكرة أو رأى أو عقيدة مثلاً يوحى بأهميتها ، وإذ ذاك يتسرب هذا الاهتمام إلى الموحى إليه ، فتمكن الفكرة أو الرأى أو العقيدة ، وترسخ في ذهنه ، فينزع للعمل بها .

٥ — أن يلقي إيجاءه بصيغة إيجابية لأن استعمال النفي والنهى قد يثير الفكرة المعارضة التى يريد الموحى أن تحيد عنها الجماعة أو الفرد . وبذلك يتجنب ما يسمى بالاستهواء العكسى .

٥ — أن يستعين بأقوال العظماء المعترف لهم بالمكانة ، لأن هذا يكسب كلامه قوة على التأثير والإقناع .

٦ — أن يكون فطنا في تفهم عقلية من يوحى إليهم بأرائه ، حتى يصوغها في الشكل الذى يوافق تلك العقلية فيقبلوها باقتناع .

ولما كانت حياة الطفل ومستقبله يتوقفان على الطريقة التى يسلكها المربي في تربيته ، ولما كانت أخلاقه مبنية على كيفية معاملته له ، يجب قبل كل شيء أن يعمل على أن تكون شخصيته جذابة لأطفاله ، وأن يكون موضع ثقتهم ، فيعطف عليهم ويحبهم ، وينزل إلى مستوى عقليتهم في كل فرصة . كما يجب أن يكون واقفا مما يلقى على الطفل وأن يحسن اختياره ليكون متفقا مع ميوله ومناسبا لعقله ومداركه ، كما يجب أيضا أن يوحى آراءه وأفكاره بطريقة حسنة ، وبعبارة مناسبة مشوقة مثيرة للرجبة ، مراعىا تكرارها في المواقف المناسبة . فإن فعل ذلك سهل عليه استهواؤه للأطفال ، وتكلفت مهمته في ذلك بنجاح .

الاستهواء والتربية :

قد يئنا فيما تقدم أن الفرد يؤثر في الجماعات ، وأن الجماعات تؤثر في الفرد ، وأن الفرد يؤثر في سواه وفي نفسه ٥ وعلى هذا الأساس يمكننا أن شئنا نوعين للاستهواء .

١ — أحدهما خارجي : وهذا يشمل تأثير الفرد في غيره سواء أكان

فردا أم جماعة . ولهذا النوع شأنه الخطير في تكوين الأفراد ؛ فروح المرء وما تنطوى عليه من خير أو شر ، وروح الأسرة وما يسودها من الشقاء أو الهناء ، وكذا روح المجتمع وما يشمل من مختلف الأنظمة والتقاليد ، كل هذا من عوامل الاستهواء الخارجى الذى له أثره فى استهواء الأفراد والجماعات .

٢ — والآخر داخلى أو ذاتى : وهو تأثير الشخص فى نفسه ، بما يدعو به إلى التفاؤل تارة والتشاؤم أخرى ، وليس منا من يجمل خطر التشاؤم على حياة بعض الناس الذين يؤثر فيهم الوهم لدرجة بعيدة لا يستطيعون معها مواصلة العمل أو الإقدام عليه . وبذلك يذهبون ضحية وهمهم الذى يُبدل حياتهم تبديلا . وإنا لنشاهد كثيرا من الناس يوحون إلى أنفسهم بالمرض بينما لا يكون أجسامهم علة فيمرضون حقا ، وتنقلب حياتهم بؤسا . ومنهم من يستهونون أنفسهم فى حالات المرض بأنهم آخذون فى سبيل الشفاء ، فيتحسن حالهم بالتدريج والعاقل من يوحى إلى نفسه بالخير ، ويعلمها بالآمال والقدرة على التغلب على الأمراض والمصاعب ، فإن مثل هذا الإيحاء الذاتى يعطى الإنسان قوة على مقاومة متاعبه ، ويغرس فيه الثقة بالنفس ويجعله يقدم على أعماله بشجاعة وثقا من نجاحه فيها . قال الإمام على : « تقال بالخير تنله » .

وسواء أكان الاستهواء داخليا أم خارجيا ، فأساسه والأصل فيه واحد ، إذ لا يخرج عن فكرة يلقيها الشخص فى نفسه أو نفس غيره ، فيقبلها دون معارضة ، وتصبح لديه بطريقة لا شعورية عقيدة ثابتة ، تدفعه إلى العمل . وأثر ذلك يتجلى واضحا فى الأطفال . فإننا لا نكاد نوحى إلى الطفل بفكرة من الأفكار ، إلا ونراه قد تعلق بها وعمل على تنفيذها .

وتختلف قوة أثر الفكرة الموحى بها على حسب ما يتصل بها من الانفعالات والوجدانات النفسية . فإذا خطر بذهن المرء فكرة وكان متحمسا

لها ومؤمناتها، أو كانت مصحوبة بسرور أو خوف، فإنها لا تلبث أن تملك عليه قياده، وتتغلب على ما يعارضها من الآراء. وسرعان ما ينتقل أثرها إلى حيز الفعل والعمل.

وليس الاستهواء مقصورا على عالم النظريات الفكرية، بل إن له أكبر الأثر في نواحي الحياة العملية. فالطبيب قد يوحى إلى المريض فيشفى أو يزيد مرضه؛ والقائد يستهوى جنوده فيستمتتون في القتال؛ والزعيم يخطب شعبه فيثور أو يهدأ حسبما يريد؛ والمربي يؤثر في أطفاله فينجحون في الحياة أو تضعع آمالهم فيها.

فليس من زخرف القول إذن أن نقول إن على الاستهواء يتوقف نجاح الفرد، بل المجتمع، بل العالم بأسره. ففي كل بيئة مهما كانت درجتها من الرقي أو الانحطاط أناس يؤثرون فيمن حولهم فيوجهونهم وجاهات خاصة، وهؤلاء يؤثرون في غيرهم. وهكذا نرى كل جماعة تصطبغ بصبغة واحدة، ويسودها روح واحد هو روح رؤسائها أو أبرز الناس شخصية فيها.

من هذا يتبين لنا أثر الاستهواء في الحياة. وقد سبق القول إن الأطفال هم أشد الناس قابلية له. ولما كانوا هم رجال المستقبل ونساؤه، وكان الاستهواء دافعا إلى العمل، وكان العمل مظهرا للشخصية المرء، لذلك كان واجبا مقدسا على كل من يعهد إليه أمر تربية الطفل، أن يعنى عناية خاصة بالأمور الآتية: —

١ — اختيار البيئة : لا شك أن للبيئة أثرا كبيرا في نشأة الطفل فمن يختلط بهم من الناس، وما يسمعه من كلمات، وما يقرؤه من كتب ومجلات وجرائد وروايات، وما يراه من مناظر، كل ذلك يستهويه فيجعله يحب الخير أو الشر على حسب ما يحيط به من الظروف. لذلك فالعناية واجبة بتعرف

أحوال البيئة التي تحيط بالطفل ، واختيار أصدقائه ، ومراقبة من يتصلون به في المنزل من خدم وغيرهم ، وحسن اختيار ما يقع تحت حسه من كتب ومجلات ونحوها ، والاهتمام بإحاطته ببيئة نظيفة مرتبة منظمه . وإن أقل توانٍ في مراقبة بيئته المنزلية أو المدرسية لهدم أساس تربيته .

٢ — القدوة الصالحة : قد سبق أن قلنا إن الروح الذي يسود المنزل والمدرسة سواء أكان حسنا أم سيئا يتوقف على نوع الإيجاء الذي يوحيه الكبار إلى الصغار ، لأن المربي هو القدوة التي يقتدى بها الطفل ، والصورة التي يتمثل بها ويحاكيها في حركاتها وسكناتها وأعمالها وأقوالها . وإن تأثير شخصيته فيه لعظيم جدا ؛ فكل ما يوحيه إليه بكلامه وأعماله يصير أمامه حقيقة ماثلة سرعان ما ينزع إلى التمسك بها والعمل بمقتضاها . وإن اهتمام المربي بأمر من الأمور ليسرى إلى الطفل فيتم به بدوره . وبهذه الطريقة نستطيع أن نغرس في نفسه الفضائل والصفات الحسنة ، بإثارة العواطف السامية . فإذا أوحينا إليه أن لون الشفق جميل ، وأن منظر القمر تحت السحاب خلاب ، أو أن هذه المزروعات والأزهار جميلة التكوين والتنسيق يتجه نظره وانتباهه إليها من حين لآخر ، وبذلك نحجب إليه جمال الطبيعة ونكوّن فيه العاطفة الجمالية . وبمثل هذه الطريقة نغرس فيه عاطفة حب الوطن والتدين وحب العلم والعاطفة الخلقية وغيرها من العواطف التي لها أشد الأثر في حياته المستقبلية .

وهكذا إذا كان الكبار قدوة صالحة للصغار ، وكانوا فوق ذلك محبوبين عندهم ، فلا شك أن الصغار يتأثرون بهم ، ويحبون ما يحبون ، ويكرهون ما يكرهون . وفي ذلك قال أحد الحكماء يخاطب معلم ولده « ليكن أول إصلاحك لولدى إصلاحك لنفسك ، فإن عيوبه معقودة بعيبك ، فالحسن عنده ما صنعت والقبيح لديه ما تركت » .

٣ — التشجيع والتشويق : إن المربي القدير ليوحى إلى طفله كل خير . ويشجعه على ما يقوم به من طيب الأعمال ، ويبحث فيه الحيوية والنشاط ، ويحمله على الجد والمثابرة ، ويحبب إليه العلم ، ويشوقه بشتى الطرق إلى الإقبال عليه ، ويسهل لديه الصعب من الأمور فيصير سهلا ، ويذلل أمامه العقبات فيقتحمها بصبر وجلد .

ومع ما للاستهواء من قيمة في تشجيع الأطفال ، وغرس الفضائل فيهم ، وتحبيب العمل لديهم ، وتذليل العقبات أمامهم ، وتحسين الصلة بينهم وبين القائمين بأمرهم ، فإنه في الحقيقة سلاح ذو حدين يجب الاحتراس من أضراره التي تنشأ من التحدى في أن نجعل الأطفال يقبلون كل شيء تلقية عليهم بدون نقاش ولا معارضة ، لأن ذلك ينشئهم ضعافا في شخصيتهم . بل يجب أن ندع لهم فرصة للنقاش والبحث والتمحيص ، ونستهوهم لذلك كأن نقول لهم : أنا أعتقد أنه يجب عليكم أن تعملوا كيت وكيت ، أو أن تقرأوا في كتاب كذا ، أو تسألوا سؤالا عن كذا حتى تتأكدوا مما أقول . وبذلك يكون قد استعمل المربي الاستهواء استعمالا طيبا معقولا .

الاجتماع والمشاركة الوجدانية

ليس في وسع صغير أو كبير أن يعيش منفردا في الحياة ، لأن الإنسان بفطرته ميل إلى الاجتماع . والمرء كما يقولون مدنى بطبعه . فالطفل يميل من صغره لأن يجتمع مع غيره ، وكذلك الكبير . وهذا الميل هو في الحقيقة أساس تكوين الجماعات والطبقات التي تتضامن وتتعاون في إدارة شئون الحياة وتنظيم المجتمع . وكلما كان هذا التضامن وثيقا متينا بين أفراد الجماعة ارتقى المجتمع ، وعلا الشعب ، كما أنه على أساس الميل إلى الاجتماع ، تتصل الشعوب المختلفة وتتضامن وتتعاون وتشارك في الشؤون الفنية والعلمية والمادية وغيرها .

وليس هذا الميل مقصورا على النوع الانساني ، بل هو عام في مملكة الكائنات الحية . فهذه نزعة المعاشرة الشائعة بين الحيوانات الأولية وبعض الحيوانات الراقية ، تدلنا على وجود هذا الميل فيها . ونحن نرى معظم الطيور والحيوانات تعيش جماعات ، ويعاون بعضها البعض في تأدية شئون الحياة . وقصارى القول إن هناك ميلا فطريا يدفع الإنسان والحيوان إلى التجمع . وهذا الميل هو السبب في شعور المرء بضيق في عزله ، وبوحشة عند ابتعاده عن الجماعة التي ينتسب إليها . وعلى العكس ، يشعر المرء بارتياح وسرور عند ما يكون بين عشيرته وأهله ، وعند ما يجتمع بأقاربه وأصدقائه المحبوبين عنده .

وهذه الظاهرة واضحة أيضا في الأطفال . فالطفل سرعان ما يسره الاجتماع بغيره ، ويطيب له اللعب مع من يماثلونه سنا وعقلا . وإن لذلك أثرا كبيرا في حياته العقلية والخلقية .

ولذلك اهتمت التربية الحديثة بالحياة الاجتماعية « فهاهى طرق «ديوى»
و «دكرولى» وغيرهما كلها تهتم بهذه الناحية . فجعلت كثيرا من نواحي
الدراسة مشتركة بين جماعات من الأطفال .

والمرء فى الجماعة أشد تأثرا منه فى العزلة والانفراد . وعلى ذلك نجد
الإنسان يتأثر بآراء الجماعة المحيطة به أكثر من تأثره بآراء شخص واحد .
ولو كانت الأولى خاطئة والثانية صائبة .

غير أن الميل إلى الاجتماع يستدعى مشاركة الغير فى وجدانه وانفعالاته
المختلفة حتى يمكنه العيش معه . وإن قدرة الإنسان على ذلك ، استعداد
فطرى فيه يدفعه إلى التأثير بما يراه فى غيره ، ويجعله يقلده فى عواطفه
وانفعالاته . فهو وإن كان يتضمن نوعا من نزعة التقليد ، وضربا من
ضروب الاستواء المرتبطة بالوجدان ، إلا أن المقصود به نوع آخر من
الميل الفطرية ، يتعلق بالشعور الوجدانى ، ويعرف بالمشاركة الوجدانية .

وهى كما عرفها أحد الكتاب الاجتماعيين « الحلقة الفضية أو الرابطة
الحريرية التى تصل القلب بالقلب ، والعقل بالعقل . والجسم بالروح » . أى هى
القوة التى بها تتصل بقلوب غيرنا وأرواحهم ، فنستطيع أن نعيش معهم
ونرتبط بهم .

أثرها فى الفرد والمجتمع :

تعتبر المشاركة الوجدانية من أهم العوامل التى تجعل للبرء شخصية بارزة «
وتساعده على أن يكون محبوبا عند الجميع ، فيطيعونه برغبة صادقة . فقوة التأثير
فى الناس لا تستدعى قسوة أو غلظة كما يزعم البعض ، ولكنها تستدعى
مشاركتهم فى شعورهم ووجدانهم ، والتألم لما يدهمهم من حوادث الدهر ،
ومواساتهم فيما يلهمهم من نوائبه » والنظر إلى حسناتهم قبل سيئاتهم ، وفى

صوابهم قبل خطئهم . ونحن نرى هذه النزعة للمشاركة الوجدانية جلية في الأطفال .

أثرها في التربية والتعليم :

المشاركة الوجدانية من الميول التي بها يستطيع المربي تكييف أخلاق أطفاله ، وصيغها بالصيغة التي يريد . والمربي القدير الماهر هو الذي يستخدم شخصيته البارزة ، وأخلاقه الحسنة ، ونفسيته الطيبة ، وعواطفه السامية في التأثير على أطفاله ، فيصبحون مثله في وداعته ، وسماحته ، ولين أخلاقه وطيب معاملته ، ورغبته في العلم .

وبدیهی أن المربي الذي يهتم لكدر أحد أطفاله ويبحث ويسأل عما يعتريه ، ويبت هذا الاهتمام في إخوانه ، يضطره بدون أن يشعر إلى فعل هذا مع غيره في مثل تلك الظروف . وبذلك يخرس فيه العواطف السامية والسجايا الحميدة ومراعاة الواجب ، بطريقة غير مباشرة ، ليس فيها الشدة والإرهاب اللذين طالما يدفعان الأطفال للتمرد والعناد .

ولا شك في أن مشاركة المربي لأطفاله في شعورهم لها أثر كبير في زيادة صلتهم به وثقتهم في حبه فيكونون إليه بكل ما يفرحهم ، وما يعكر صفوهم ، بل وكل ما تكنه صدورهم . وهنا يستطيع الإفادة من ذلك الموقف الطبيعي الذي لا تكلف فيه . وإنها لفرصة سانحة ، وجمال واسع يجب أن ينتهزه لتقويم أخلاق أطفاله ، وتقدير حسناتهم إذا أحسنوا ، والتفكير في البواعث التي تدفعهم إلى الخطأ إذا حصل ذلك منهم .

فإذا قدرنا غيرنا ، وفكرنا فيه ، وسررنا لسروره ، وتألمنا لألمه ، فإننا ننظر منه أن يقابلنا بالمثل ، فيقدرنا ويفكر فينا ويشاركنا في سعادتنا وشقائقنا . وإن ذلك كله يستدعي أن يضع الإنسان نفسه موضع غيره أيا كان ، على

شرط أن يكون لديه استعداد لفهم نفسياتهم، والتفكير في ظروفهم، والشعور بحالاتهم. بصرف النظر عن مركزه بالنسبة لهم « ودون اعتبار للفارق بين الغنى والفقير، والعظيم والصغير، والقريب والغريب. بمعنى ألا يكون منصب المرء العالى سدا مانعا في سبيل فهمه لغيره، وتقديره ظروفه المحيطة به؛ بل على العكس من ذلك، يجب أن يكون هذا المنصب العالى داعيا لمشاركته غيره في عواطفه، ومساعدته أديا وماديا؛ إذ بذلك يمتلك قلوب الناس، وتعلو منزلته عندهم.

ولا غرابة في ذلك، فالشخصية الطيبة، والشعور السامى يستدعيان أن تتأثر لغيرنا، ويتأثر غيرنا لنا. وبهذا يصبح المجتمع وحدة متماسكة متحدة في عواطفها ووجدانها، يسهر كل فرد منها على مصلحته ومصلحة المجتمع، ويجب لغيره. ما يجب لنفسه، ويعامل الناس بما يجب أن يعاملوه به، فيقل الشر، ويزعم الخير. فالمشاركة الوجدانية هي التي تجعل حياة الجماعة مفيدة نافعة لجميع أفرادها، وهي أقوى عامل في توحيد عواطف كل فئة وميولها « وأساس كثير من العواطف السامية، كالرحمة والشفقة والإحسان والمواساة.

التقليد

كم منا يستطيع أن يرفع عن عينيه الستار ، فتبدو له حياة طفولته ، ويرى نفسه تارة ممسكا بالقلم يسجل على الورق خطوطا وأشكالا كأنه يكتب ، وتارة منهمكا في تصفح الكتب والمجلات مرددا أصواتا كأنه يقرأ ، وأخرى . جامعا لإخوته الصغار ليشرح لهم الدرس كما يشرحه له مدرسه ، وغير ذلك . مما يأتي به الأطفال عادة من حين إلى آخر . بدافع من تأثير ميلهم الفطري للتقليد . ومحاكاة من يعجبون بهم ، أو يشعرون بالضعف بالنسبة لهم . وليس هذا الميل الفطري مقصورا على الأطفال ، بل هو ميل عام يدفع الصغار والكبار على السواء إلى فعل ما يرون أو يتذكرون من أفعال غيرهم وحركاتهم ، بقصد أو بغير قصد .

ولذا تتبعنا ظهور هذا الميل في الطفل ، نجد أن يتطور تطورا محسوسا في مراحل النمو المختلفة ، بحيث يشمل أنواعا متباينة للتقليد تبدو في الطفل كما يأتي : النوع الأول من التقليد يظهر واضحا في الستة أشهر الأولى ، فترى الطفل يبكي عندما يسمع طفلا آخر يبكي ، ويضحك عندما يضحك أحد أمامه ، ويصرخ إذا سمع صراخ أحد . ويظل هذا النوع من التقليد ملازما للبرء طول حياته ، فتراه يتألم إذا تألم أحد أمامه ، كما ترى أن سرور المربي أو غضبه ينعكس على تلاميذه . وليس ذلك كله عملا إراديا مقصودا ، بل هو فعل فطري يقوم بالتعبير عن انفعالات نفسية مختلفة . ولذلك سمى هذا النوع من التقليد ، بالتقليد المنعكس .

والنوع الثاني من التقليد يختلف عن سابقه في أن العمل المحاكى ليس صادرا عن غريزة ما . فالطفل يحاكي ما يراه محاكاة لا غرض له منها . وجميع أفعال الأطفال التقليدية في الأربع أو الخمس سنوات الأولى ، كلها من

هذا القبيل . فهو يقلد مشية أهل بيته وطرق معيشتهم وتعبيرهم وكلامهم ! وبذلك يحصل على قسط وافر من اللغة والمعلومات ، فيزداد خبرة بالعالم المحيط به . ولهذا النوع أثر كبير في تكوين خلق الطفل وشخصيته . ولما كان الطفل يقوم بكل ذلك من تلقاء نفسه ، ومن غير قصد سمي هذا النوع بالتقليد التلقائي .

وكثيرا ما نرى الأطفال يتخيلون العصا حصانا ، والكرسي عربية ، والورق طيارة . وطالما يتخيل الطفل نفسه طائرا من الطيور ، فيرفرف بجناحيه مثلها ، ويقلد أصواتها ! أو بائعا من البائعين ، فينادى ويصبح معالما لديه . ويدفعه إلى كل ذلك نوع خاص من التقليد يشبه النوع السابق في أنه مجرد تحقيق لحركة تصورهما الطفل ، ولكن بصورة خاصة حسب تفكيره هو ، وحسب ما يمل به عليه خياله النشط الواسع . فهو لا يقلد تقليدا مطلقا كما يفعل في النوع التلقائي ، بل يستوحى خياله ، فيغيّر ويبدّل ويكوّن صوراً وأشكالا جديدة تمثل الحياة المحيطة به . ولذلك يسمى هذا التقليد بالتقليد التمثيلي .

ويبدأ الميل إلى التمثيل عند الطفل في الثانية من عمره ، ويبلغ درجة كبيرة بين الرابعة والسابعة . وبذلك يفسح المجال للطفل في الترقى العقلي ، والاستفادة مما حوله . وبذلك أيضا تصير كثير من الحوادث والظواهر معروفة لديه . فيتعلم كثيرا من عادات المجتمع المختلفة والحرف والصنائع . كل ذلك بطريقة تقليد العمل أي بممارسة عمل الشيء بنفسه .

وهناك نوع آخر يختلف عن الأنواع السابقة في أنه يصدر عن قصد وفرض . فالطفل يبدأ في الثانية من عمره تقريبا في تقليد غيره ومحاكاته محاكاة مقصودة . وإن هذا النوع أساس تعليم القراءة والكتابة والرسم وكثير من الأعمال اليدوية وغير ذلك مما يقوم به المرء عن قصد وإرادة لكسب مهارة أو معرفة . ولذلك سمي بالتقليد المقصود .

وعندما يبلغ الطفل منزلة عقلية مناسبة، وتكون معلوماته وتجاربه قد زادت ونمت وتهذبت، يأخذ في توجيهها وجهات خاصة، محدودة بما يحيط به من بيئة حسنة أو سيئة. وهذا يستلزم تقليد الشخص الذى يتخذه لنفسه مثلاً أعلى من بين من يخالطونه أو ممن يسمع عنهم. ويكون خاضعاً فى كل ذلك إلى آخر نوع من التقليد ظهوراً، وهو تقليد المثل الأعلى. وهذا النوع أرقى أنواع التقليد وأخطرها شأنًا فى التربية ويبدو واضح الأثر فى دور المراهقة وفى أوائل مرحلة الشباب. وعندئذ تصبح أعمال الفتى - أو الفتاة - محكومة إلى حد ما بأعمال من يعجب به من أقرب الناس إليه ومدرسيه، أو ممن يقرأ عنهم فى كتب التاريخ والأدب والروايات. ولذا يجب أن يكون من بين الكتب التى توضع بين أيدي الأطفال فى هذا الدور عدد غير قليل من تراجم حياة الأشخاص الجديرين بأن يقلدوهم. ولا يخفى على أحد ما لقراءة الروايات والكتب والمجلات المختلفة، من أثر كبير فى توجيه سلوك المرء ولا سيما فى هذا الطور من حياته. غير أن هذا المثل الأعلى طالما يتغير ويتبدل حسبما يتراءى للطفل فى أوقاته وظروفه المختلفة، وتبعاً لما بينه وبين مثله الأعلى من العلاقات المتينة أو الضعيفة. وعند ما يكبر الطفل نرى كل أعماله وتصرفاته متجهة لتحقيق هذا المثل الذى يسعى لمحاكاته. ولا شك أن لذلك أثراً كبيراً فى تكوينه.

فائدة التقليد للفرد والمجتمع :

التقليد يوفر على الفرد جهداً كبيراً ووقتاً طويلاً يصرفهما عادة فى محاولات وتجارب يقوم بها حتى يستطيع أداء أعماله على وجه مرضى ناجح. فإذا قلد غيره فى عمل ما، وأحسن تقليد هذا العمل، كان لديه أوقات موفورة يمكنه صرفها فى القيام بأعمال أخرى نافعة.

ولما كان التقليد يدعو الى الملاحظة والانتباه ، فهو إذن أساس لتكوين العادات العقلية والحركية والخلقية . فبه يستطيع المرء أن يكتسب كثيراً من المهارة والمعرفة والصفات المرضية . ولذا كان وسيلة فعالة لتعليم الأطفال وإعدادهم للأعمال الكثيرة المتنوعة . وكان أيضاً أبسط الاشكال التي بها يجعل الفرد نفسه مطابقاً للبيئة التي يعيش فيها والمجتمع الذي ينتسب اليه . وقد يعم المجتمع عادات خاصة تأخذ بها أفرادها جيلاً بعد جيل ، وبذلك تصبح تقاليد راسخة . والآمة بأجمعها قد تختار لها من بين سائر الأمم شعباً راقياً تحذو حذوه ، ومن هنا نرى الثقافة والحضارة والمدنية والمبتكرات على اختلاف أنواعها تنتشر في أنحاء الأرض ، فستفيد بها الأمم ، الواحدة إثر الأخرى . فالتقليد إذن أساس الترقى الفردي والاجتماعي معاً . غير أن له أضراراً طامساً تصيب الأفراد بل والمجتمعات . وهذه الأضرار تنشأ عن الاسترسال في الالتجاء إليه وعدم التبصر في ما يصح تقليده وما لا يصح . وقد يتسبب عنه أيضاً أن يصبح الإنسان عاجزاً عن التصرف والابتكار .

التقليد والتربية :

أهم مصادر نشاط الطفل الذاتي هي الغرائز والميول المختلفة . ولما كان التقليد من أوضح الميول الفطرية ظهوراً في حياة الطفل منذ ولادته ، كان حتماً على المربي استغلال هذا النشاط في تربيته جسماً وعقلاً وخلقاً . فالطفل يحاكي الكلمات التي تتوارد على سمعه شيئاً فشيئاً ، ويتأثر بانفعالات المحيطين به وحركاتهم ، فتنتطب في مجموعته العصبية المرن كثير من العادات الجسمية والعقلية والخلقية . وإن للربي اليد الطولى في تكوين هذه العادات ، ومراقبة ما اعوج منها منذ بدء ظهوره لإصلاحها . فعليه أن يلاحظ نطق الطفل ومشيته وأوضاع جسمه في الجلسة والوقوف ، وطريقة أكله

« شربه ونظام نومه ومعيشته بوجه عام، حتى تكون العادات التي يكونها الطفل في هذه الأمور صحيحة صالحة . كذلك يجب أن يراقب نظام تفكيره وطريقة دراسته ونوع السجايا والصفات التي يقلدها ، وأن يجتهد في تنظيم بيئته وأن يكون له في كل ذلك قدوة صالحة وأسوة حسنة .

وعند ما يذهب الطفل الى المدرسة تتسع بذلك بيئته ، وينفسح أمامه مجال التقليد وميدان المحاكاة ، فيستمر في تقليد من يحيطون به ، فتارة يقلد أحد زملائه ، وأخرى يقلد أحد معلميه . وهنا يجب استغلال هذا الميل الشديد في تدريب الطفل على شتى الألعاب الرياضية وعلى التمثيل والموسيقى والخط وبعض أنواع الاشغال اليدوية والرسم . وكلها يمكن أن تكتسب بالتقليد . غير أن للتقليد حدا إذا تجاوزه أضر ذلك بتكوين الطفل . فلو تصورنا أطفالا يتعلمون مختلف الأعمال بوساطة تقليدها في كل خطواتها ، لما تركنا لهم مجالا للفحص والبحث وإعمال الفكر في رسم الخطة التي توصلهم لتلك الأعمال . ولا يخفى ما لذلك من الأثر السئ في تربية الأطفال . ويكفي أن نقول إن هذه الطريقة تقتل روح الابتكار، وتضعف قوة التخيل، وتسد أمام الأطفال مجال البحث والتفكير .

ولذلك اهتمت التربية الحديثة بجعل موقف المربي سلبيا في أكثر الأحيان، وحصر مهمته في التوجيه والإرشاد لما فيه خير الطفل ، ليكون أمام الأخير مجال واسع يفكر فيه ويجرب ، ويحاول بقدر الامكان تعليم نفسه بنفسه .

فعلى المربي والقائمين بأمر الطفل ألا يلجأوا إلى التقليد إلا في حالات خاصة ، كتعليم الأطفال كيفية استعمال بعض الأدوات كالماطر والمقصات والمقاطع وغيرها ، ووسائل اتقائه للخطر في أثناء السير في الطرقات ، وفي تمثيل الحكايات وتقليد أصوات الطيور والحيوانات المختلفة ، وفي تعليمهم الخط

— ١١٧ —

والموسيقى والألعاب ونحوها من أوجه النشاط التي يحسن أن نجعل الطفل يتعلمها عن طريق التقليد .

والتقليد على كل حال ميل هام عند الإنسان ، يمكن به أن يرضى كثيرا من الاستعدادات الفطرية كاللعب مثلا . وعلى أساسه يستطيع الطفل أن ينطق ويتكلم ويقوم بمختلف الأفعال التي يساعده القيام بها على النجاح في هذه الحياة .

الباب الثامن

الطفولة

معناها . أهميتها . أدوارها .

الطفولة

معناها :

كثير من الناس يخطئون في تأويل معنى الطفولة ، وفي تحديد أمدها . فمنهم من يعتبرها إلى الثانية عشرة من عمر الطفل ، ومنهم من يبالغ فيجعلها إلى العاشرة فقط ، والحقيقة أن الطفولة هي المدة التي يعتمد فيها صغار الكائنات الحية على كبارها في مأكلهم ومشربهم ، ومأواهم ، وسد مأربهم ، والدفاع عنهم ، وتدريبهم على مواجهة الحياة ؛ وبعبارة أخرى هي العهد الذي يتحر فيه المخلوق الحى من مسئوليات الحياة ، اللهم إلا ما قد يتدرب عليه تدريجاً من أبسط المهمات ، وما يكتسبه شيئاً فشيئاً من التقاليد السائدة بين عشيرته . فطول أمدها إذن متوقف على تمام تكوين الطفل ، وعلى استيفائه حقه من التدريب على القيام بشئون الحياة اللازمة له ، بحيث يصير نافعا لنفسه ولمجتمعه .

وعهد الطفولة يختلف باختلاف الحيوان ، فكلما ارتقت المخلوقات زادت مدة طفولتها كى تتدرب على القيام بأعباء الحياة التى تنتظرها . فالطائر الصغير يبقى فى حضانة أمه وأبيه ، يطعمانه ويحيطانه بالعناية ، ويؤديان مصالحه ، حتى يقوى ويستطيع الطيران ؛ ومن ثم يمكنه الحصول على طعامه وتأدية حاجاته الحيوية بنفسه . وبقدرته على ذلك تنتهى مدة طفولته .

والقطة الوليدة تظل فى حماية أمها معتمدة عليها فى تغذيتها ، والمحافظة عليها ، وتدريبها على القيام بأعمالها المستقبلية مدة طفولتها التى تنتهى متى استطاعت أن تتولى شئون نفسها بنفسها .

وكذا الطفل الوليد ، يبقى تحت رعاية والديه ومربيه مدة طويلة . ولكنه لا يبقى طول حياته عاجزاً عديم النفع ، يعتمد على غيره ؛ بل هو

يرقى ويتطور ، ويتعلم من أبيه وتلقنه أمه ، وتهذيبه الجماعة التي ينشأ بين أفرادها ، فيصبغونه بتقاليدهم ومعتقداتهم ، ويقلدهم في لغتهم وطرق معيشتهم ومختلف شؤونهم .

أهميتها :

وعلى ذلك ، فالإنسان أطول الحيوانات طفولة ؛ وذلك ليحصل في أثنائها على ما يعينه على مواجهة الحياة شيئا فشيئا . وهذا أمر تقتضيه الطبيعة ، فعقل الإنسان الذي ميزه الله به على سائر المخلوقات الحية ، وقابليته للتعلم ، وحاجاته ومطالبه الحيوية الكثيرة ، تستدعى طول عهد الطفولة . والتربية الحديثة تهتم اهتماما كبيرا بهذا العهد من حياة المرء ، ويكفى أنها اعتبرته عهدا قائما بذاته ، يجب أن يتمتع به الطفل . ولذلك حثمت على المربين استغلال نشاط الطفل الذاتي الذي يبدو في الطفولة بشدة وبكثرة ، في تربيته وتعليمه ، وجعل أعماله ضروبا من اللعب حتى يقبل عليها فرحا مسرورا ، وحتى يستفيد من تجاربه وخبرته عن الحياة في نشأته الجسمية والعقلية والخلقية .

وبذلك كله نضمن أساسا متينا نبني عليه حياة الطفل المستقبلية . فدور الطفولة إذن هو دور استعداد للحياة ، ولا غرابة أن يكون كذلك لأنه : —

١ — عصر ظهور الغرائز والميول الفطرية وتهذيبها وتعديلها . ومن المعلوم أن هذه الغرائز وتلك الميول ، هي أساس تصرفات الطفل المختلفة في هذه الحياة ، وأنها القوى التي توجهه في كل أطوار نموه ، فكل ما نراه من اعوجاج في خلق بعض الأفراد ، وشدوذ في البعض الآخر ، إنما يرجع إلى سوء توجيه الغرائز . وعلى العكس من ذلك ، إذا هي استوفت حقها من العناية بإشباعها إشباعا معقولا ، وتعديل مثيراتها ، ورفعها إلى المستوى الذي

تعمل التربية لتحقيقه ، ارتقت من المستوى الفطرى الحيوانى ، إلى مستوى إنسانى راق . ومن الغرض المبادئ الفردى ، إلى الغرض المعنوى ، الاجتماعى . وبذلك ينشأ الطفل اجتماعيا محققا آمال التربية الحديثة .

وعلى كيفية توجيه الغرائز فى أطوار الطفولة المختلفة ، تصلح تربية الطفل أو تفسد ، وعلى آثارها يسعد أو يشقى .

٢ — عصر تكوين العادات والصفات الحميدة : إذ لاشك فى أن جهاز الطفل العصبى وقتئذ يكون مرنا حساسا ، يتأثر إلى درجة كبيرة بما يحيط به من مختلف المؤثرات .

فكيفية معالجتنا لغرائزه المتنوعة ، وميوله المتباينة يؤثر فى تكوينه ، إذ ينشأ عن ذلك عادات وصفات مختلفة تكون حسنة أو سيئة ، تبعا لمعاملة الغرائز والميول . وهذه الصفات وتلك العادات قد ترسخ فى نفسه ، فيصعب استئصالها ، وهى التى تدفعه لأن يتخذ مسالك معينة فى الحياة .

٣ — عصر تهذيب الميول والوجدانات وتكوين العواطف : فإن الوجدانات المهدبة والعواطف السامية ، تجعل الإنسان محترما محبوبا ناجحا فى الحياة ، فهى إن تكونت ، دفعت صاحبها إلى فعل الخير ، وجعلته يشعر بلذة الحياة . ويتمتع بجمالها ومسراتها ؛ وإن انعدمت فى الإنسان نشأ شاذا فى خلقه . متقلبا فى مشاعره ، فظا فى إحساسه ، لا يعبأ بأحوال المجتمع ولا يكثر لغيره من الناس . فالعواطف والوجدانات السامية ، التى تغرس فى الطفل منذ طفولته ، تنشئه نشأة طيبة يكون لها أثر كبير فى إسعاد حياته وحياة من يحيطون به .

٤ — هو بوجه عام عصر التربية الصحيحة والتعليم الملائم . بل هو أوفق .

الافاق لذلك . إذ أن الطفل النامى الذى لا ثقله مطالب الحياة ، وحاجيات المعيشة ، لاعتماده على الكبار فى ذلك ، يكون ملوما حيوية ونشاطا ، يجعلانه قابلا للتزينة والتعليم .

والترية الأولى التى يؤخذ بها الطفل هى التى تشكله جسما وعقلا وخلقا ، وتصوغه فى قالب خاص ينطبع به فى أطوار حياته المختلفة . ولوأمعنا النظر ، لوجدنا أن كل الحالات الجسمية والعقلية والخلقية تقريبا ، تتأثر بتكوين الطفل الأول الذى أكسبته إياه تربيته المبكرة ، فى سنى حياته الأولى .

وإن التجارب لتدلنا على أن إرجاء التعليم إلى سن متأخرة ، يجعل الناشء لا يكتسب منه إلا القليل وبصعوبة وفى بطل .

ويتبين لنا من كل ما تقدم ما للطفولة من عظيم الأهمية فى حياة المرء ، ويكفى أن نقول إن عليها تنى كل حياة الطفل المستقبلية .

أدوارها :

غير أننا إذا لاحظنا نمو الطفل من ولادته إلى بلوغه ، وجدنا أنه يمر فى أدوار متتالية يتميز كل منها بميزات بدنية وعقلية خاصة ، ورأينا أن هذا النمو سريع جدا فى بعضها ، وبطء فى البعض الآخر . وقد يمتد عهد الطفولة إلى سن ٢٥ سنة . ولكن كثيرا من العلماء اصطالحوا على أن يطلقوا عهد الطفولة على المرحلة من الولادة إلى قبيل عهد البلوغ ، أى المدة التى يكون فيها الطفل معتمدا كل الاعتماد على والديه . ويمكن تقسيم هذه المدة من حياة الطفل إلى مرحلتين ، متميزة الواحدة منهما عن الأخرى .

١ — الطفولة الأولى : وتنقسم إلى قسمين : الأول من الولادة إلى السنة الثالثة من عمر الطفل ، والثانية من السنة الثالثة إلى السنة السابعة . والطفولة

الاولى هى الدور الاول من حياة الطفل ، وفيها يعتمد كل الاعتماد فى مطالب حياته على أمه ويتميز هذا الدور بما يأتى :

(١) تكون الأعضاء غير تامة النمو ، كما أن الحواس فى البداية تكون غير قادرة على القيام بوظائفها ؛ فالسمع يكاد يكون معدوما ، والبصر يحس بالضوء إحساسا غامضا ، والشم يكون ضعيفا جدا ، أما اللمس فيكون أقواها . ويبقى الطفل هكذا بضع أسابيع ، ثم تقوى بعد ذلك حواسه على الإدراك بسرعة .

ويقوم الطفل فى عهد الطفولة المبكرة بحركات غريزية وعكسية . كالضحك والبكاء والمص وتحريك الجفون والأقدام والأيدى . ويقوى على الحركة شيئا فشيئا ، حتى يستطيع الحبو ثم المشى . وفى أثناء هذه المدة يبدأ الطفل فى معرفة من حوله ، ويتدرب على نطق كثير من الالفاظ والعبارات ، وبذلك يمكنه أن يقرن المسمى باسمه ؛ وإذ ذاك ترتقى حياته العقلية ، وتنمو مدركاته الحسية تبعا لتجاربه .

(ب) يكون انتباه الطفل مقصورا فى بادىء الأمر على ما يشوقه ويؤثر فى حواسه ، كالأشياء البراقة والألوان الزاهية والأصوات المتنوعة . أما قدرته على الانتباه الاختيارى فتظل محدودة .

(جـ) تكون ملاحظته ضعيفة ، وينشأ عن ذلك ضعف إدراكه الحسى .

(د) ينمو خياله بالتدريج حتى يصبح أقوى ما يمكن فيما بين الثالثة والسادسة ، إذ يصل إلى درجة كبيرة لا يستطيع معها التفريق بين الحقيقة والخيال . ولذلك يميل إلى سماع القصص الخرافية ، كما يميل إلى التقليد التمثيلى .

(هـ) يتجلى فى الطفولة الأولى فيما بين الثالثة والسابعة النشاط الذاتى

بأجلى مظاهره ، وتضج كثير من الغرائز كالاستطلاع والحل والتركيب والمقاتلة والاقتناء وغيرها ، وكذا الميول الفطرية العامة : فاللعب يظهر بوضوح ، ويكون غرض الطفل منه مجرد اللهو والعبث ، والتقليد كذلك ، ويتدرج من النوع المنعكس ، كابتسامة الطفل لا بتسامة أمه ، إلى النوع التلقائي ، الذي به يقلد لغة أبويه وحركاتهم وأفعالهم وغير ذلك . وتكون قابليته للاستهواء قوية ، ويظهر فيه الميل الفطري إلى مشاركة غيره وجدانيا في كثير من الأوقات ، فهو يفرح لفرح أمه ، ويغضب لغضبها وهكذا .

وتستنفد كثير من طاقة الطفل الحيوية في نمو جسمه وعقله ، ولذا يشعر بالتعب بسرعة ، ولا يستطيع إتقان القيام بالأعمال الدقيقة كالكتابة والرسم ونحوهما . وذلك لعدم وجود الاتصال الكافي بين أعصابه ، وعجزه عن ضبط حركاته .

(٦) ينزع الطفل دائما إلى الانانية وحب النفس ، ولا يكثر بالتقاليد الاجتماعية التي يكتسبها شيئا فشيئا باتساع بيئته الاجتماعية ، وبمخالطة غيره .
٢ — الطفولة الثانية : من السنة السابعة إلى السنة الثانية عشرة ، وتعرف بدور الغلومة أو البنوثة . وتتميز بما يأتي :

١ — يدخل الطفل هذه المرحلة وقد نما جسمه ، واكتسبت أعضاؤه مرانا وقوة ، وأصبحت صحته على أحسن حال . وهذا الدور يختلف عن الدور السابق في أنه دور تكوين واستقرار ، لا دور انتقال ، لأن النمو يقل في أثنائه ، بينما أنه كان سريعا في الدور السابق . لذلك فالطاقة الحيوية للطفل التي كان يستخدم معظمها في نموه الجسمي في الدور السابق ، تصبح متوفرة في هذا الدور . ويتضح لنا هذا من شدة نشاطه وكثرة حركته ، ومن قدرته على مواصلة أعماله مدة أطول من ذي قبل ، دون أن يعثره التعب ، لأن مقاومته

له تكون كبيرة . هذا إلى أنه يستطيع القيام بأعمال أدق كثيرا من أعماله السابقة كالكتابة والأشغال والرسم وغيرها ، ويرجع ذلك إلى زيادة الاتصالات العصبية وتربط بعضها ببعض .

ب — تنشيط الحواس ويصير تأثيرها بما تقع عليه من الأشياء قويا سريعا . ونتيجة ذلك أن الإدراك الحسى يقوى ويرقى ، بحيث يصبح فى مقدور الطفل أن يدرك كثيرا من الفوارق بين الأشياء المادية ، ويصل به التمييز بين المدركات الحسية إلى حد كبير من الدقة .

ج — تقوى ذاكرته فى هذا الدور ، وربما تكون أقوى منها فى أى دور آخر .

د — يخطو التفكير خطوة كبيرة ، إذ يقوى فى الطفل الإدراك للأشياء العامة كما يستطيع أن يحلل ، ويناقش ، ويربط الأسباب بنتائجها فى دائرة المحسّات .

هـ — يزداد انتباهه قوة ، فيستطيع أن يحصره فى الأشياء أو الموضوعات التى تلائمه ، لمدة معقولة من الزمن . ولكنه يكره السيرة على وتيرة واحدة ، ويميل بسرعة العمل الواحد .

و — يتغير خيال الطفل عما كان عليه فى الدور السابق ، إذ يصبح ميالا لأن يُعمّله فى دائرة الحقيقة والواقع ، فيتخيل ما يعرف أن له وجودا فى الحياة .

ز — تقوى فيه كثير من الغرائز السابقة ، وتنضج غريزة حب الاجتماع حوالى التاسعة . ويقل ميله للاستهواء لارتقاء تفكيره . أما ألعابه فتكون تعاونية : وكثيرا ما تظهر فيها روح المنافسة . وترتقى أغراضها تبعا لنمو عقله .

ح — والطفل فى هذا الدور لا يزال غير قادر على فهم واجباته الأدبية

تحو صالح المجتمع ، فهو ما زال عاجزا عن مقاومة دوافع الأعمال والآقوال ،
التي قد لا تتفق وما يراه الناس مناسبا في الحياة الاجتماعية من العادات
والأخلاق .

. . .

دور البلوغ :

ولكى نوفي البحث حقه ، نرى أن نذكر كلمة مختصرة عن دور النمو
الذي يلي دور الطفولة ، وهو دور البلوغ الذي يتبدى من حوالى الثانية عشرة
إلى السادسة عشرة .

وهذه المرحلة أخطر مرحلة في حياة الناشئ لما لها من الأثر الدائم في
تكوينه ولذلك اعتبرها الكثيرون أهم مراحل الحياة إذ يحدث فيها عدة
تغيرات فسيولوجية (جسمية) ونفسية ، يجب مراقبتها أشد مراقبة ، وإلا
أنت بآثار سيئة في صحة الطفل وعقله وخلقه ، وذلك نتيجة اشتداد العواطف ،
وتيقظ الغريزة الجنسية . وفيها أيضا تظهر ميول جديدة ، فالبالغون ينظرون
إلى الحياة نظرة تختلف عن سابقتها في دور الطفولة ، كما أنه في هذا الدور يتم
تكوين شخصياتهم وأخلاقهم التي بها يميّزون في الحياة .
وأهم مميزات هذه المرحلة هي : —

١ — يكون نمو البدن سريعا جدا من حيث الوزن والطول ؛ ويبلغ نموه
الحد الأقصى في سن الخامسة عشرة ؛ كما أن القلب ينمو بسرعة عظيمة ، وكذلك
يزيد إنتاجه . وهناك ظاهرة هامة ، تلاحظ في أوائل هذا الدور وهي ، ضعف
سيطرة المنع على حركة العضلات ، وتكون نتيجة عدم ضبط هذه الحركات
في البالغ عند القيام بأى عمل دقيق . وكثيرا ما يلاحظ في هذه السن على النشء

الضعف والخلل بسبب استنفاد معظم القوى الحيوية في استكمال النمو الطبيعي .
هذا فضلا عن ظهور عوارض الانيميا وبعض الاضطرابات العصبية عليهم ، مما يسبب عدم انتظام حركاتهم وتصرفاتهم . ويقلل من التعاون بين سائر أعضائهم . وكثيرا ما نلاحظ أن البالغ في بدء هذا الدور لا يحسن عملا عقليا ولا بدنيا .

٢ — يقوى التفكير المنطقي عند النشء في هذه المرحلة ، فيتهيأ عقل البالغ لقبول قوانين العلوم ونظريات الرياضة والمنطق وتطورات التاريخ وما إلى ذلك . كما تقوى ذاكرته ، ويرتقى كذلك خياله ، فيصير ابتكاريا عمليا بعد أن كان أداة للعب . وكثيرا ما يظهر فيه الميل إلى تأليف القصص والقطع الموسيقية وغيرها ، إذا كان في طبيعته استعداد لذلك .

٣ — تكون الانفعالات في هذه المرحلة نائرة بشدة ، نتيجة لتقلب مبادئ الطفل وأفكاره . فهو تارة منشرح بآماله وأحلامه التي يود أن يحققها له المستقبل ، وطورا يكون عبوسا مكتئبا ، ينظر إلى مستقبله نظرة البائس . ولا غرابة في ذلك لأن هذا طور البلوغ الذي تبلغ فيه انفعالات الطفل أشدها .

وثورة الانفعالات في الناشئ . توجب على المربي ، كيما يكون فيه العواطف السامية المؤسسة لشخصيته ، أن يكون صديقا ناصحا له وشفيقا عليه . حتى يأمن الناشئ إليه ، ويفضى له بأسراره ، فيطلع بذلك على دخائل نفسه ، ويوجهه التوجيه الصحيح المناسب لمقتضى حاله .

٤ — تكتمل الغرائز الاجتماعية في الناشئ ، بعد أن كانت تغلب عليه . الغرائز الفردية من قبل ؛ فيميل إلى تأليف الجمعيات المختلفة ، ومزاولة الألعاب

الرياضية ، والتعاون مع غيره من الناس ؛ وتقوى فيه روح التضحية لمصلحة الجماعة . أما الغرائز الفردية فإنها تتخذ أشكالا أرقى مما كانت عليه في العهدين السابقين ؛ فثلا تتطور غريزة حب الاستطلاع في الطفل من مجرد ميل للوقوف على ظواهر الأشياء ، إلى ميل للتعلم في البحث ، وتنظيم المعلومات ، والوصول إلى قرارة الأمور وأصول المعرفة .

ولما كانت نزعة التدين من مظاهر هذا الطور ، وكانت نظرة البالغ إلى حقائق الدين وقواعده تختلف عما كانت عليه من قبل ، لأنه لا يقبل من المعلومات إلا ما يستسيغه بعد نقده وتحليله ، وجب علينا أن نحيطه بجو ديني عملي صحيح ، وأن نبث فيه الروح القويم ، كيما يتشرب قلبه بالآداب الصحيحة ، التي تصبح النواة الصالحة لتقويم خلقه . وبذلك يقوى على كبح جماح نفسه ، ومحاسبتها على كل صغيرة وكبيرة قد يأتينا مخالفة للبإدى . الأخلاقية والدينية التي غرست فيه .

ويتخذ الناشئ عادة في هذا الدور مثلا عليا يحاول أن يحاكيها في أفعاله وحركاته . وقد يتغير مُسئله من بين والديه ومريه وأقاربه والمعاصرين البارزين . وقد يتجه إلى تقليد أبطال التاريخ وغيرهم ممن يثيرون إعجابه . لذلك يجب أن نكون مُثلا صالحة ليقْتدى بنا أطفالنا ، فينسجون على منوالنا وينشئون بذلك نشاة طيبة .

الباب التاسع

النمو الجسمي للطفولة الأولى

الحركة الجسمية وأهميتها لنمو الجسم والعقل .

النشاط الذاتي وأثره في نمو الأطفال .

وطرق استثارته .

النمو الجسمى للطفولة الأولى

يسمى الجنين من بعد الوضع إلى اليوم العاشر بالوليد ، وبعدها يسمى بالرضيع . وفى مرحلة الرضاعة يكون نموه سريعا جدا ، وكل حركته تكاد تنحصر فى الرضاعة والنوم والبكاء .

والنمو خاصية هامة يتميز بها الطفل عن الكبير ، ذلك لأن الطفل فى نمو مستمر من حيث الطول والوزن وغيرهما ، بعكس الكبير . وقد يكون الطول أكثر دلالة على النمو من الوزن ، لأنه كثيرا ما يزيد وزن الإنسان بعد انتهاء دور نموه الحقيقى ، أما انتهاء الزيادة فى الطول ، فيعتبر انتهاء دور النمو .
ويبلغ طول المولود حوالى ٥٠ سنتيمترا . وغالبا ما يكون طول الأطفال فى سن الخامسة ضعف طولهم عند الولادة ، وفى سن ١٤ ثلاثة أمثال طولهم وقت الوضع .

وقد يزيد الطول على ذلك دون أن يكون هناك أى عيب فى الطفل . على أن كل أجزاء الجسم لا تنمو بنسبة واحدة فى الطول ، فنسبة طول رأس الطفل الحديث الولادة إلى طول الجسم كله ، تكون كنسبة ١ إلى ٥ ، وفى سن الثانية تكون كنسبة ١ إلى ٥ .

أما وزن الطفل فيأخذ فى الازدياد السريع فى خلال السنة الأولى . ويزيد الطفل غالبا بنحو ٣ كيلو جرامات فى الأربعة الأشهر الأولى ، ثم كيلو جرامين فى الأربعة الثانية ، ثم كيلو جراما واحدا فى الأربعة الثالثة . وبذلك يبلغ وزنه فى نهاية السنة الأولى ثلاثة أمثال وزنه عند الولادة . وعند ما يبلغ ٥ سنوات ، يكون وزنه غالبا خمسة أمثال وزنه عند الولادة . وهذا النظام ينطبق على الجنسين إلى سن العاشرة ؛ ثم يختلف فى دور البلوغ ، فتبدأ البنت فى النمو قبل الولد ،

إذ تنمو بسرعة من ١٢ إلى ١٦ ، بينما يبدأ نمو الولد حوالى ١٤ ، وينتهى حوالى ١٨ .

التسنين :

إن ظهور الأسنان علامة أخرى من علامات النمو ، فتظهر فى فم الطفل عشرون سناً مؤقتة تبدأ فى الشهر السادس . ويكمل عددها عندما يبلغ سنتين ونصف سنة . على أنها لا تظهر دفعة واحدة ، بل هناك ترتيب خاص فى ظهورها .

وفى سن السادسة ، يبدأ الطفل فى « التبديل » ، وتبرز له أسنان أخرى يزداد عليها ١٢ سناً ، فيصير عددها جميعاً ٣٢ عند انتهاء دور النمو .

هذا وقد يبدأ التسنين مبكراً قبل الشهر السادس ، أو متأخراً عن ذلك فلا تظهر الأسنان قبل الشهر العاشر أو الثانى عشر من عمر الطفل . ولا يكون هذا التأخير فى ظهورها دليلاً على وجود أى مرض فى الطفل .

أما إذا تأخر ظهور أسنان الطفل عن سنة تقريباً ، فيجب عرضه على طبيب إخصائى ليرى إن كان هناك اضطراب فى نموه .

أما المخ فإنه ينمو فى هذا الطور ويبلغ أقصاه فى حوالى السنة السابعة .

...

الحركة الجسمية وأهميتها لنمو الجسم والعقل .

الحركة الجسمية :

إن قوة التحرك موجودة فى الطفل قبل ولادته ، وتشعر الأم بهذا فى أثناء الحمل من « حوالى الشهر الرابع » ، وتستمر إلى الوضع .

والمولود يحرك عضلاته لغير غرض معين ، ومن غير أن يكون له سلطان

عليها ، ولكن الحركة تحدث من تلقاء نفسها بسبب حاجة الجسم إلى النمو .
فهو ييكى ويمتص ، ويتحرك حركات يرمى بها إلى الدفاع عن نفسه ، مثلما
يحدث إذا لمست يد باردة جسمه الدافئ . وإتنا نلاحظ أن حركات المولود
ناقصة لعدم تمام نمو الأعصاب المتفرعة من المخ إلى الأطراف والجسم . وكلما
نما الطفل ، زاد ارتباط مواطن الحس والحركة بالتدريج .

أما رأسه ، فلا يمكنه أن يرفعها متزنة إلا في الشهر الثالث . وقبل ذلك
فهو يحركها فقط . ويمكن الطفل الجلوس دون مساعدة في الشهر السادس .
وفي حوالى الشهر الثامن ، ينام على بطنه ، ويسند جسمه على يديه فقط ، ثم على
يديه وركبتيه . ويبتدىء فى الحبو على أطرافه الأربعة ليصل إلى الأشياء التى
يرغب الوصول إليها ، ويستمر يحبو إلى أن يصير قادرا على الوقوف ، ويكون
ذلك بين الشهر العاشر والثانى عشر ، ولكنه يحتاج إلى مساعدة أمه ، أو
الاستناد إلى كرسي ، أو غير ذلك . ويتدرج إلى المشى مستعينا بشئ كالحائط
مثلا ؛ ثم بعد ذلك يخطو خطوة أو خطوتين بدون استعانة أحد ، ثم يتدرج
ذلك إلى المشى منفردا .

وعلىنا أن نتركه لطبيعته مع اتخاذ الاحتياطات اللازمة لكيلا يصاب
بضرر عند وقوعه فى أثناء محاولته المشى ، وألا نحمله فوق طاقته ، ونجبره على
المشى قبل الأوان ، لأنه قد يترتب على ذلك أضرار بليغة كعدم اتزان حركة
المشى ، أو تقوس الساقين . وفى بحر السنة الثانية يجيد الطفل المشى بالمران
المستمر .

...

أهمية الحركة لنمو الجسم والعقل :

بالنشاط والحركة تقوى أعضاء الطفل ، وتنمو نموا طبيعيا متزنا . فالطفل

يتحرك ويحرق ، ويمشي ويقفز ، ويبني ويهدم ، إلى غير ذلك من مظاهر النشاط المختلفة . وفي كثير من الأحيان تستدعي الحركة استعمال حواسه ، وفي هذا تدريب لها ، وتنشيط لجسم الطفل بوجه عام ، وإبعاد للشعور بالخمول والكسل . فالحركة من غير شك تقوى عضلات الطفل المختلفة وأجهزته الباطنية ، وتساعدها على أن تقوم بوظائفها خير قيام . وبذلك يمتلئ الجسم قوة ، ويزداد حيوية ونشاطا .

والعقل حليف الجسم في حركته وسكونه ، وصحته واعتلاله . وتتوقف حركة كل منهما على الآخر ، فتي قويت أعضاء الحس التي هي أبواب العقل قويت مدارك الإنسان .

...

النشاط الذاتي وأثره في نمو الطفل وطرق استثارته :

كنا من زمن غير بعيد نحن الآباء والأمهات والمربين والمربيات ، نخطئ في تفهم طبيعة الطفل والحكم عليه . فكان في المنزل يعمل ما يريد والداه ، لا ما تتطلبه طبيعته وحاجته إلى النمو الجسمي والعقلي ؛ فتارة يُرغم على السكون والطاعة العمياء ، وأخرى يكلف ببعض الواجبات المنزلية التي لا تتفق ومستواه الجسمي والعقلي . فكأنه كان في نظرنا رجلا مصغرا يتحمل مسئولية الحياة قبل أوانها .

وفي المدرسة كان واجبا على كل طفل صغير أو كبير ، أن يجلس في حجرة الدراسة ساكنا خاضعا ، لا حركة ولا كلمة ولا عمل ، إلا سماع ما يلقيه المدرس وتنفيذ ما يأمر به . كل ذلك بين جدران تحول بينه وبين الحياة ، ومقاعد تشل الأجسام ، وتقيد العقول ، ودروس نظرية إلقائية متتابعة ، هي في الحقيقة عمل صناعي بعيد كل البعد عن الحياة . وفي آخر اليوم المدرسي

يحمل الطفل الكتب ويتأبط الكراسيات ، ليستذكر ما كتب ، ويسطر واجباته المختلفة التي تستنفد باقى ساعات يومه ، وتقضى على راحته اللازمة لحياته ولنموه . وهو فى كل هذا مرغم على القيام بعمل بغىض ، لا يرتبط بحياته ، ولا يرضى فيه ميلا أو غريزة .

ولقد استيقظت العقول من سباتها العميق ، وفطنت إلى تلك الغرائز والميول الفطرية التى زودت بها الطبيعة الطفل منذ تكوّن . وكان ذلك على صدى صوت العلماء الحديثين الذين علت صرخاتهم دفاعا عن الطفل ، ونصرة لحقه المضموم .

وهكذا أصبح الطفل يعامل فى البيت معاملة ملائمة لسنه . فهو يرتع ويلعب ويسأل ويقلد ويبنى ويهدم على حسب ما تتطلبه دوافعه الطبيعية . وفى المدرسة يحيا حياة طبيعية ملائمة لسنه ولعقله معا ؛ يعمل بنفسه ، ويلاحظ بنفسه ، ويتعلم بتجاريبه وألعابه ، ويقف ويجلس ويتكلم ويسأل ؛ ويجاب على حسب مستواه العقلى ، وهو فى كل هذا يؤدى عمله فى شوق وشغف ، لأنه صادر عن رغبة شخصية ودافع نفسى .

وليس من شك فى أن نشاط الطفل الذاتى ، ودوافعه الباطنية هى القوة الفعالة فى تربيته التربية الصحيحة . ولذلك يجب أن نفسح ميدان العمل أمامها لتنال الغذاء الصالح ، وتنمو نموا منتظما .

والنشاط الذاتى هو الطاقة الحيوية التى تدفع الطفل إلى القيام بأعمال مختلفة من تلقاء نفسه ، سواء أكانت هذه الأعمال لذاتها أم لغرض خاص . وهذا النشاط أشبه بما فى بذور النبات من حياة كامنة ، واستعداد للنمو والإثمار . ولذلك فهو فى حاجة إلى أن نعد له البيئة الصالحة والجو الملائم الذى فيه ينمو ويزدهر . ويتوفر لنا هذا ويتيسر ، إذا جعلنا الطفل يحيا حياة

طبيعية صحيحة ، فيلعب ويعمل ويتبادل الآراء ويتعاون . فالواجب إذن هو أن ترك الحرية للطفل فيما يقوم به من الأعمال . لأننا إن حرمانه منها ، شللنا نموه . وأخمدنا أنفاسه ، وكتمنا دوافعه الباطنية . فالحرية هي الميدان الصالح للنمو الصحيح .

...

طرق استشارته في الأطفال :

لما كان الطفل يحب أن يعمل بنفسه ، ويتعلم بتجاريبه ، وهذا هو ما تتطلبه التربية الحديثة ، كان من الواجب أن يستثير المربون نشاط الطفل الذاتي ، وطاقته الحيوية التي تدفعه إلى العمل ، كي ينتفعوا بهما في تربيته وتعليمه . ويمكنهم أن يلجأوا إلى ما لدى الطفل من ميول وراثية ومكتسبة ، وما فيه من نشاط وحياة ، وما يميل إليه من حركة واستطلاع واستحواذ وغير ذلك ، ليستعينوا بها على تربيته تربية صحيحة . فالميل إلى اللعب والمحاكاة وحب الاستطلاع والمنافسة وحب السيطرة والتعاون ، وغيرها من مظاهر النشاط الذاتي التي يباشرها الطفل باختياره ، خير معين للربى على تربية الأطفال . فعلى إذن أن نوجه نشاط الأطفال إلى الطريق السوى ، وألا نتركهم من غير إرشاد ، فيجيدون عن الطريق المستقيم .

هذا والنشاط الذاتي يساعد على تربية الطفل تربية استقلالية . ذلك لأنه يرى إلى جعل الطفل يعتمد على نفسه في تحقيق رغباته ، كما يعودته تحمل المشاق في سبيل إرضاء ميوله ونزعاته ، وغير ذلك من جميل الصفات التي إن تمكنت من نفس الطفل ، جعلت حياته سعادة وهنا .

الحواس

إن الرابطة الوحيدة التي تربطنا بهذا العالم هي الحواس . فلا غرابة إذا قلنا إنها أبواب العقل ، لأنها تقوم بوظيفة الإحساس . والإحساس هو تأثر أعضاء الحس بالمؤثرات الخارجية التي تقع عليها . وهو أبسط صورة لأعمال العقل . وتكراره مرات عديدة ، تحتفظ به خلايا المجموع العصبي (المدير للعقل والجسم معا) . ثم يستطيع الطفل شيئاً فشيئاً أن يؤمل هذه الإحساسات ، فيدرك ما يرى من الأشكال ، وما يسمع من الأصوات ، وما يلمس وما يتذوق وما يشم . وإذا ذاك يصير الإحساس المجرّد إدراكاً حسيّاً . وهذا يرقى فيصبح إدراكاً كلياً عن طريق التفكير . وبذلك تكتمل وظيفة العقل في الحياة .

ولما كانت الحواس ذات أهمية كبرى في تكوين حياتنا العقلية منذ الصغر ، فإن العناية بها وتربيتها التريّة الصالحة واجبة في أدوار تربية الطفل الجسميّة والعقلية والخلقية ؛ غير أن ذلك لا يتم لنا إلا بمعرفة تركيب هذه الحواس وكيفية قيامها بوظائفها .

وأهم الحواس المعروفة هي : الإبصار والسمع والشم والذوق واللمس . وهناك بجانب الإحساسات التي تصل للإنسان عن طريق هذه الحواس ، إحساس عام ليس له حاسة خاصة به ، ولكنه يحصل بالأعصاب المتفرعة في جميع أجزاء الجسم ، وبه يشعر الإنسان بحالات جسمه العامة من جوع وتعب ونحو ذلك .

وسنقصر الكلام على تركيب أعضاء الحس الخاصة ، وهي العين والأذن واللسان والأنف والجلد .

حاسة البصر :

وعضوها العين وهي أهم الحواس . ويؤثر في العين جميع الأشياء المحيطة بالإنسان . وأهم جزء فيها هو المقلة وتركب من :
(١) أغلفة . (٢) أوساط شفافة .

١ — الأغلفة وتشمل الأجزاء الآتية :

١ — القرنية الصلبة : وهي طبقة كثيفة بضاء قوية ، الجزء الأمامي منها شفاف ، ويعرف بالقرنية الشفافة .

٢ — المشيمية : وهي طبقة سوداء تمنع تهوئش الأشعة داخل العين ، والجزء الأمامي منها ملون بألوان تختلف في الإنسان والحيوان ، ويسمى بالقرحية . وفي وسط القرحية ثقب صغير يعرف بإنسان العين .

٣ — الشبكية : وهي طبقة رقيقة جدا مكونة من خيوط عصبية دقيقة بعضها بجانب بعض ، وهي الجهاز العصبي للعين ، تتميز فيها نقطتان ، الأولى عديمة الإبصار ، وتعرف بالنقطة العمياء ، والثانية شديدة الإبصار ، وتعرف بالنقطة الصفراء .

ب — الأوساط الشفافة ، وتشمل الأجزاء الآتية :

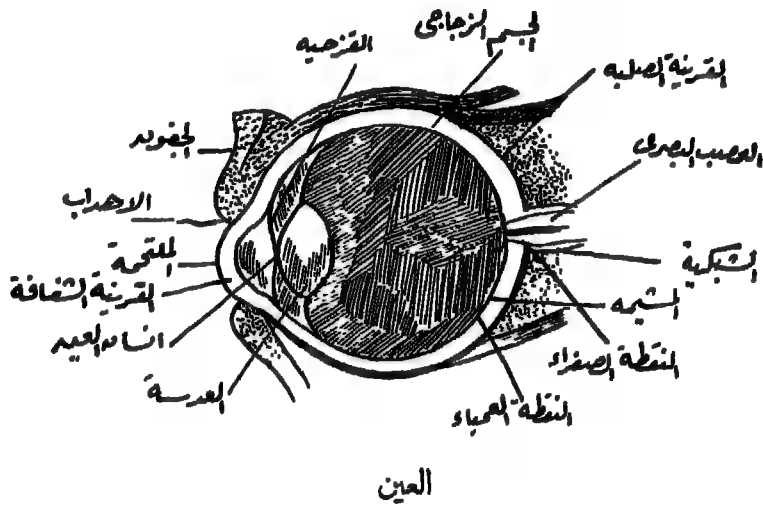
١ — العدسة أو البلورية : وهي بلورة محدبة الوجهين تقع خلف القرحية . وتتصل بها عضلات صغيرة من الجانبين ، يمكن بها جعل العدسة أقل تحديدا أو أكثر ، على حسب الحاجة .

٢ — الرطوبة المائية : وهي سائل بين القرحية والبلورية

٣ — المادة الزجاجية : وهي مادة رخوة ، تعرف بالجسم الزجاجي . وتشغل أربعة أخماس العين تقريبا .

—١٤٣—

وتعمل كل هذه الأوساط على انكسار الأشعة الداخلة ، ثم تجمعها على الشبكية عند بؤرة العدسة (البلورية) .
ويوجد عدا ذلك غشاء مخاطي يبطن السطح الداخلي للجفن العين ، ويعرف بالملتحمة ؛ كما توجد أجزاء أخرى إضافية ، تقي العين من المؤثرات الجوية .
وهي الجفون والأهداب والغدد الدمعية .



ولا يخفى ما للإبصار من الأثر العظيم في حياتنا . فبه يمكننا تمييز ألوان الأجسام وأشكالها المختلفة ؛ وبه يمكننا تمييز الطيب من الخبيث ، والنافع من الضار .

الإبصار :

إذا وقعت أشعة ضوئية على العين ، فإنها تعاني عدة انكسارات متعاقبة عند سطح القرنية ، ثم عند الأوساط الشفافة من العدسة . وبذلك تتكون صورة منقبة للرؤى على شبكية العين . ثم تقع صورته معتدلة طبق الأصل على المركز الرئيسي للإبصار في المخ ، فيراه الإنسان على حقيقته . وإذا كان

المرئى على بعد مناسب ، رأيناه واضحا ، لأن العصب البصرى ينقل الأثر إلى المخ ، فيبعث برسالته إلى العين ، فترى الصورة معتدلة . أما إذا كان البعد غير مناسب ، فإن العدسة تتحدب أو تتقعر لتتم عملية الإبصار ، لأن البعد البؤرى للعدسة يختلف باختلاف درجة تحدبها . وب تكرار ذلك تتعرض العين شيئا فشيئا لقصر النظر أو طوله .

ولاهمية العين ودقة تركيبها وسرعة تأثرها ، يجب على المرء أن يعتنى العناية التامة بنظاقها ، ويتجنب كل ما يؤدى إلى إبدائها ، وذلك باتباع الإرشادات الآتية : —

١ — النظافة المستديمة ويكون ذلك بغسل العينين كل يوم بمحلول مطهر كمحلول حامض البوريك ، ووضع القطرة عند الحاجة ، وعدم لمس الطفل لعينه إذا كانت يده قدرة .

٢ — الاحتراس من العدوى بقدر ما يمكن ، وذلك بتعويد الطفل ألا يستعمل أى أداة من الأدوات التى تلمس العين يكون قد استعملها غيره .

٣ — توفير الضوء وتوزيعه فى الغرف توزيعا صحيا ، وعدم القراءة فى الضوء الضعيف .

٤ — تجنب ما يتعب العين كحقاب التليذ بالقراءة أو الكتابة الكثيرة .

٥ — عدم تكليف الطفل قبل سن السابعة بأى عمل دقيق يجهد البصر .

٦ — تعويد الأطفال عند القراءة ، إمساك الكتب على بعد مناسب ، وعدم

السماح لهم بتقريبها من عيونهم أكثر مما ينبغى .

٧ — أن يكون ورق كتب الأطفال جيدا النوع ، وأن تكون الحروف

كبيرة . والكلمات واضحة ، بينها مسافات مناسبة .

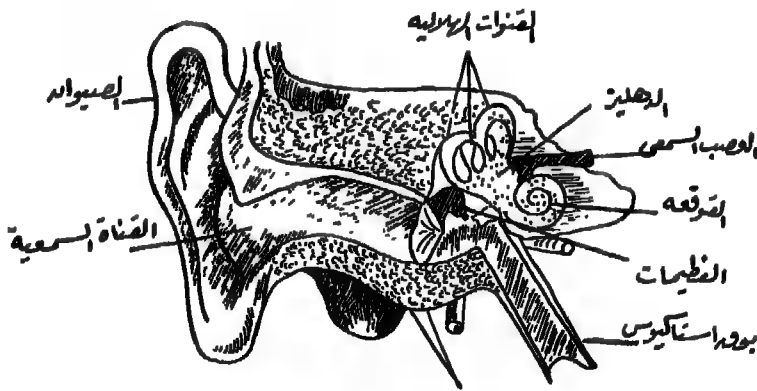
٨ — مراعاة التغذية الصحية ، لأن سوء التغذية يسبب ضعف العين

وقصر النظر .

٩ — المبادرة بعرض الطفل على طبيب العيون بمجرد ظهور العوارض.
التي تستدعي ذلك .

حاسة السمع :

الأذن عضو السمع، وهي تتأثر بالموجات الصوتية . ويعتبر السمع أهم حاسة .
بعد حاسة النظر . وتشغل الأذن جزءاً من العظام الجانبية للجمجمة ، يعرف
« بالصخرة » . والجزء الظاهري منها يعرف « بالصيوان » ، وهو يختص بجمع
الموجات الصوتية . ثم تليه القناة السمعية التي تصله بالجزء المتوسط من .
الأذن . وهذه القناة شعيرات وغدد تفرز مادة صفراء تسمى الصمغ ،
وذلك لحمايتها من الآتربة والأجسام الغريبة .
وتنتهي هذه القناة بغشاء رقيق يعرف بالطبلة ، هو في الحقيقة ابتداء الجزء .



(شكل ٢)

المتوسط المعروف « بالأذن المتوسطة » . وبداخل هذا الجزء ثلاث عظام صغيرة .
هي المطرقة والسندان والركاب . وتحتوى الأذن المتوسطة على كمية من الهواء ،
وبها فتحة تسمى بوق « استاكوس » ، تصلها بالفم . ويصلها بالجزء الداخلي .

من الأذن المسمى « بالأذن الباطنة » فتحتان . وتركب هذه الأذن الباطنة من الدهليز والقنوات الهلالية والقوقعة والسائل المتفرع فيه العصب السمعى . وللسمع أهمية كبرى فى تحصيل المعلومات ، وفى تبادل المنفعة بين الناس ، بما يدور بينهم من المحادثات والمناقشات ، وفى التمتع بالأصوات المطربة . ويحصل السمع بجمع التوجات الصوتية بوساطة الصيوان ، واهتزاز غشاء الطبلة بتأثير اهتزاز هذه التوجات . وينتج عن ذلك اهتزاز عظيمات الأذن المتوسطة ، فسائل الأذن الباطنة ، فالعصب السمعى الذى ينقل الأثر للبخ ، فنسمع الأصوات التى أحدثتها .

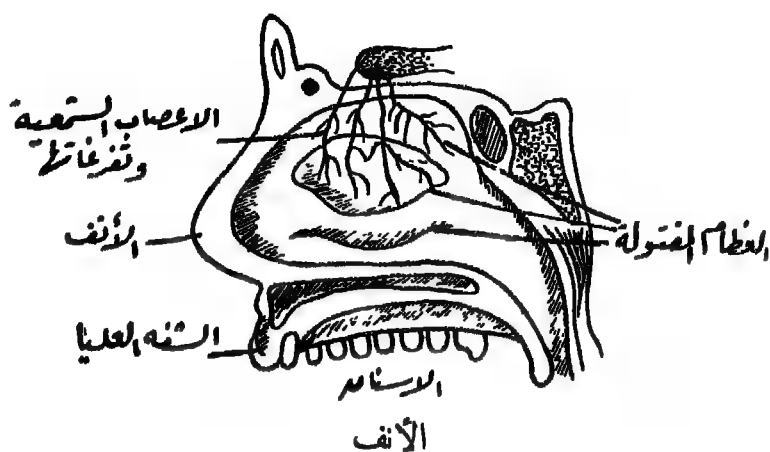
وواجب المرنى أن يعنى عناية تامة بتنظيف أذن الطفل ، وإزالة مادة الصمغ منها أولاً فأول ، حتى لا تراكم فتسبب للطفل الصمم . كما يجب مراعاة أن يكون تنفس الطفل من الأنف دائماً . وينبغى تحذير الأطفال من اللعب فى آذانهم بالسيقان الخشبية الرفيعة التى تعرض الطبلة للتلف . ويجب أن نعلم أن إهمال مرض الأذن قد يودى بحياة الطفل . ولذلك فالواجب عرضه على الطبيب بمجرد ظهور حالة تستدعى ذلك .

حاسة الشم

عضو هذه الحاسة هى الأنف التى تتأثر بالروائح المختلفة . والأنف جزء بارز وسط الوجه ، له فتحتان خارجتان تؤديان إلى فراغين يفصلهما حاجز نصفه العلوى عظمى والسفلى غضروفى . وفتحتان داخلتان متصلتان بالبلعوم والأذن .

وتنتشر أعصاب الشم فى الغشاء المخاطى الذى يكسو العظم المصفوى . وتأتى من المخ مخترقة العظم الأخير

ولهذه الحاسة مزايا خاصة تلخص فيما يأتى : —



١ - إدراك الروائع الجميلة والتمتع بها .

٢ - معرفة تعفن الأشياء وفسادها ، ومعرفة الحريق وانتشار غاز الاستصباح ونحو ذلك ، مما يساعدنا على تجنب الأضرار التي تنتج عنها .

٣ - مساعدة حاسة الذوق في إدراك طعم الأغذية .

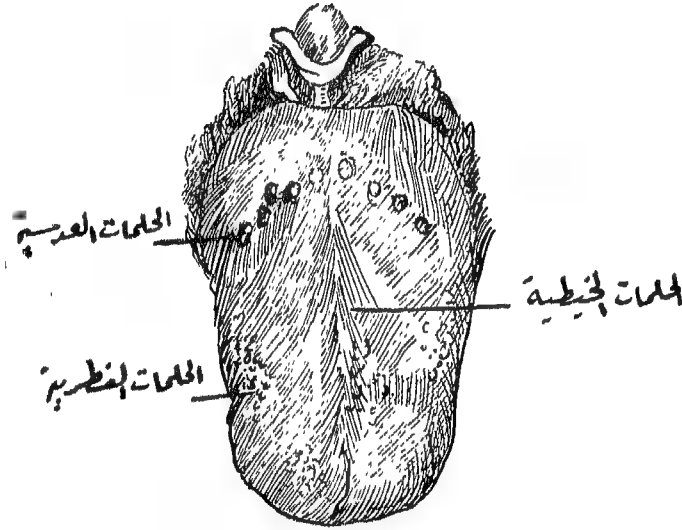
ويحدث الشم عندما تصل ذرات دقيقة من المادة ذات الرائحة إلى الأنف مع الهواء ، وتلامس أعصاب الشم ، فينتقل الأثر إلى المخ ، فتُدرك الرائحة . وتجب العناية بنظافة الأنف ، وإزالة ما يتراكم به من الأوساخ حتى لا يتحول دون سير الهواء ، فيلجأ الطفل إلى التنفس من فمه ، وفي هذا ضرر شديد لرتتيه وأذنيه قد يعرضه للخطر . ولذلك يجب الاهتمام بعلاج الزكام وغيره مما يصيب الأنف فيوقف عملها .

حاسة الذوق

مركز حاسة الذوق اللسان. ويتأثر اللسان بالمواد الذائبة، أو التي يذوبها اللعاب.

ويغطي اللسان ومؤخر سقف الحلق غشاء مخاطي تنتشر فيه الحلمات الحساسة الممتلئة بالأعصاب وهي ثلاثة أنواع : —

- ١ — الحلمات الخيطية : وهي رفيعة صغيرة كثيرة العدد .
- ٢ — الحلمات الفطرية : وهي شبيهة بنبات الفطر ولونها أحمر زاه .
- ٣ — الحلمات العدسية : وهي مستديرة الشكل ، وتوجد في مؤخر اللسان على هيئة زاوية حادة .



اللسان

وبهذه الحاسة ندرك طعم الأغذية والشراب . وهي مرتبطة بحاسة الشم ، لأننا نستطيع أن ندرك طعم الشيء من رائحته ، ونميز رائحة الشيء من طعمه . ولذلك يلجأ بعض الناس إلى سد أنوف الأطفال عند تناول الدواء المرير . وكل ما يحدث أن اللعاب يذيب ذرات مادة الشيء الذي يدخل الفم . وبملاستها للغشاء المخاطي ، تؤثر فيه فتتنقل أعصاب الذوق هذا الأثر إلى المخ

فستطعمه . والمادة البيضاء التي تملأ اللسان أحيانا تدل على انحراف في صحة الطفل ، وتتطلب عناية في إزالتها حتى لا تحول دون عمل حاسة الذوق .

حاسة اللمس

وعضوها الجلد . وهي من الحواس المهمة في تكوين الطفل تكويناً عقلياً . ويتأثر الجلد بالأشياء التي تتصل بسطحه عن طريق مباشر كملامسة شيء خاص له ، أو عن طريق غير مباشر ، كتأثير حرارة متشعة ، أو ضغط تيار من الهواء . وهذه الحاسة تكون على أتمها في جلد الشفتين واللسان وأطراف الأصابع . وتنشأ الحساسية باللمس من تأثير الألياف العصبية كثيرة الفروع ، المنتشرة في الجلد . وتنتهي أطراف هذه الفروع بأجزاء دقيقة جداً لها أشكال مختلفة . وهي التي تساعدنا على أن نميز الأجسام ومبلغ مرونتها أو صلابتها ، ونعومتها أو خشونتها ، وبرودتها أو حرارتها ، ونحو ذلك ؛ وتساعدنا على وقاية أجسامنا من المؤثرات الضارة ، كالحرارة والأجسام الوخازة ونحوها ، كما تكسبنا معلومات شتى عن العالم المحيط بنا .

ومن وجوه العناية بحاسة اللمس ، تنظيف الجلد ، وإزالة ما يتراكم عليه من المواد الدهنية وغيرها ، حتى يسهل عليها أن تقوم بوظيفتها على أحسن وجه .

تربية الحواس :

إن العناية بالحواس ونظافة أعضائها ، ومعرفة طرق وقايتها ومعالجتها شيء ! وتربيتها التربية الصالحة شيء آخر . فالعناية بالحواس لا تغنى عن تربيتها وتدريبها ؛ ولو أننا لا ننكر مطلقاً أن المهمتين متداخلتان . تساعد إحداهما الأخرى .

والغرض من تربية الحواس هو تدريبها على تادية وظائفها تدريباً منظماً مقصوداً حتى تكون مدركات الطفل الحسية صحيحة ودقيقة . لأن إهمال هذا التدريب ، أو تركه للصادفة يعوق نمو الإدراك الحسى نمواً منظماً : والغرض من تربية الحواس ، هو تربية الإدراك الحسى نفسه تربية تمكن الطفل من تمييز المدركات وما بينها من مختلف الفروق والتشابه تمييزاً يستطيع به معرفتها معرفة حقة ، والحكم عليها حكماً صحيحاً .

وهذا التدريب ضرورى جداً لأنه الخطوة الأولى فى تربية العقل تربية منظمة . ويتطلب قدرة ومهارة من المربي ليصل به إلى الغاية المنشودة .

ولأن الإدراك الحسى الواضح هو الوسيلة للاستدلال والحكم وغيرهما من القوى العقلية ، فضعف هذا الإدراك عند الطفل ، أو عدم وضوحه ، يبنى عليه نقص واضطراب فى تلك القوى العقلية . فمثلاً إذا لم يمرن الطفل على إدراك الأزهار إدراكاً صحيحاً من حيث شكلها ولونها ورائحتها وتركيب أجزائها ، فإنه لا يستطيع أن يميز بينها الواحدة من الأخرى ؛ فيترأى له أن كل زهرة وردة مثلاً . وبذلك تكون معلوماته قاصرة نتيجة لقصور إدراكه .

ولإذن فواجب المربي قبل كل شئ العناية بتوسيع خبرة الأطفال بالمدركات ليفهموها ، وتزويدهم بأنواع التجارب التى يقومون بها بأنفسهم ليفحصوا ويتأملوا ما لديهم من الأشياء ؛ أو بعبارة أخرى ، ينبغى أن يبدأ المربي بتربية الحواس كالخطوة الأولى فى تربية العقل . لأن هذا هو النظام الطبيعى لترقية المدارك العقلية . فالطفل يسمع ويرى قبل أن يفكر فيما يرى ويسمع . والمرء يعمل غالباً بيده قبل أن يعمل بعقله . ولذلك كانت اليد أكبر عامل فى نشأة العقل وترقيته .

من هذا نرى أن تربية الحواس هي في الحقيقة تربية العقل نفسه بطريقة غير مباشرة . فكل حاسة لها مراكز معينة في المخ الذي هو مركز العقل كما ذكرنا في تركيب الحواس . وهذه المراكز ناقصة ضعيفة في الأطفال ، ولا يمكن أن ترقى من تلقاء نفسها ، بل يتوقف رقيها على ما يصل إليها من المؤثرات الخارجية

ولهذا عنيت التربية الحديثة بتدريب الحواس . فهذه طريقة «دكرولى» المبنية على الملاحظة والمشاهدة ، تستدعى تربية الحواس تربية صحيحة منظمة . وهذه طريقة « منتسورى » ، وغيرها من الطرق الحديثة تعنى بهذه الناحية ، وتجعل أساس تعليم الطفل التجربة والعمل عن طريق حواسه المختلفة . ولذلك اخترعت « منتسورى » أجهزة خاصة لتدريب مختلف الحواس على التمييز بين المؤثرات المتنوعة وصفاتها وأنواعها وغير ذلك .

فهناك الصناديق التى تحوى قطع الخشب الملونة بألوان مختلفة ، ليضع الطفل كل لون على ما يشابهه من أجزاء تلك الصناديق . وفى هذا تدريب لحاسة النظر على إدراك الفروق الدقيقة بين المؤثرات المختلفة .

وهناك الأجراس والأوتار المختلفة لتمييز النغمات ودرجاتها ، ومعرفة مصادرها لتدريب حاسة السمع .

وهناك الأكياس المملوءة بالبذور والأشياء المختلفة الرائحة ، للتمييز بين الروائح ومعرفة مصدر كل منها .

وهناك الأقمشة الناعمة والخشنة من الحرير والصوف وغير ذلك لتدريب حاسة اللمس .

وهناك المسكبات والاسطوانات والمنشورات لتمييز الثقل والحجم والسملك . وقصاري القول « منتسورى » تؤمن بما للحواس من الأثر البين في

تكوين حياة الطفل العقلية ، كما تعتقد أن تربية هذه الحواس تربية صحيحة أساس متين للنمو العقلي المتزن . ولذلك عنيت باستخدام الأجهزة المختلفة الكثيرة لتدريب كل الحواس على السواء تدريبا خاصا ، يمكنها فيما بعد من أداء وظيفتها على وجه حسن ، فتكون بذلك مصدرا مفيدا ، وموردا نافعا للمعلومات التي تصل إلى عقل الطفل .

وقد عنيت الحكومة المصرية بهذا الأمر فأوجدت كثيرا من هذه الأجهزة في رياض الأطفال .

وليست هذه هي الوسيلة الوحيدة التي يستطيع أن يلجأ إليها المربي في تربية الأطفال ، بل إن هناك عددا لا يحصى من اللعب التعليمية ووسائل الإيضاح التي يمكن أن يضعها بين أيديهم ، فيحلوها ويركبوها ، ويروا أشكالها ، ويسمعوا أصواتها ، ويحسوا ملمسها ، ويجربوا لكشف المعلومات عنها . وبذلك يزداد محصولهم العلى عن طريق تعاليمهم أنفسهم بأنفسهم ، ويستطيعون الحكم الصحيح ، ويتعودون التفكير المنتظم الذي يكون لهم ذخرا مدخرا للمستقبل حياتهم .

وبدئى أن الطفل الذى يسمع فقط بأن فرو القطة ناعم دون أن يراه ويلسه ، لا تثبت المعلومات فى ذهنه كمن يسمع ذلك فيلس فرو القطة ويراه بعينه . ذلك لأن الطفل فى الحالة الثانية قد استعان بأكثر من حاسة واحدة على توصيل المعلومات إلى ذهنه النامى .

وليست حجرة الدرس هى المجال الوحيد لهذه التربية ، بل يجب على المربي أن ينتهز كل فرصة لتدريب حواس الطفل ، وأن يشجعه بقدر الإمكان على الفحص والبحث ، وأن يستعين بالطبيعة فى تدريبيه على إدراك الفروق بين الأزهار والأثمار والحيوان ، وعلى معرفة أنواع الألوان ، وعلى تمييز الروائح

الباب العاشر

الحواس

تريتها، الادراك الحسى .

الادراك الكلى .

المتباينة ، وإدراك الأشياء بملبسها ؛ وبعبارة عامة ينبغي العمل على تربية الملاحظة والانتباه عند الأطفال حتى لا تفوتهم فرصة يتزودون فيها بالمعلومات النافعة عن هذا الكون الجديد عليهم .

من أجل هذا رأى أولو الأمر أن يدخلوا في خطة الدراسة ، الموسيقى وأنواع الرسم والأشغال اليدوية ونحوها من الدروس العملية التي يجد فيها المربي ميدانا فسيحا لتدريب حواس الأطفال .

ونعود فنكرر إن للحواس أثرا عظيما جدا في تكوين الطفل في النواحي الجسمية والعقلية والخلقية ، وإن في تربيتها ضمنا لنموها نموا طبيعيا منتظما حتى إذا سمع الطفل أو أبصر ، انتفع بما سمع ، وتعلم مما أبصر . وبذلك تتكون فيه عادات عقلية وجسمية ، وعواطف مختلفة راقية تبنى أخلاقه على أساسها . ولم تكن هذه العناية بالحواس شيئا جديدا في التربية ، فقد عنى بذلك « روسو » ، « بستانزي » ، « فروبل » وغيرهم من المربين السابقين .

الإحساس والإدراك الحسى .

كيف يدرك الإنسان ما حواليه ؟

قيمة الحواس في إدراك الحقيقة .

يولد الطفل وليس عنده شيء من العلم بنفسه ولا بغيره ، إلا أنه يكون مزودا بصفات النوع البشرى ، وبما ورثه من صفات أبويه الجسمية والعقلية . ولكيما يتعلم الإنسان في حياته ، وينتفع بغيرائه أمدد الله بأجهزة تساعده على ذلك . فنحن الحواس المختلفة كالbصر والسمع والشم والذوق واللمس وغيرها التي بها يستطيع إدراك الحقائق ، والتمييز بين الأشياء . ومن خصائص الحواس أنها متى تأثرت بالأشياء التي حول الإنسان ، انتقل الأثر بواسطة

الأعصاب الحسية المرتبطة بالحواس إلى المخ الذى هو مركز العقل فيحس بها ثم يدركها . وعلى أساس هذه الإحساسات والإدراكات الأولية تعمل القوى العقلية الأخرى .

فالحواس نعمة جليلة من نعم الله علينا . يقصر القول على وصف قيمتها . فهي منبع معرفتنا ومسرّاتنا ولذاتنا المختلفة التى يبعثها فينا إدراك جمال الطبيعة وبهاء الكون وغير ذلك . فليس يخفى ما للحواس من الأثر الكبير في إعلاء شأن حياة الطفل العقلية والوجدانية ، إذ أنها الأساس في توسيع الإدراك وترقية الشعور وتهذيب العواطف .

والطفل يولد قادراً على أن يرى ، وأن يسمع ، وأن يحس بما زوده الله به من أعضاء الحس المختلفة ، ولكنه يتعلم معنى ما يراه وما يسمعه في الحياة . وكل عضو من أعضاء الحس يتأثر بنوع خاص من المؤثرات . فكل حاسة مهيأة لإدراك ما هو خاص بها . فالبصر مهيأ لإدراك المراتب كالنور والظلمة وأجسام الأشياء وأشكالها وأوضاعها وأبعادها وحركاتها وسكونها . وحاسة السمع معدة لإدراك المسموعات وهى الأصوات الطبيعية والموسيقية وغيرها . وحاسة اللمس معدة لإدراك الملموسات كالحرارة والبرودة ، واليابس والرطب ، واللين والخشن ، وما إلى ذلك . أما حاسة الشم فتدرك الروائح طيبة كانت أم كريهة . وكذلك تدرك حاسة الذوق الحلاوة والمرارة ، والملوحة والحموضة ونحوها .

ومن هذه المدركات تبتدىء نشأة القوى العقلية في الطفل . وبمجرد أن تبدأ الحواس في عملها الخاص ، وتصل آثار انفعالاتها بالمؤثرات الحسية إلى المخ ، تحدث أول ظاهرة نفسية في حياة الطفل وهى الإحساس .

الإحساس والإدراك الحسى :

الإحساس هو أبسط مظاهر الحياة العقلية كلها. وينشأ من انفعال عضو من الأعضاء الحسية. ومثله الإحساس بالحرارة ورؤية الضوء وسماع الصوت وغير ذلك. هذا إذا كان الإحساس قاصراً على الحرارة أو الضوء أو الصوت فقط. أما إذا اندمج فيه شيء من الخبرة السابقة يعطيه بعض المعنى، فإنه يصبح إدراكاً حسياً. فجرد سماع الصوت مثلاً هو إحساس، ولكن إذا ميزناه بأنه صوت إنسان أو حيوان أو موسيقى أو غير ذلك، كان إدراكاً حسياً.

والإحساس عملية عقلية أولية، لا يتعلمها الطفل في حياته كما سبق أن ذكرنا. وهو أبسط عمل تقوم به الحواس. والإنسان بطبيعته مدفوع إلى تعرف بيئته المملوءة بأشياء ذات ألوان وأشكال وحجوم وأصوات وغير ذلك. وهذه كلها تؤثر في الحواس من أول عهد الإنسان بالحياة، فيندفع إلى تعرفها. فواجب المربي أن يدرس وظائف الحواس حتى يُمكن الطفل من المحافظة عليها، واستخدامها في معرفة الأشياء المحيطة به. فالحواس تزوده بالمادة الأولية وهي الإحساسات التي تتحول إلى معرفة، وذلك بعد أن يؤهلها العقل فتصبح إدراكاً حسياً.

والإدراك الحسى هو العملية العقلية التي بها نصبح على علم بشيء من الأشياء الخارجية التي تؤثر في حواسنا، والتي يمكن أن نطلق عليها في هذه الحالة «مدركات حسية». والخبرة الشخص السابقة أثر كبير في تكوين المدركات الحسية.

كيف يدرك الطفل ماحواله

يولد الطفل وليس له دراية بشيء مما حوله. وما العالم الذى يحيط به إلا مجموعة مضطربة غامضة من الأشياء التي تقع عليها حواسه. وهو

بطبيعته مدفوع إلى تعرفها ، فيقبل عليها بحواسه المختلفة ليدرك حقيقتها . وكلما ازدادت خبراته بها ، تحسن إدراكه لها وسهل عليه التمييز بينها .

على أن أول ما يسترعى نظر الطفل من المدركات ، فائدتها له وما تجلبه من لذة وسرور . ولذا نراه يعرف الشيء بفائدته . فيقول إذا سئل عن شيء مثلا : هذا أفعل به كذا وكذا . فالفائدة العملية هي التي تجذب الطفل إلى الأشياء . وتحمله على الالتفات إليها ، وتدعوه للملاحظة . والإدراك الحسى لا يكون تاما إلا إذا اشترك في الحصول عليه أكثر الحواس الممكنة ، واستخدم فيه أكبر عدد يمكن من الإحساسات . فالطفل الذى يكتفى برؤية برتقالة مثلا يكون إدراكه لها ناقصا . ولكنه إذا رآها وشم رائحتها ولمسها يديه وقطعها وتذوق طعمها ، فإن إدراكه لها يكون أكمل بكثير من إدراكه في المرة الأولى . ويزيد هذا الإدراك وضوحا إذا رأى أنواع البرتقال المختلفة ، ووازن بينها وبين غيرها من سائر الفواكه . هذا لأن الطفل لا يدرك الشيء بدقة ، ولا يفهم معناه تماما ، إلا إذا رآه وفحصه ولعب به واستخدمه لأغراضه ، وأجرى عليه التجارب الكثيرة التى تساعد على تكوين مدركات صحيحة تامة عنه . فالإحساسات أولا ، والتجارب والخبرات ثانيا ، هي التى على أساسها يدرك الطفل ما حوله ، ويفهمه تمام الفهم .

والإدراك الحسى لشيء من الأشياء ، ولا سيما إذا كان هذا الإدراك مصحوبا بانتباه شديد ، وملاحظة دقيقة ، يقوى الرابطة بين العضلات والأعصاب التى تستخدم فى ذلك الإدراك . وكلما تعددت مرات الإدراك اشتدت تلك الرابطة . وكلما قويت هذه الرابطة صار من السهل على الطفل الإدراك الدقيق الواضح . ولولا الإدراك لظل الطفل يرى دون أن يعرف ما يراه ، ويسمع دون أن يميز ما يسمعه ، ويلبس دون أن يفرق بين مختلف الملبوسات . ويترتب على ذلك نقص فى عقل الطفل .

لهذا يجب على المربين أن يبدأوا بتدريب حواس الطفل على الإدراك ، وتقوية عضلاته . قبل أن يشرعوا في تثقيف عقله بالتعليم . ذلك لأن مراكز الحس والحركة هي التي تأخذ في النضوج قبل سواها من المراكز العقلية الأخرى . على أننا لا نقصد أن نربي عقل الطفل على حدة ، وجسمه على حدة ، ولكننا نقصد تربيتهما معا ، لأن حياة الطفل العقلية مرتبطة بحياته الجسمية كما سبق القول .

والآن قد عرفنا أن الطفل لا يتعلم كيف يرى ، ولا كيف يسمع ، ولكنه يتعلم معنى ما يراه وما يسمعه . فهو يحس من الوقت الذي تتأثر فيه حواسه ، ولكن معرفته للأشياء وإدراكه للحقائق يتوقفان على ما يكون لديه من خبرات وتجارب . وعلى هذا الأساس ينبغي للقائمين بأمر الأطفال مراعاة النقاط الآتية : —

١ — العناية التامة بالحواس من حيث النظافة ، والعمل على وقايتها من العدوى ، وعرضها على الطبيب المختص إذا ما استدعى الحال ذلك .

٢ — تربيته تربية صحيحة ، وتدريبها تدريبا ملائما بطريقة نظامية تؤهلها للقيام بوظائفها المتعددة ، وتعويد الانتفاع بها إلى أقصى حد ممكن . لأن قوة الحواس على الإدراك ترقى بالتدريب ، فتصبح أقدر على القيام بما خلقت من أجله .

أما تربية الحواس فيجب أن تبدأ بتعويد الطفل الإدراك الحسي البسيط المحدود ، كإدراك الألوان الأولية والأشكال البسيطة والأصوات والروائح التي تقع في بيئته . كما يجب أن يزود بلُعب مناسبة تساعد على ترقية حواسه ، وتربي فيه قوة الملاحظة والانتباه . وعلينا أن ندرسه على التمييز بين الأشكال والألوان المتقاربة ، وبين ملمس وآخر ، ورائحة وأخرى مستعينين

على ذلك بتجاربه الشخصية وحاجاته ، وما يتصل بحياته من مأكل وملبس ولُعب وغير ذلك .

ويجب أن نعرف أن تربية الحواس لا تقويها في ذاتها ولا تنمي الطاقة الحسية فيها ، لأن ذلك من الأشياء الموروثة التي لا يمكن تغييرها ؛ ولكنها تربط مراكز الحس بمراكز الحركة بالنسبة لمؤثرات خاصة . وبالتمرين تقوى هذه الروابط فيقوى الإدراك . وهذا أساس تربية العقل .

الإدراك الكلى :

لما كان الإدراك الحسى يتطور إلى ما يسمى بالإدراك الكلى ، رأينا أن نذكر عن الأخير كلمة مختصرة . والإدراك الكلى معناه إدراك المرء للأشياء أو الصفات المشتركة بين أفراد نوع من الأنواع ، أو جنس من الأجناس ، أو فصيلة من الفصائل . وقد يكون الإدراك الكلى على شكل إدراك العقل للمعنى الذى يدل عليه لفظ أو كلمة . فالمعنى الذى تدل عليه كلمة حيوان ، هو المدرك الكلى لجميع أنواع الحيوانات ، بغض النظر عن كونها كبيرة أو صغيرة . متوحشة أو مستأنسة ؛ والفاكهة مدرك كلى أيضا تشمل جميع الأنواع ، سواء أكانت طازجة أم مجففة ، صيفية أو شتوية إلى غير ذلك .

فالإدراك الصفات العامة التى يتميز بها النوع كله ، هو ما يسمى بالإدراك الكلى . والفرق بينه وبين الإدراك الحسى ، هو أن الثانى عملية إدراك معنى الإحساسات التى تلقاها ، بتأويلها تأويلا يزودنا بمعلومات عن أشياء موجودة فى بيئتنا ، وتؤثر فى حاسة أو أكثر من حواسنا ، مثل إدراك ضوء الشمس أو صوت صديق أو رائحة زهرة . أما الأول وهو الإدراك الكلى ، ففيه توجه انتباهنا إلى إدراك ما فى جملة أشياء منميزات مشتركة بينها ، مثل المميزات العامة للطيور والحيوانات وغيرها .

خطواته :

ولكى يكون المدرك الكلى صحيحا ، يجب أن يخطو العقل خمس خطوات هامة ، لكل خطوة أثرها الخاص في تكوينه ، وهى الملاحظة والمقارنة والتجريد والتعميم والتسمية . فنحن نلاحظ كل ما يمكن ملاحظته عن الشيء المراد إدراكه لمعرفة خواصه وصفاته العامة والخاصة ، ثم نقارن بينه وبين غيره من الأشياء لمعرفة أوجه الشبه والاختلاف بينه وبينها ، مستعينين بمعلوماتنا السابقة ؛ ثم يميل العقل إلى انتزاع الصفات العسامة المشتركة والمميزة لتلك الأشياء عن غيرها ، وتسمى هذه العملية العقلية بالتجريد ؛ بعد ذلك يجمع العقل الصفات المشتركة لتعميمها على أشياء أخرى من نوع الأشياء السابقة ، ثم يعمم المعنى على جميع أفراد النوع .

إلى هنا تنقصنا الخطوة الأخيرة فى الإدراك الكلى ، وهى وضع اسم معين يكون رمزا يميزا حاويا لجميع الصفات المشتركة لأفراد ذلك النوع . وإليك مثال يبين هذه الخطوات الطبيعية التى يخطوها العقل فى الإدراك الكلى : فعند ما يرى طفل حيوانا مثلا وليكن كلبا ، يسترعى انتباهه أول الأمر لونه وشكله وحركته وغير ذلك ، وإدراكه له يكون إدراكا حسيا متضمنًا ملاحظته الخاصة لهذه الأشياء السالفة الذكر ، وارتباطها تحت الاسم الخاص المعروف لديه وهو الكلب . وإذا رأى الطفل كلبا آخر ، فإنه يوازن بينه وبين سابقه من حيث اللون والشكل والحجم ، محلا تحليلا عقليا أوجه الشبه والاختلاف بينهما ، فإذا تكرر رؤيته لكلاب أخرى ، ينتزع عقله أوجه الشبه المشتركة بينها ، مهملا أوجه الاختلاف مثل الحجم واللون وغيرهما ، وكلما رأى الطفل أنواعا كثيرة من الكلاب ، كان إدراكه الكلى للجنس إدراكا صحيحا واضحا .

ويعتمد الإدراك الكلى على المدركات الحسية والصور الذهنية . فإذا كانت صحيحة واضحة ، كان المدرك الكلى كذلك ، والعكس بالعكس .
وتختلف الأطفال في قوة الإدراك على حسب مؤهلاتهم الفردية ، ومقدرتهم العقلية . وعلى المرء أن يعود الأطفال دقة الملاحظة والموازنة ، وذلك بأن يعطيهم حرية الفحص والتجربة ، وأن يرشدهم ويساعدهم عند الحاجة ، لتكون مدركاتهم الحسية واضحة ، ومعلوماتهم صحيحة ومضبوطة ، فيسهل عليهم بذلك تكوين مدركات كلية دقيقة .

قيمة اللغة في الإدراك الكلى :

الكلام ملكة يمتاز بها الإنسان عن جميع الحيوانات ويتكون من كلمات هي في الحقيقة رموز اصطلاحية ، بها يعبر الإنسان عن أفكاره ويتفاهم مع غيره .

والطفل الصغير لا يمكنه الكلام ، فإذا أراد شيئاً أو شعر بألم ، عبّر عن ذلك بالصراخ كما يفعل الحيوان . وعندما يبلغ الطفل سناً معينة ، يتعلم اللغة ، ويتدرب على استعمال الكلمات بالتقليد الانبعاثي .

ويبدأ كلام الطفل بما يسميه العامة بالمنغاة ، إذ تراه يردد أصواتاً متكررة مثل « ماما » و « بابا » و « دادا » الخ . ويطلقها على الأشخاص جميعاً . فكل السيدات عنده « ماما » وكل الرجال « بابا » وكل الحيوانات « هوهو » . ثم ينمو العقل « وتزداد تجارب الطفل ، فيستطيع أن يعرف أمه من صديقتها ، وأن يميز بين أبيه وخاله ، وبين عليّ وزيد ، وذلك لأنه أصبح قادراً على التمييز بين الأشياء المتشابهة ، بعد أن كوّن فكرة عن كل شيء منها بشكل عام . وكلما زادت تجارب الطفل ، استطاع أن ينطق بكلمات لا يمكن أن يفهمها . ويستطيع بالتدريج أن يكون أفكاراً أولية « وأن يلصق بالاسم صفة بسيطة »

فيقول « ميمى نونو » و « ماما حلوه » وغير ذلك . وعند ما يبلغ السنتين والنصف ، يصبح قادرا على النطق ببعض الجمل الصغيرة بعد معرفة مظاهر الأشياء العادية وصفاتها وعلاقتها بغيرها ! ويكون ذلك ببطء . وقد ينطق الطفل بألفاظ لا يعرف معناها كما هو الحال في ترديده للأعداد والأزمنة نتيجة سماعها فتراه يقول ١ و ٢ و ١٠ و ٥٠ الخ ، كما أنه يقول « أنا خرجت بكره » ، وهكذا . وحينما يكبر وتنمو ملاحظته ويقوى إدراكه بالتريسة الصحيحة ، يصبح قادرا على التمييز بين الأعداد ، وإدراك الفرق بين الماضي والحاضر .

وإذا كانت المدركات الكلية واضحة ، وكانت الفكرة عنها واضحة أيضا ، أمكن الطفل التعبير عنها بلغة بسيطة وأسلوب سهل مفهوم . أما إذا كانت غامضة مبهمة ، كان من الصعب عليه التعبير عنها .

وعلىنا أن نراقب كلام الأطفال ، وألا ندعهم يستعملون الكلمات في غير وادعها ، لأن التساهل في الأفكار ومعانيها يؤدي إلى الغموض في التفكير .

وينبغي تشجيعهم على التعبير عما يجول بخواطهم بعبارات صحيحة بسيطة ، لأن ذلك يظهر لنا ما يصعب على الطفل فهمه ، وما لا يمكنه استعماله من الكلمات استعمالا صحيحا . وبذلك يمكننا أن نصلح خطأه ، وأن نساعد على فهم ما غمض عليه ، حتى تكون أفكاره جلية واضحة دقيقة .

وقد يترتب على تأخر الطفل في الكلام بسبب الصمم أو غيره ، ضعف في إدراكه الكلى . ولهذا يجب العناية بعرض الطفل على طبيب اختصاصي إذا تأخر كلامه عن الميعاد المعتاد .

الباب الحادي عشر

اللعِب

مميزاته — أهميته — لُعب الأطفال وحسن
اختيارها — تهيئة المَرْبَى الخاص بالأطفال ■ وما يجب
أن يتوافر فيه من المواد .

اللعب

مميزاته :

يتجلى في جميع الأطفال الأصحاء ميل قوى إلى اللعب . فهو مظهر فطرى يميز دور الطفولة في الإنسان والحيوان .

فإذا تركنا طفلاً سليماً وشأنه ، نجده لا يقف عن الحركة المستمرة ، بل يأتى بأعمال مختلفة ليست لها منفعة في حد ذاتها ، ولا ترمى إلى غاية معينة ، وإنما يؤديها لمجرد إرضاء رغبة طبيعية في نفسه .

وإن ما يبيده الطفل من ضروب النشاط وأنواع اللعب ، يختلف باختلاف كل طور من أطوار نموه ، ويتغير تبعاً لقوة الغرائز التى تظهر في مراحل حياته المختلفة . فالوليد الصغير ، طالما كان يقظان في مهده ، لا يكف عن مناغاة نفسه ؛ بل إنه ليُحدث أنواعاً من لفظ الأصوات ، ويحلق في كل ما يقع عليه بصره من المؤثرات المختلفة ، كالأنوار الساطعة ، والأجسام المتحركة ، والأشياء البراقة .

وهو أيضاً طول وقته ، يتسلى لعباً بأطرافه ، فيحركها حركات سريعة غير منتظمة . وربما صاح صياحاً متتابعاً ليس له معنى سوى أنه جدّ فرحان في أثناء قيامه بذلك .

وإذا ما كبر الطفل وشبت هامته فإنه لا يكاد يهدأ في مكانه . بل يحب ويخطو ويتأرجح ويسير مرحاً أينما كان ، ويداعب أى شيء صادفه ، مستمتعاً بالحركة لذاتها ، ومغتبطاً لأنه ينتقل بنفسه .

وأكثر ما يلهو به الطفل الصغير ، ويقطع عليه أوقاته ، تناول الأشياء

التي تصادفه ، وقبض المحسّات التي تمتد إليها يدها ، أو يعثر عليها عرضاً في طريقة .

فهو يسحبها نحوه أو يدفعها عنه ، ويحررها وراءه أو يخطبها اغتباطاً ، ويتذوقها ضاحكاً أو يرميها غاضباً ؛ وهكذا يستمر من غير ملل يلعب بفكها وتركيبها ، أو تخريبها وترميمها .



الطفل بين لعبه

وكلما قوى جسم الطفل وارتقت حواسه ، بدت في لعبه عوامل جديدة ، ومظاهر فطرية متنوعة ، كالحكاية وحب الاستطلاع والمنافسة والاجتماع والاستهواء . وتقترن هذه جميعها بحدة خياله . فهو يشخص في الأشياء ويحسها ، ويلصق بها معاني طريفة من وحي تفكيره ؛ إذ يتصور القضبان خيولاً يركبها ، والأوتاد جنوداً يقاتلها ، والأطفال فرساناً يبارزها ، والأشجار عمالقة يصارعها .

وعندما يجتمع الطفل برفاقه للعب ، يشرع يستعرض قوته ، ويظهر تفوقه على غيره في مسابقات شتى . وبعد ذلك يأخذ ينتظم في سلك فريق يبارى الآخر في الجرى والقفز والمغالبة وألعاب الكرة ، سالكا فيها قواعد عامة تضعها الجماعة ليسير عليها هو ورفقاؤه .

وهكذا بنمو الطفل واستكمال عقله ، تتحول ألعابه من الحركات الفردية غير المنتظمة في معظمها ، إلى ألعاب تعاونية يتجلى فيها دافع المنافسة ، خالية من التقليد ، ومصوّبة للوصول إلى هدف معين . كذلك يقل في الأطوار الأخيرة من نمو الطفل ميله إلى الألعاب الجسمية ، وتزداد رغبته في ألعاب التفكير والذكاء التي تتعلق بالحدس وحل الأحجيات ، وعقد الموازنة بين المناظر ، والملاءمة بين الأشكال .

من الأمثلة السابقة يمكننا أن نستنتج أن لعب الأطفال ينبعث عن قوة خفية فيهم ، وحيوية مدخرة ، تدفعهم فطرتهم إلى استنفادها من تلقاء أنفسهم في هذا المنوال من الحركات .

وهم في بعض ألعابهم يمثلون أعمالا كان الأولون يؤدونها في أدوار تدرجهم المختلفة على مرقاة التقدم في المدنية . فالأطفال يكررون في ألعاب التسلق والصيد والمطابخنة ، تلك العصور الفطرية التي كان الإنسان فيها يتصيد طعامه ، ويعيش في الغابات ، ويتربص بسوء لأعدائه .

وهناك ألعاب أخرى تبدو الأطفال فيها كأنما هم يُعيدون أنفسهم للحياة العملية المقبلة ، وهي الألعاب الشبيهة بالأعمال التي يحترفها الكبار . كتمثيل دور الأم والآب والأولاد في الأسرة ، ومحاكاة الصانع في مصنعه ، والبائع في متجره ، والزارع في حقله . ومن ألعاب الأطفال أيضا ما ينساقون إليه لرغبة ملحة في نفوسهم ، وإرضاءً لنشوة النشاط الثائر فيهم ، كأنها مطلب الجيلة تدفعهم إليها لتنمية جسومهم وعقولهم .

أهمية اللعب للأطفال :

إن تربية الأطفال عن طريق غرائزهم وميولهم الفطرية تأتي بسهولة من غير عناء ؛ إذ أنه لما كان الطفل يلعب بدافع من ذاته وبمحض رغبته الطبيعية ، كان اللعب خير الوسائل لتربيته تربية ذاتية يستطيع بها أن يعبر عن خواطره ، وأن يبرز نشاطه ومواهبه . وفي خلال هذه الفرص السانحة يتسنى لمن يقوم على شأنه ، أن يهذب غرائزه . ويحسن توجيه ميوله ونزعاته . متخذاً من مظاهر البيئة وأعلامها . طريقاً إلى تلقين المعلومات وبث الأفكار ومبادئ المعرفة . عفواً بغير قصد .

فبواصر الصياح الأولى التي يلمسها الطفل هي أساس نشوء اللغة وتعلّمه الكلام . وألعاب الحركة والمجهود الجسمي تُمرّن عضلاته ، وتقوّي مختلف أعضائه وتذكّي نشاطه . واللعب بالأشياء التي تحيط به ومعالجتها لاستطلاع ما تحدثه من المؤثرات ، وولعه باقتنائها ، يرقى حواسه ومداركه الحسية ويقفه على صفاتها ومزاياها .

ولألعاب التمثيل والمحاكاة والتخمين ، شأن مهم في توسيع خيال الطفل وإنهاض تفكيره . أما الالتقاء إلى الجماعات ، وتكوين الشبكات في اللعب ، فتقويم لخلق الطفل ؛ إذ تسيطر عليها عوامل مهمة كالمشاركة الوجدانية ، وتضامن الزملاء ، ومراعاة الولاء وحسن المعاشرة ، وأصول المجاملة بينهم ، فضلاً عن تعوده ضبط النفس ، واحترام القانون ، واتزان الحكم ، وقوة العزيمة في مواجهة الصعاب ، والتغلب على العقبات ؛ علاوة على كسبه روح المرح والسرور الذي هو من أظهر عناصر الشخصية الجذابة .

ومن الأمهات من تسمي فهم ابنها اللعوب ، فتعبره شاذاً ، وتصفه بالشقاوة والعفرفة ، ، وتحاول منعه عن الحركة واللعب ، وتحمله على الهدوء والتزام

السكون . ومثل هذه تقترب خطا جسيما . إذ تضايقه بكبت نشاطه ، وترهقه بما هو فوق إمكانه من جهد عظيم يبذله في مقاومة دوافع اللعب ودواعيه . فيخمد نشاطه . وتضعف حيويته . كذلك ليست على صواب من تتدخل في ألعاب طفلها لتعديل شكلها ، أو تغيير مجراها ؛ إذ ينبغي تركه حرا مطلق التصرف في اتباع ميوله من غير أن تقيده بفكر خاص ، قد يفسد عليه لذته ، أو يتنافر مع استعداداته .



الأطفال يرحلون ويلعبون

ولكن يجب ألا يمنعنا هذا من مراقبة الطفل في أثناء لعبه لضبط الحركات العنيفة وتحويلها في رجوه نافعة غير ضارة .

لَعَبُ الْأَطْفَالِ وَحَسَنُ اخْتِيَارِهَا :

من كل ماتبتين من قيمة اللعب في تربية الأطفال ، يجدر بنا حسن العناية به ، والاهتمام باختيار اللُّعْب التي نقدمها لهم بحيث تكون لها فوائد تربيبية ، فنستثمرها في تحقيق نواح مقصودة من نموهم العام . وأهم ما يجب توافره من شروط في لُعْب الصغار ما يأتي :

(١) أن تكون مناسبة للطفل من حيث كونه بنتا أو ولدا ، وموافقة لحالة نموه ، وللطور الذي بلغه من التقدم الجسمي والعقلي حتى تلائم ميوله . فالفتاة مثلا لا تقتنها كثير من اللُّعْب التي تخلب لب الصبي . واللُّعْب التي تستهوى طفلا في الحول الأول من عمره ، قد تسم آخر في الحول الثالث منه .

وفي السوق من أنواع اللُّعْب الكثيرة ما يمازج عقل الطفل ، ويرضى طبائعه في أطوار حياته التي يجتازها ، متدرجا من الإحساس البسيط إلى الإدراك الحسي ، فالتخيل والتذكر والتفكير . ومن أمثلة هذه اللُّعْب ما يأتي :

١ — اللُّعْب الرخوة الناعمة من المطاط والاسفنج والفلين والقماش والصوف والباغة ، مثل الكور والدمى والحيوانات والخشاخيش والبالون والزمارة . وهذه تكون غالبا ذات ألوان كثيرة ، وأصوات رنانة ، يستعمل فيها الطفل الصغير حواسه ، فتنبه فيه اللمس والسمع والبصر والذوق .

ب — اللُّعْب المصنوعة من الخشب أو الورق أو الكرتون ، واللعب المتحركة الآتوماتية المصنوعة من المعادن . وهذه تسترعى انتباه الطفل بغريب حركاتها ، وتركيب أجزائها ، وأزيز صوتها أو جملجلتها ، مثل المكعبات

والصور المجزأة، والدوامات، وعُدَدِ النجارة أو الحدادة، وأدوات.
المطبخ ونماذج الطيارات والسيارات والقطرات والقوارب وغيرها.

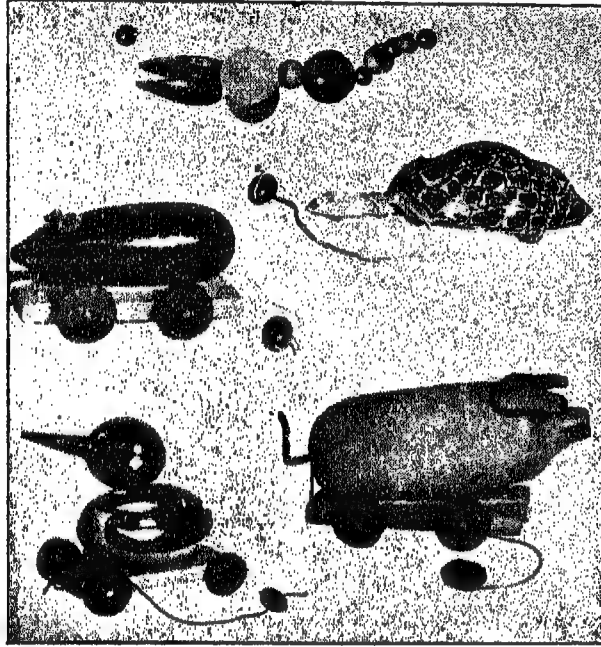
ح — اللّعب التي تستهوى الطفل للحركة والتمارين البدنية.
كالأراجيح والزلاقات والدراجات.



حافلة تفكر وتلعب

و — اللّعب التي تستدعي الخدق والتفكير، واللعب التعليمية المختلفة التي
تشحذ عقل الطفل في دقة الملاحظة والتجريب وحسن التقدير وسرعة
الخاطر والصبر والمثابرة، كالألعاب رمى الهدف والإصابة، وألعاب الورق.
(السكتشينة) والنرد والداما، وأجهزة اللعب الحسائية واللغوية، ونماذج
التعليم الخاصة مثل أجهزة « منتسوري » ولّعب « دكرولي ».

(٢) أن تكون جذابة للطفل ، فتغريه إليها بألوانها الجميلة المتوافقة .
 أما امتلاك اللعب الحقيبة ، ذات الألوان المزعجة ، فتتلف ذوق الطفل ، كما
 أنه لا يكثر بها .



بعض أنواع اللعب التي تناسب الأطفال الصغار

ومن اللعب الجذابة ما كانت غريبة التركيب ، وشاذة الحركة فتثير الضحك
 والسرور والجذل ، وتبعث في الطفل بواذر الفكاهة ، وتجلب إلى نفسه المرح .
 كالأشكال المحوّرة للأشخاص والحيوانات والفواكه ، واللعبيات المجوينة
 ذات الأزياء الطريفة ، ونماذج الحيوان أو النبات التي تمثل حركات إنسانية ،
 كالفأر « ميكي » ، والشعّب المباغتة في حركاتها ، ومفاجآت صوتها ، كالكركون
 والعلب المسحورة .

(٣) ألا تكون باهظة الثمن حتى لا نضن باستهلاكها ، ولا معقّدة التركيب حتى يسهل استعمالها ، فنترك لخيال الطفل مجالا لاستقصاء تفاصيلها واستكمال حركاتها .

وفوق كل ما سبق ، يحسن بقدر الإمكان أن يشترك الطفل في اختيار اللعب التي تروقه حتى نقضى حاجة في نفسه ، ونشعره بذاتيته ، وحرية الاقتناء حسب مشيئته .

تهيئة المَرْبِي الخاص بالأطفال وما يجب أن يتوافر فيه من مواد :

حيث أن اللعب هو حياة الأطفال ، وأن الأطفال في أثناء لعبهم يؤدون ما يريدون من الأعمال بحرية مطلقة وبلا تحفظ ، فهم إذاً يحتاجون إلى مكان مستقل في سكن الأسرة يرتعون فيه بين لعبهم ، ويمتلكاتهم ، غير مقيدين بمطالب الترتيب المحتمة على الكبار ، وبدون أن يعتدوا على نظام معيشتهم . وهذا المكان الذي هو من حق الصغير ، وواجب أن نهيئه له بين ظهرانينا ، ليقضى فيه القسط الأعظم من أوقاته هو المَرْبِي (Nursery) . وخلق بنا أن نفسح أفضل الغرف وأصحبها موقعا وأصلحها لتكون مأوى له . وعند إعداد مربى الطفل ومخدعه الخاص ، يراعى ما يأتي :

(١) اختيار حجرة فسيحة هادئة تدخلها الشمس والنور والهواء النقي . وطلاء الجدران والسقف بلون بهيج ، وتغطية الأرض بالخشب والسجاد البسيط .

(٢) تجميل الحجرة وتجليه رونقا بدوق سليم ، يتمتع الطفل بعناصر الفن والانسجام ، ويستريح فيها بتوافق التنسيق ونضارة المنظر على الإجمال . فتُزَيِّن الجدران بصور مستطرفة للصغار ، وتُزَخَرَف النوافذ والأبواب والنضد والرفوف بالستائر الملونة ، والأغطية المنقوشة بأشكال تلاطف نفوسهم .

(٣) تأثيث الحجرة على أسلوب بسيط من الأمتعة الصغيرة التي يسهل نقلها ومداومة تنظيفها وتنظيمها، وتحضير معدات النوم والملبس والغذاء والنظافة الشخصية .

(٤) تجهيز المَرْبِي بصنوف اللُّعْب ووسائل التسلية المفيدة التي تسير نمو الطفل وتدرج تبعاً لسنه حياته . ويجب أن تتطور جاذبيتها وتنوع باختلاف سنه ودرجة تكوينه . ويحسن أيضاً إيجاد مكتبة صغيرة تحوى مجموعة من الصحائف التصويرية والكتب المطبوعة بحروف كبيرة ليستطيع الطفل قراءتها والاطلاع عليها . هذا مع تحضير بعض أدوات للرسم والتصوير والتلوين ، وبعض خامات للأعمال اليدوية التي يمكنه مزاوتها ، وبعض آلات موسيقية صغيرة يمكنه استعمالها إذا مال إليها بطبيعته .

(٥) تهيئة الحجرة ببعض مستلزمات للدراسة الطبيعية وملاحظتها ، مثل المظاهر وأصص الزرع وسمك المرجان والعصافير المغردة وصدائق النبات وما إلى ذلك ، مما يبعث في الطفل الاهتمام بمعالم الخليقة ، والاستمتاع بمشاهدتها . هذا ولزيادة تحقيق الفائدة التي قصد منها إعداد مَرْبِي الطفل وتزويده بلوازم معيشته ولعجهه ، يحسن بناكلها أمكن أن تتيح له فرصة الاشتراك معنا في مواصلة تعهد مراقبه ، والمحافظة على مقتنياته ؛ كأن يقوم بجمع الأزهار وتنظيمها ، ويؤدي مهمات صغيرة في التنظيف والتزويق ، ووضع محتويات كل شيء في مكانه . واقتراح الموقع اللائق لتعليق الصور . وتصنيف الكتب ؛ ويبدى رأيه أيضاً في تدبير المواعيد وجدول الأعمال . وتسوية شئونه في المَرْبِي إلى آخر ما هنالك من تلك الأمور التي لها أثر حسن في تعويده وتنشئته على الحياة العملية المعيشية .

الباب الثاني عشر

حب الاستطلاع -- الحل والتركيب -- الملاحظة --
التخويف -- الخيال -- أكاذيب الاطفال

حب الاستطلاع

يولد الطفل في العالم فيجده جديدا عليه ، ملآن بالمستحدثات . وتمر به ظواهر الطبيعة اليومية ، وحوادث الحياة المعتادة فيلقاها بجهولة لديه . لا يعهد أسبابها . ولا يدرك مسبباتها . وهو يعجب من سرها الخفي ، ويدفعه العجب إلى كشف غوامضها ، والبحث عن مكنوناتها .

فإذا راقبنا طفلا صغيراً نجده قوى الرغبة في لمس كل ما يحيط به من المحسسات ، ومعرفة كل ما يجرى حوله من الأمور . وسماع كل ما يقال أمامه من الحديث . هذا لأنه تواق إلى تفهم كنه الأشياء ، ومنهزم بالمعرفة بدافع من غريزة حب الاستطلاع .

ويتنبه في الطفل حب الاستطلاع برؤية الأشياء الجديدة « ومشاهدة الوقائع الغريبة » وسماع الأصوات والكلمات غير المألوفة ، وما شابه ذلك من المؤثرات التي لا يعرفها فيعجب لها . ثم ينزع إلى فحص تركيبها وألوانها ويحاول مذاقها وتجربة صروتها إلى آخر ما هنالك من حيل توصله إلى العلم بنحوها .

وكثيرا ما يجازف الصغير بنفسه بدافع هذه الغريزة ، فيدنو من الأجسام الشاذة مأخوذا بطرافتها ، غير مبال بما قد يداهمه من خطر . فيحرق فيها منقبعا عن أصلها وشأنها ، حتى يبلغ المستور من صفاتها .

وحالما يتعلم الطفل الكلام ، يكثر من الأسئلة عن كل شاردة وواردة تأتي في ميدان خبرته ، مستفهما عن مسميات الأشياء ، ومصادرها ، وفوائدها للإنسان ، وكيفية تكونها ، ومتناقشا في العلة والمعلول والبرهان متجاوزا في كثير من الأوقات حدود إدراكه ، ولكنه على وجه الإجمال ، يغير

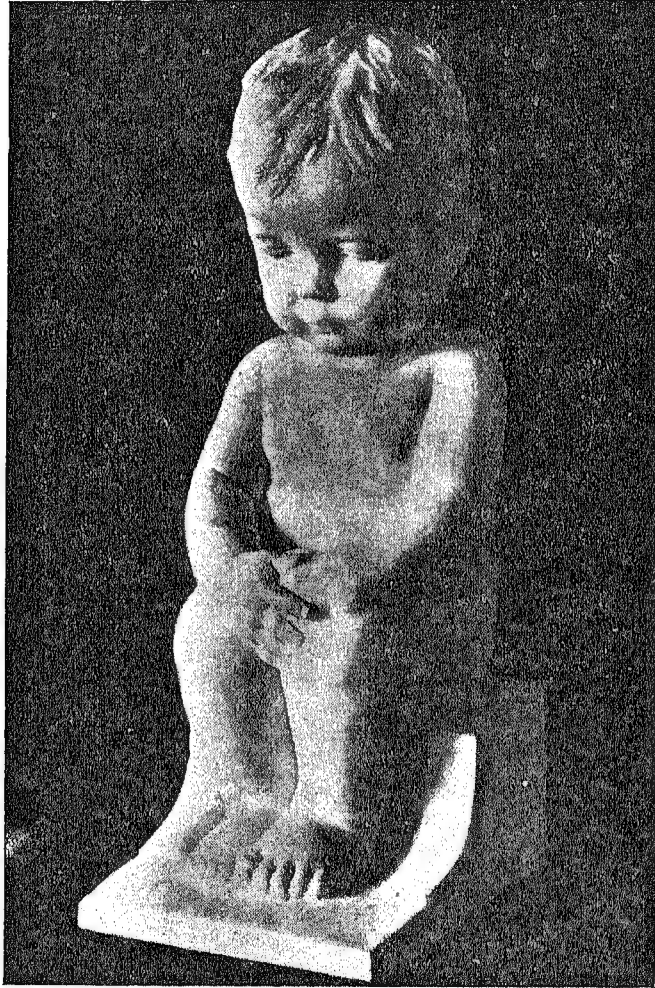
موضوعات بحثه ، ويعدل مدى تشوفه ، ويعدل دائرة اهتمامه باستطلاع الأشياء تبعاً لسير نموه . فهو يسأل مثلاً لماذا يعوم البط؟ وماذا يرفع الطائرة؟ ومن أين تأتي الرياح؟ وكيف تدور الساعة؟ وإلى أين يمتد البحر؟ وأسئلة أخرى كثيرة متشابهة يلقيها علينا لفرط رغبته في المعرفة ، وحبّه في استطلاع المعلومات .

ولهذا كانت غريزة حب الاستطلاع في الطفل أساساً لكل مطلب في العلم ، وباعثاً لحصر الفكر والانتباه وبذل الجهد في التحصيل والابتاج . فكل طفل لديه من قوتها الطبيعية أكبر معين على توسيع مداركه ، والاستفادة من بيئته في السعي وراء الحقائق والإلمام بها . ومن هنا يتبين لنا ارتباط حب الاستطلاع باللعب — فاللعب التعليمي الذي يمد الطفل بها ، ليست مجرد وسائل للتسلية ، بل هي تصلح فوق ذلك كبواعث لاثارة حب الاستطلاع ، ولتحريك العجب والاستغراب في الطفل ، فيكبد في نهج المعرفة بالاستزادة من الخبرة والدراية الفعلية بهذه الأشياء .

وبما أن أسئلة الطفل الكثيرة صادرة عن هذه الغريزة ، فعلى أن نجيب عن كل سؤال منها بأسلوب يكون وفق مستوى عقله ، وفي حين فهمه . ومقدور تفكيره ؛ فلا نعرض في ردنا عليه من المعلومات إلا ما يناسب منها حالة معيشته ، وما يلائم سنه وحاجته .

وليس من الحكمة أن نعطي للطفل إجابة مباشرة عن جميع أسئلته ، إذ أن هناك طائفة منها يستحسن حثه على استنباط أجوبتها بالتقصي والملاحظة والتجربة العملية ؛ أو استخلاصها من قراءة الكتب والمجلات العلمية . وذلك بغرض إيقاظ روح البحث في الطفل ، وكسب المعرفة بذاته لذاته ، وإحساسه بلذة الفوز في الحصول عليها بجده وعمله . فإذا استفهم مثلاً عما يحدث صوتاً من دميته . نجعله يفككها ليطلع بنفسه على الصفارة التي تسبب هذا الصوت .

— ١٧٩ —



(الفيلسوف الصغير)

ومهما كانت أسئلة الطفل تافهة أو سخيفة أو غير معقولة ، فليس لنا أن
 نسخر منها أو نزديرها . وليس لنا في أى حال أن نجيب عنها بفتور ، أو بندى
 تضجراً من كثرتها ، لأن هذا قد يمس كرامته ، فيطفيء فيه حماسة الغريزة
 ويضعفها ، ويجعله لا يسأل إلا قليلاً . وبذلك ينشأ قاصر العقل جامد التفكير .
 وهناك أطفال يجدون من ذويهم إهمالاً واستخفافاً بأسئلتهم فيلجأون إلى
 الخدم أو إلى البسطاء الذين يزودونهم بمعلومات غير صحيحة . وينتج عن
 ذلك أن يصير نطاق معارف الأطفال ضيقاً ، وتحصيلهم غير مضبوط .
 وغريزة حب الاستطلاع إن قويت واشتدت ، وأغفلنا تعهدها وتهذيبها
 فإنها تجعل الطفل ذا ذلاقة وفضول . ولكنتنا بحسن الاهتمام إلى جعلها
 عماداً لمبنى تعليمه ، قد يصل بها أمره إلى أن يصير مبتكراً ومخترعاً وكاشفاً .
 إذ يسير في جهاد متواصل وبشغف متزايد في مسالك جديدة تقفه على جميع
 مناحي العلوم والفنون المختلفة .

الحل والتركيب

كثيراً ما يدهشنا من أمر أطفالنا الصغار ، ويحيرنا منهم ميلهم إلى الهدم والتخريب تارة ، وطوراً إلى التركيب والتشيد . فهم متناقضو النزعة ، من مدمرين هائلين ، إلى بناءين عظماء . وما هذا إلا لأنهم في نفس السن التي يصبحون فيها محبين للاستطلاع ، تظهر عندهم أيضاً غريزة مزدوجة يقترن فيها الميل إلى الحل والتكسير ، بالميل إلى التركيب والتكوين . فهم مثلاً يبنون مختلف الأشكال من الرمل ، ثم يهدمونها مرة بعد مرة واجدين في ذلك لذة عظيمة . وعند ما يأخذون منا لعبتهم ، يتأملونها ، ثم يشرعون في تحطيمها وإتلافها في بعض الأحيان . وقد يعكفون عليها منشغلين بها ، يوفقون أجزاءها ، ويحاولون إرجاعها إلى ما كانت عليه . وما رغبتهم في تكسيرها إلا بدافع الاستطلاع والوقوف على كيفية تركيبها ، والسر الذي يحركها . ولا يلبثون أن يعودوا ينظمون قطعها ، ويضمونها بعضها إلى بعض ، بغرض تجريب أثر قوتهم في إعادة بنائها بذاتهم ، وإبراز قدرتهم الشخصية على التكوين .

ولهذه الغريزة من الفوائد في تربية الأطفال ما لحب الاستطلاع والميل إلى اللعب بالمحسسات . ونحن نستطيع ترويضها وتهذيب مظاهرها بالطريقة عينها التي نتبعها في استخدام ذئبك الميلين في ترويضهم وتهذيبهم . فنغني بتهيئة المكان الذي يكون مسرحاً يقوم فيه الطفل بالحل والتركيب من غير أن يخرجه أحد أو يزعجه إنسان . فإن وجدت بالبيت حديقة ، خصصنا جزءاً منها للطفل حيث يستطيع أن يشتغل بفلاحتها في أحيان كثيرة . ذلك إلى جانب النصيب العظيم من الاهتمام الذي يعطيه المربي لإرضاء هذه الغريزة أيضاً ، بتوفير القوالب المختلفة وكميات الرمل وكتل الصلصال والورق الملون والبسكر

— ١٨٣ —



(الأهمالك فى التركيب)

والفل وخامات الأعمال اليدوية وأدوات الرسم والتصوير وبعض من
سقط المتاع كالصناديق الفارغة والأدوات المستغنى عنها وغير ذلك من المواد
التي يسهل على الطفل استعمالها في إنجاز ما يريد صنعه ، مثل إنشاء النماذج
للبنازل والمآذن والقناطر ، ولأنواع الأثاث الصغيرة والحيوانات والطيور
والفواكه ، ولماظر الشواطئ والمزارع والمدن ، إلى آخر ما هنالك من أشكال



(التكوين بالرسم)

يوصل هدمها ومعاودة بنائها ، فيؤلف من جديد طرقاً لتحسينها بصيغة أفضل
فأفضل ، إلى أن يحكمها بإتقان .
هذا وإن ما يجب أن نحذره في رعاية هذه الغريزة هو ألا نملئ على
الطفل كيفية حل لُعبه أو تكوينها ، فإن ذلك يضعف فيه قوة التفكير

والإبداع . ويحسن بنا دائماً أن نتركه وبداهته ليعبر عن قدرته الفردية الإبداعية بنفسه . وما علينا إلا أن نبعد من دون أن يشعر عن أعمال التدمير والتخريب إلى مشروعات الترميم والبناء ، فنقوم بإمداده بمواد الإبداع الأولية قبل أن نعطيهِ اللُّعب المركبة القابلة للتكسير . فهذا نستهدفه إلى إنتاج عمل طيب يشعره بسرور النجاح بما في مقدوره من قوة فعالة ، ونغافله عن بواغث الهدم



(السرور بالعمل)

والتخريب والإفناء . وهكذا يترعرع في المجتمع فرداً عاملاً ومنشئاً لا مخرباً ولا مهلكاً .

وكثيراً ما يتبرم الكبار لنشاط غريزة التخريب في الطفل ، فيغضبون عندما تدفعه إلى إفساد الأشياء أو تدميرها بحيث لا يمكن إصلاحها أو ردها إلى أصلها . لذلك وجب أن نحضر له لعباً رخيصة لا تثقلنا خسارتها إذا ما قطعها أو خربها . ويخطئ كل من يعاقب الطفل على ما يتلفه أو يبيده من اللُّعب ، لأن هذا

يحملة على كبت نداء هذه الغريزة ، وإغفال دافعها فيشل فيه قوة النزوع إلى حلها لسبر حقيقتها واحتذاء نماذجها ، وبذلك تنقص الاستفادة من هذه اللعب ، ويقل أثرها في تربية حواس الطفل ومداركه ، وتنمية قوى التفكير والابتكار عنده .

الملاحظة عند الأطفال

في محيط الطفل الصغير أشياء كثيرة يلزمه الانتباه إليها وتلسمها بحواسه ليحيط بها خبرا ، ويلم بما يتعلق بها لإلمام علم ومعرفة ، ثم يصور منها صورا واضحة تتميز بها ، وتبقى في ذهنه واضحة تعبئه على إدراكها والإحاطة بكنهها عندما ترد عليه في سبيل حياته .

وحصر الانتباه في جسم من الأجسام ، أو توجيه قوى العقل إلى واحدة من ظواهر الأعمال بغية زيادة الإلمام بها هو الملاحظة . فالطفل يلاحظ شيئا ما إذا وجه إليه اهتمامه ولفت إليه حواسه بصفة خاصة لتوسيع معلوماته عن شكله وحجمه ولونه أو تعرف عناصره وصفاته ومسلكه ، أو فحص عوارضه الناتجة عن المؤثرات غير الظاهرة للعيان ، أو غير ذلك من أوجه الاهتمام بالبيئة التي يعيش فيها .

والملاحظة في الطفل هي العماد في نمو عقله ، والأساس الذي يبنى عليه علمه ، إذ أنها الأصل في استجماع الحقائق وإكثارها وتثبيتها في وعيه ، فتتخذها ذاكرة والخيال والحكم والتعليل والتفكير ليقم كل منها على قواعد نشاط أعماله المختلفة . وكلما كانت الملاحظة قريبة من حقيقة الأشياء ملتصقة بالواقع من الأعمال ، كان الإدراك المبني عليها صحيحا وعلى العكس .

إذا كانت قوة الملاحظة في الطفل ناقصة ، فإنها تسبب قصور إدراكه
وخمول تفكيره .

وتربية الملاحظة في الأطفال تسير تربية الحواس وتتمشى في خطتها مع
اللعب وحب الاستطلاع والحل والتركيب . فجدير بنا إذن أن نقويها
فيهم وهم صغار حتى يزدادوا بحشا وتأملا في الأشياء على توالى نموهم ، وحتى



(الطفل بين الطبيعة)

يتعودوا الدقة وحصر الفكر وهم كبار . فملاحظة اختلاف الأشكال ،
وتموجات الصوت وتدرج الألوان مثلا ، ينشئ الطفل على حب التوازن
والوفاق وتذوق الجمال في الأشياء فينمو فنانا مهذبا ، وحساسا رقيقا . وضبط

— ١٨٩ —



(التأمل في الطبيعة)

النظر وتدريب اليدين في تلمس الأجسام ، تكسبه الدقة اللازمة في إحكام الحرف والصناعات المختلفة . وتنبيهه إلى إدراك مقاسات الزمن والمسافات . وقيمة الأعداد ، يمهّد إدراكه لدروس الحساب . وباستكمال قدرته على الملاحظة والمقابلة بين الأشياء المادية ، يزدهر فهمه وتعلقه للمعاني النظرية .

وأول ما يورقظ الملاحظة في الأطفال الأشياء التي تتعلق بذواتهم . لأن الإنسان يميل بطبيعته إلى الاهتمام بكل ما يتعلق بذاته . وإزاء هذا فإن مقدرتهم على الملاحظة تكون مقصورة في أول الأمر على تبين أمهاتهم أو مرضعاتهم ، ومحدودة في دائرة غذائهم وزينهم ولعبيهم .

وأشد ما يلاحظ الأطفال أيضاً الأشياء الجذابة والمتحركة . فهم يدقون النظر في الألوان البهية والأنغام المشجية والروائح الشذية والحركات المتغيرة ، إذ تستحوذ على انتباههم فيقتربون منها ، ويتفحصونها بكل جهودهم . والأطفال في بادئ أمرهم يلاحظون الأشياء متسرعين بغير دقة ، ومضطربين بغير ثبات . وذلك لأنهم لا يقوون على حصر فكرهم في شيء واحد لأمّد طويل . فانتباههم يتحول من عمل إلى آخر ، ومن شيء إلى شيء بسرعة لقلة ما لديهم من معلومات ، ولعدم الترابط بين هذه المعلومات . ومن أجل هذا كثيراً ما تكون مدركاتهم مغلوطة وناقصة ، وملاحظاتهم غير صحيحة . وهنا يجب التدخل لإرشادهم إلى الملاحظة على وجه التمام ، فنعودهم الإمعان في النظر عند تحليل تفاصيلها ، وموازنة حالاتها وتمييز حقيقتها بروية لتصحيح أخطائهم واستيفاء معلوماتهم .

وتدريب الطفل على الملاحظة لا يقف عند تعويده أن يركز انتباهه فيما نروم من الأشياء التي نوجدها أمامه ، بل يتعدى هذا الحد ؛ إذ يجب أن نجعله يسعى نحو غاية معينة تحته على حصر مجهوداته ، وتنسيق خطته للتوصل إليها وإتمامها

بأعظم مقدار من الدقة ، كأن ندر به على ملاحظة الألوان بتلوين الرسوم ، والصور المختلفة ، وتفريق الأصوات بتوقيعها وإنشاد أنغامها ، وتمييز الحركات بتمثيلها واللعب بمحاكاتها ، وتفحص الأشكال وترقب الحوادث بمطالعة الكتب المزيّنة بالصور ، والقصص الموضحة بالرسوم ، ودراسة طبائع الحيوان وخواص النبات بترية الدواجن وتعهد الحديقة وجمع نماذج الأزهار وأوراق الأشجار وريش الطيور والأصداف والصور المتنوعة وغير ذلك مما يثير فيه النشاط والحيوية .

وفي أوقات النزهة وخروج الطفل إلى الحدائق أو للتجوال في المدينة . مناسبات لها أهميتها في توجيه ملاحظته إلى شتى الأشياء توجيهاً مفيداً . ولا يمكننا في بعض الحالات أن نستعيز عنها بأية وسيلة من الوسائل أو التمرينات الشككية ، لأن هذا يطلعه على حقائق الطبيعة وشئون المعيشة الخارجية في أثناء ممارستها في ظروفها الفعلية بلا تكلف ؛ فيعثر على معلومات عنها ، ويقارنها بعضها ببعض ، ويصدر حكمه فيها بها . وهكذا يتعود السير في الحياة وهو مرهف القوى يترقب دقائق الأمور ويلاحظ كل ما يحدث حوله .

التخويف وأضرار القمع وطرق التغلب على مخاوف الأطفال

لشد ما يخاف الطفل الصغير ، وما أكثر ما يفزعه من مخاوف في السنين الأولى من حياته . فهو يذعر عند رؤية الحيوانات الكبيرة ، ويجزع من ملبس فرائها أو قرونها ، ومن منظر الدم والأسنان الكبيرة ، ويضطرب من الأشكال والأشباح والأشخاص الغريبة ، ومن الأصوات والحركات المبالغتة التي لا يعرف مصدرها ، ومن الأماكن غير المعهودة ، ومن الظلمة والرعد والبرق والماء الكثير ، ومن كل شيء مجهول لا يمكنه إدراكه أو التحقق من محتوياته ، فيثير في نفسه الوهم بوجود الممالك . وهو أيضاً يخشى الألم وتوقع الزل . وإذا أمعنا في النظر لدى جميع هذه المخاوف ألفيناها بقية آثار في نفسه لتلك الأحوال التي أفرعت جدوده الأوائل في فجر تكوينهم ، حينما كانت الحيوانات المفترسة وغارات الأعداء وقوات الطبيعة المختلفة تهدد كيانهم بالأذى والعدوان ، وليس لهم مأمن يحتمون فيه منها ، وليس لديهم معرفة بأصولها العلوية حتى يطمئنون إلى أسبابها .

ولهذا كان الخوف وما يتبعه من الفرار هرباً ، من أهم غرائز المحافظة على البقاء في الإنسان . ومن أعظم وسائل اتقاء المخاطر التي تحيط بحياته . وعند ما يستولى الخوف على الأطفال ينطلقون مسرعين نحو أمهاتهم أو ذويهم متعلقين بهم . ويخفون رؤوسهم ووجوههم ، ويتوارون بين ثنيات أثوابهم طلباً إلى الاحتماء بهم من الضرر الذي قد يقع على حياتهم . ويتتابهون في أثناء رعبهم ، ارتجاف الجسم ، وخفقان القلب ، وامتقاع اللون . وتصيب العرق وبرودة الأطراف ، ووقوف شعر الرأس ، والبكاء . وينتج :

عن الخوف الشديد جمود الفكر، ووقف الانتباه على الشيء المخوف، وشل الحركة، وفقد الإحساس. وفي حالات القزع القصوى قد تنفص حركة القلب، فيموت الطفل هلعاً.

وقد تترك الأعراض السابقة أثراً مستديماً في الطفل، فتضر بجسمه وعقله. وخلقه ضرراً بليغاً. ولذا وجب علينا تقليل الخوف وإضعاف حدته، وتنشئة الطفل على أن يكون بريئاً غير متهيّب، وجسوراً لاقتحام مخاوفه. ويكون ذلك بالعوامل التي تضعف بواعثه الطبيعية وأهمها: —

(١) هدوء البيئة وسيادة النظام في المعيشة بحيث نخلو من الضوضاء العالية، وأنواع الصياح المفاجئة. والآثام المرتبك، والزوايا المهجورة حتى يظهر كل شيء واضحاً لدى الطفل فيسهل عليه التحقق من غوامضه.

(٢) تقريب الطفل من الحيوانات التي لا تؤذيه، مثل الكلب والقط. والعصافير الصغيرة والسلحفاة والأسماك الحمر. وغيرها من الحيوانات التي يمكن أن يصاحبها ويداعبها، ومقابلته بأصدقاء الأسرة حتى يأنس إليهم. ويألفهم.

(٣) سرد القصص المستحبة عن القوى التي قد يخافها الطفل كالقصص الدينية، وأساطير الطبيعة التي تشرح لهم هبوب الرياح، وشروق الشمس وغروبها، وتوالى الليل والنهار، وحدث صدى الصوت والرعد والبرق، وحكايات عن أنواع الحيوانات ومعيشتها الخارقة في الأدغال، وعن أجناس البشر وغير ذلك بما يفهمه كنهه المجهول. ويجلو له سر مخاوفه، فيقتنع بأنها على غير أساس. وبذلك تستنير بصيرته، ويتحول خوفه الغريزي إلى الحذر والتبصر في عواقب الأمور.

(٤) تمثيل الشجاعة له بالقدوة في الإقدام وعدم التهيّب وتجنب مظاهر

الخوف أمامه أو التصريح به أو التفوه بعبارات الذعر والانزعاج التي قد يقتبسها أو تثير انفعاله .

وبما أن لمخيلة الطفل شأنًا عظيمًا في خلق مخاوف مروعة يتصورها بنفسه ، فيجب إبعاده عن دواعي المغالاة في تخيل المخاوف المزعومة ، وتجنب إلقاء الحكايات المزججة التي تخلق راحته بطيف الجان والمارد والغول والوحوش . وصور الحوادث المرعبة ، والنفوس الشريرة وما إلى ذلك ، مما يتسلط على عقله ، فيفسد ابتهاجه بالحياة ، ويسبب شقاءه الدائم .

وإن تواعد الطفل بالحبس في الظلام ، والحرق بالنار ، ورميه في البحر ، وتسليمه لخلائق شنيعة غير معقولة ، نصورها أمامه لتفتك به فتفرغه ، ويعمل على التخلص منها بالأذعان لما تفرض عليه من الأوامر والرغبات وغير ذلك من وسائل التخويف ، إن هذا لمن أسوأ طرق التربية والتأديب . وذلك لأننا نزيد من وطأة الخوف عليه ومن شدة التخيل الفظيع ، فنسلبه إلى قبضة الهواجس التي تخالج نفسه ، فتعس حياته ، ويتأب أعصابه الضعف ، فيغلب عليه الجزع والتردد وعدم الثقة بنفسه وبغيره ، وتتولاه الرية في عطف والديه ويعيش مذعوراً منهما ، لا آمناً إليهما .

وكثيراً ما يبوح الطفل إلينا بما يختلج في صدره من المخاوف ، فنحاول أن نسرى عنه بتصغيرها لديه ، أو بإظهار الاستخفاف بها ولكن هذا لا يبدها من فكره ، ولا يقنعه بالنجاة منها ، بل قد يمس إحساسه فيستاء منا ولا يعود يعترف بها ، وإنما يحفظها في داخله ويكتمها عنا . والكتمان يقوى الخوف في نفسه ويرهق قواه الجسمية والعقلية . وقد يتمكن منه أثره فتصعب عليه مغالبتة بعد ذلك .

فلا إرهاب يعجز لإرادة الطفل عن أداء الخير ، ويجعل باعث الصواب

فيه عن ذلة وجبن . وهذا يحتم علينا العدول عنه كلية . وتهدة روعه بوداد وعطف حتى ينشأ هائناً مطمئناً إلى الحياة .

خيال الأطفال ومميزاته وأكاذيب الأطفال

إن من ضمن عناصر الجاذبية في شخصيات الأطفال خيالهم الثائر الفياض ، الذى تدور حوله جل أفكارهم وآمالهم ورغباتهم ومخاوفهم وأحاديثهم وألعابهم

فالطفل يغمض عينيه ليجول بذهنه في عالم الخيال ، ثم يفتحهما عن صور قد ألفها على قوائم من ذكرياته السابقة لمدرجات معبودة ، ويزهو بتصويرها واضحة ملبوسة . ويرويها لنا في قالب من الوصف بمائل للحقيقة والواقع . وهوبين الثالثة والثامنة ، يكثر من تصورات الاستحضارية هذه . ويكون خياله في البدء مرتبطاً بألعابه « ثم يزيد ويتسع عند ما يلعب بالدى و« العرائس » ، إذ يطعمها ويتعدها ويقوم بجميع حاجيات معيشتها ، كأنها حية ترزق . ويدخل على خيال الطفل مع اضطراد نمو إدراكه واتساع نطاق معلوماته ، بعض التغيير والتنميق والزخرف الوضاء ، ويبرزه لنا أحلاماً جليلة خارقة مدهشة ، مطلية بشتى المشوقات ، يحادثه فيها الحيوان ، ويلعبه الجناد وتضاحكه الأزهار ، وتسابقه الأشباح ، فيظن النبات يبكى إذا رآه مغطى بالندى ، ويتخيل السماء تذرف دموعاً أمطاراً ، وهكذا يخرج كل منظر اعتيادى من دائرة خياله في صورة طريفة . وهو في نفس الوقت يميل إلى سماع الحوادث والقصص التى تحتوى على الخيالات الغريبة ، بما فيها من المجازة في المآزق الوعرة ، والمخاطرة مع الوحوش ووسط النيران ، وغرائب الشذوذ في سرعة الطيران والانتقال « وعجائب البطولة والانتصار ، ومعجزات إنطاق الجناد



من خيال الطفل الشارد



الفارس الصغير يتباهى بكنوزه

وتجلى الإنسان في أجسام البهيم ، وغير ذلك ، مما لاحصر له من خرافات المآثر فوق العادية .

وفي هذا الطور ترسم الصور في عقله صافية وحية وبجسمة ، لدرجة أن أمرها يلتبس عليه . فلا يستطيع التمييز بين واقع الحقيقة والخيال . وهنا ينطلق يحدثننا عن خياله . ويشرد بنا في تيه أوهامه ، وهو لا يقدر أن يفرق بين ما قد حصل فعلا وما يتها ، فيخلط بين الرؤيا واليقين . وهكذا يقع في كثير من الأكاذيب غير المقصودة .

ومن خداع الخيال في الأطفال ، أنهم يأخذون بناسية الأشياء من حيث يريدونها أن تكون ، ولا يابهون بها كما هي ظاهرة للعيان . فيكسبون لها صفات ، ويكيفونها بحالات ، ويلصقون بها أعمالا بعيدة عن حقيقة أمرها ولكنها توافق أهواءهم ، وكأنهم يعتمدون التضليل والبهتان . وهناك ظاهرة أخرى لخيال الأطفال الواسع الغزير . وهي اتخاذهم صحابة من الأصدقاء الموهومين أو المجسمين في الجماد والحيوان والنبات ، فيدججونهم معهم في ألعابهم وأحاديثهم ، ويشركونهم في طعامهم وأعمالهم ، ويصبون عليهم عواطفهم المتقدمة وشعورهم المتأجج . ويمثلون معهم أدواراً يفقدون فيها شخصيتهم كلية . وقد ينسون أن هؤلاء الأصدقاء من تكوين خيالهم فيستأثرون إذا عوملوا على حقيقتهم . هذا هو خيال الأطفال كما نرتثيه مع ما فيه من إفراط وتلفيق وهذيان . وقد يتبادر لنا وجوب استئصاله حتى نأمن الشر الذي قد يرتكبونه من جرائمه .

ولكن قد انضح لجميع المربين أنه من أعظم العوامل لتربية الخلق . فالطفل الذي يمثل دور الأمير والفارس والجندي ، يشعر فعلا بنبالة الأمير وشجاعة الفارس وحماسة الجندي ، ويرتفع إلى مستوى عظمة كل منهم . وكمن أعمال

الظلم والقسوة تنشأ من ضعف الخيال الذى يعجز صاحبه عن أن يضع نفسه فى مركز غيره ممن يقاسون الظلم والعدوان .

فالخيال الخاطيء إذا تعهدناه ، ينتقل من دور الحماقة إلى دور المعقول والعمل والإبداع . ويصير بذرة لسمو النفس وصفاء الوجدان ، ومصدراً لوحى الألفاظ والأناغم ، ولتصوير المعانى والأشكال فى كساء من الرقة والرشاقة والبهاء . وبما يحكى عن واحدة من الشعراء لما كانت طفلة بلغت من حدة الخيال ، أنها وهى سائرة فى الطريق ، كانت تنقل الحصى الذى تعثر عليه من مكان إلى آخر متوهمة أنها بذلك تسهل لهذا الحصى تغيير المناظر التى تحيط به من يوم لآخر . فالخيلة هى عين العقل التى نرى بها غير المنظور فى المنظور ، وتقدر بها الجمال المستور فى الأشياء العادية بل إنها بصيرة الإيمان بالقوى الخفية ، وإدراك الممكنات المدخرة فى بواطن الأمور ، وأساس الابتكار والمخترعات الإنشائية الجليلة .

وإذا كان للخيلة هذا القدر من الأهمية فى تكوين النشء وتربيته ، فكيف إذاً نوفق بين تنميتها وتهذيب النواحي غير المستحبة منها ؟ نرى أن هذا ممكن بمراعاة ما يأتى :

أولاً — لا يجب التسليم للطفل بالتماضى فى تصوراتهِ وتخيالاتهِ الكاذبة ، كما أنه لا يصح مواجهته بالتأنيب ، أو اتهامه بالمخاتلة والخداع . بل يحسن بنا أن نستمع أولاً إلى ما يرويه علينا من تأليف خياله ، ونبدى له حسن الاستماع والاهتمام ، حتى نعرف خواطره ومطامحه ، ثم نوقفه عند الحد المعقول منها ، ونوجهه فى طريق الصواب بمطالبته أن يسرد حوادث أخرى واقعية من مشاهداته ، ليتنبه فى أثناء إلقائها إلى الفرق بين إنتاج خياله ، والصحيح المثبت بالحس ، وغير المرتاب فيه . وهكذا بالتدريج ينبذ أكاذيب تصويره ، فلا تلبث

أن تضام في ذهنه حتى تختفي ؛ بينما تتعمق آثار الصدق في عنقه ، وتتلألأ
ببريق الحق والجمال .

ثانياً — تعاون مع الطفل على تنسيق تخيلاته باطلاعه على الصور الجميلة
الشائعة . فنوجد له الرسوم الرمزية لشرحها بتصنيف خياله ، والكتب
التصويرية ليصفها بلغة ييانه ، والحكايات المصورة ليصيغ حوادثها بنسيج
عبقريته ، والدميات والتحف المليحة ليوشيا بطلاوة أفكاره .

ثالثاً — نسهل للطفل الاتصال بنبات الطبيعة وشواهد حياتها ، فيلبسها
يد العلم والكياسة ، يتخذ من مظاهرها مادة تملأ مشاعره بالسرور ، وألفاء
حقيقيين يبعثون السلوة في نفسه ويأخذون بمجامع قلبه .

رابعاً — نفسح المجال للتخيل العمل ، بشغل الطفل في التعبير عن
مشروعات خياله بالرسم ، أو تشكيلها بعمل المناظر المأخوذة من الحكايات
والاحداثات والاحاجى والوصف البسيط ، والتي تشجعه على
تصميمها ، وترغبه في السعى لتحقيقها .

خامساً — نقرأ على الاطفال مختارات في متناول فهمهم من صحائف آداب
اللغة والشعر السهل الرائع ، ونسمعهم مقتبسات من القطع الموسيقية والنغم
الجميل ، ونحفظهم مقطوعات ملحنة ، وبعض حركات إيقاعية لتمثيل ما ينطوى
تحتها من المعاني المشتقة من تفتح الأزهار ، ويقظة الربيع ، وتغريد الطيور ،
وتناوم الحشخاش ، وشمائل الحيوان ، وغير ذلك من الاوضاع التي تشعره
بلذة الخيال الراقى ، والابداع في التفنين .

سادساً — نلقى على الطفل الاقاصيص والاساطير التي تحتوى على أبهج
الحوادث والتي تكفى حاجة الطفل وتأخذ بيده إلى المثل الأعلى ، وتوضح له
منشأ المعرفة بالأشياء وسر غوامضها .

الباب الثالث عشر

القصص

أنواعها - طرق إلقائها .

القصص وفائدتها العقلية والخلقية

عند ما يناهز الطفل السنة الرابعة من عمره ، يبتدىء فيه الميل إلى سماع الحكايات المختلفة لأنه يجد فيها مجالاً للتعبير عن خواطره ، وترويحاً لأفكاره وتسلية لنفسه . كما أنها تثير سروره ولذته ، وتبعث اهتمامه بالأشياء وحقائق الحياة ، وتجذب انتباهه المتواصل ، وتزيد مقدوره على حصره لآمد طويل بدون ملل .

ولقد كان للقصص شأن عظيم في ترقية مدارك الجنس البشري ، إذ اتخذها الأنبياء والقادة الخالدون وسيلة لتقريب تعاليمهم من عقل الإنسان . وما أساطير القدماء وقصصهم المختلفة إلا طرقاً حاولوا بها شرح ظواهر الطبيعة والعقائد الدينية التي كانت فوق مستوى فهم البشر في ذلك الحين . ولا زالت القصة إلى الآن أفضل أسلوب لتفهم الأطفال المعلومات ، وللتأثير على نفوسهم بطريقة تدفعهم إلى الطاعة والنظام وتأدية الواجب ، وتحفزهم إلى السعى نحو الكمال ، وترفع شأن الحياة أمامهم فتضع نصب أعينهم حالة أعلى وأسعد . مصورة في المثل العليا للحياة ، فيسعون للوصول إليها وتحقيقها ، ويجدّون في هذا ما استطاعوا إليه سبيلاً .

ودروس التهذيب ومشاهد الطبيعة ومبادئ العدل وحوادث التاريخ ، لا يمكن بسطها للأطفال الصغار إلا بصياغتها في قالب قصصي ، يكون مجدياً في إفادتهم ، ومرغباً لهم في تحصيلها .

ونظراً لقيمة القصة في تقوية روح الطفل وتفتيح ذهنه : وفي تنمية إدراكه وتوسيع خياله ، وتهذيب عواطفه وأخلاقه ، فقد وقف لها الغريون ساعة خاصة في برنامج أوقاته المسائية . والطفل الغربي يتربط طيلة نهاره

ميعاد القصة (The Story Time) برجاه عظيم . وكم يسحر « وقع الديباجة الدارجة للقصة هناك على مسامعه » وهى « فى سالف العصر والزمان حدث أن ... » وكم تأخذ راوية القصة بمجامع قلبه الصغير « فيعتبر حرمانه إياها أعظم عقاب توقعه عليه عند اقتضاء الحال .

صفات القصة الجيدة وأنواع القصص الملائمة للأطفال

حسب أعمارهم المختلفة

يتنبه الأطفال لسماع القصص الشائقة التى تناسب سنهم ومستوى عقولهم ، وتوافق ظروفهم الشخصية الخاصة . وأنواع القصص اللائقة لأعمارهم المختلفة هى الآتية : —

(١) من سن الرابعة إلى السابعة تناسبهم الحكايات التى تتعلق بما يألفون من صغار الإنسان والطيور والحيوان ، والتى تؤسس على حوادث من بيئتهم القريية ، وما فيها من رفاق وأقرباء يحيطون بهم .

وهم كذلك يميلون فى هذا الطور إلى القصص العبقريية (الخواديت) وعلى الأخص ما كان فيها تكرار للألفاظ والأعداد ، وما اشتدت فيها حدة الخيال مثل حكاية « الدببة الثلاثة » و « الفرخة مرخة » و « عقلة الصباغ » و « علاء الدين ذى السراج » .

وهناك حكايات طريفة عن الطبيعة ، تستميل الأطفال كثيراً ، وتوضح لهم بعض غوامضها عليهم ، مثل حكاية الرجل والهواء والشمس ، والأرنب والسحفاة ، والحروف والذئب « وبعض القصص المبتكرة من هذا القبيل .

(٢) ومن السابعة إلى دور البلوغ ، تفضل الأطفال قصص الأبطال والقصص الواقعية التى منها القصص الدينية من سير الأنبياء وأئمة الدين «

مثل سيرة سيدنا يوسف ، وفلك سيدنا نوح ، ونوادر من أخلاق هارون الرشيد وصلاح الدين الأيوبي وغيرهما .

ويحب الأطفال في هذا السن ، القصص الإقليمية ، التي تأتي بوصف معيشة أجناس البشر في بقاع الأرض المختلفة ، كقبائل العرب والهنود ، الحمر والأقزام والإسكيمو وأقوام الغابات الاستوائية وغيرهم ، ممثلة في حياة أطفالهم .

أما تراجم الكاشفين والمخترعين والرحالين وقصص الأبطال وعظماء الرجال ، فتقتنهم بما فيها من شخصيات بارزة ، وأعمال باهرة تلفت اهتمامهم . مثل جولات «السندباد البحري» ، و«خريستوف كولمبس» ، و«ابن بطوطة» . وهناك قصص عن حياة البشر في تاريخ الفطرة ، وتطورات نمط الحياة ، والتدرج في ابتكار الآلات ، توافق الأطفال في هذه المرحلة أيضاً ، وخصوصاً إذا كان أشخاصها أطفالاً صغاراً .

(٣) وفي دور البلوغ ، يقوى في الأطفال حب القصص الحماسية التي يظهر فيها العامل الأدبي ، والجهد في سبيل المثل الأعلى ، كالذود عن الضعيف ، والتفاني في أداء الواجب ، والتضحية والإيثار والإخلاص والشرف ، مثل حكايات عن ألسنة الحيوانات والطيور تكون محتوية على مغزى مجازي ، كالواردة في كتاب «كليلة ودمنة» . وكذلك الأساطير المصرية القديمة ، التي في متناول إدراك الأطفال ، ومنتخبات من أساطير الإغريق والفرس والهنود ، وعلى الأخص ما يصور منها قوانين الطبيعة ، ويغذى الوجدان ، كاسطورة اطلانطا ، وزهر النرجس ، وصوت الصدى ، والملك ميداس ، وحصان طروادة ، ورحلات عوليس .

ومن المستطاع اقتباس بعض قصص أخلاقية من الأدب العربي ، والشرقي والغربي تتضمن دروساً في الصدق والأمانة والوفاء بالوعد والصبر .

وغيرها من الفضائل ، التي تكون مصدر لذة ، وتترك أثرا تهذيبيا في نفوس الأطفال .

ومن الصفات التي يجب توافرها في قصص الأطفال ، أن تحتوي دائما على حوادث لا تنصار الخير والفضيلة ، وانهمزام الشر والريذيلة ، حتى توضح لهم سوء عاقبة الخيانة والقسوة وغيرهما من الصفات الممقوتة ، وتوجب إليهم الخلق الحسن ، والطباع الكريمة وغير ذلك من الصفات المحبوبة . وإن احتوت القصة على مكائحات بين الإنسان والحيوان . فلتسكن الغلبة دائما لبني آدم ، حتى ينشأ الطفل عارفا بسمو جنسه ، ويكون قوى القلب جريئا .

ومن شروط القصة الصالحة أن تكون ذات فوائد تعليمية ، لتحقيق بها أغراضها العقلية والخلقية ، فتشمل معلومات صحيحة عن الأشياء المختلفة ، ووصف جميل لمناظر الطبيعة وكائناتها ، والعواطف النبيلة التي توظف فيهم روح البطولة والشجاعة .

طريقة إلقاء القصص على الأطفال :

(١) يجلس الراوية مع الأطفال في مكان مريح ، وفي وضع تسود فيه الألفة بينه وبينهم ، ويمهد المسامرة معهم بوداد ومن غير مقاطعة ، ويسهل لهم رؤيته جيدا ، وسماع صوته ، ومشاهدة إشاراته ، وأمارات الانفعال على وجهه . في أثناء سرد الحكاية ، حتى يتتبعوها بتأثر وفهم حسن وسكون تام . ومن دواعي النجاح في رواية القصة ، أن يكون الراوية غير متكلف ولا مغال في حركاته الجسمية . وأن يهتم فينتقى عباراته بسيطة ، ويلقيها بصوت هادئ معتدل ذى نبرات . وبذلك يمثل الحوادث بطريقة تستميل الأطفال وتشعل حماسهم .

(٢) يستهل الراوية بفتحة مناسبة للوضوع الذى يتجه إليه . فيقدم القصة لهم فى أسلوب تميل إليه نفوسهم ، وتألفه أذواقهم وأفهامهم ، كأن يقوم بمقارنة بين سامعيه وبين أشخاص القصة القائمين بأدوارها ، أو يسألهم بعض أسئلة عما قاموا به من أعمال مماثلة لوقائعها ، أو يصف لهم من خبرته الشخصية ما يحصر شوقهم فى حوادثها المتسلسلة .

(٣) يشرع المحدث فى إلقاء الحكاية من غير لعنة ، مقتصداً فى سردها ، بين السريع والبطيء ، وبلهجة تخلق الجو الملائم للروح الشائع فيها حتى يبرز ما فيها من عواطف الحزن والسرور ، أو الاستياء والرضاء ، أو الهدوء والاستفزاز مع تعليق أهمية خاصة على المواقف الأساسية فيها .

(٤) يوضح الراوية كلما أمكن بصور من مناظرها المختلفة ، يعرضها خلال السرد فى المواضع المرتبطة بها ، بحيث تدخل فى سلك القصة بدون مقاطعتها ، كأنها جزء من مضمون وقائعها . وبذلك لا ينتشت انتباه الأطفال إليها ، وتستمر سلسلة تخيلهم فى مجراها ، بدون تفكك فى وحدتها .

(٥) ولتثبيت القصة فى عقل الطفل ، وربط نقطها بعضها ببعض ، واستكمال حلقات التخيل فى ذهنه ، وتحقيق صور معانيها . وإبرازها فى صورة حية ، يحسن بعد الفراغ من إلقائها ، أن يحجب إلى الأطفال رسم ما يروق لهم من مناظرها المتنوعة ، مع إعطائهم مطلق الحرية للاختيار .

وإذا أمكن تزويدهم ببعض خامات الأشغال اليدوية ، كالصلصال والرمل والورق ، كان من الميسور أيضاً أن يعبروا عما استوعبوه منها بتكوين نماذج متعلقة بموضوعها .

ومما يسر الأطفال كثيراً . تشجيعهم على تمثيل وقائع القصة ، ومحاكاة الأشخاص البارزين فيها .

— ٢٠٨ —

ولكيلا تثقل عليهم بإعادة القصة كما سمعوها إثر إنصاتهم الطويل إليها ،
يفضل مطالبهم بتأليف البداءة من قصة مماثلة ، يلقي عليهم نصفها الثاني ؛ أو
بالعكس ، يطالبون بتأليف خاتمة مناسبة لحكاية يلقي عليهم نصفها الأول .
أو يكفون بسرد قصة مشابهة لقصة سمعوها .

الباب الرابع عشر

الأطفال الشواذ

معالجة الطفل في حالات العصيان وحدة الطبع والغضب.

الأطفال الشواذ والعناية بهم ومعاملتهم

الطفل الشاذ هو من خرج على المستوى العادى خروجاً ظاهراً سواء
أكان ذلك بالزيادة أو النقص . ولكننا سنستعمل كلمة « الشاذ » هنا بالمعنى
الذى يفيد النقص . وعلى هذا فالأطفال الشواذ هم الذين أصيبوا بنقص فى
تكوينهم الجسمانى أو العقلى أو الخلقى . وقد يشمل النقص ناحيتين معاً كالشدوذ
الجسمى والعقلى مثلاً . كما قد يكون النقص العقلى جزئياً كتعطيل إحدى
النواحي العقلية مثل الذاكرة أو كلياً كما فى حالة البله .

ومما يدل على شدوذ الطفل فى المرحلة المبكرة من حياته ببطء نموه الطبيعى
أو عدم انتظامه سواء أكان ذلك فى الناحية الجسمية أو العقلية . فاضطراب
الحركات وتأخر مواعيد المشى والنطق والكلام وعدم استكمال وظائف
الحواس ، أو تعطيل بعض الوظائف الحركية ، أو عجز الطفل عن التكيف
لظروف بيئته واندماجه فيها ، كلها علامات تدل على شدوذ عقلى أو نفسانى
فى الطفل .

ويمكن تقسيم الشدوذ على وجه عام إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - شدوذ فى قوى العقل .
- ٢ - شدوذ فى التكوين الجسمى والحسى .
- ٣ - شدوذ فى التكوين الخلقى والاجتماعى .

الشدوذ العقلى :

هو عجز العقل عن تأدية وظائفه . وقد يكون هذا ظاهراً جداً كما فى الحالة
فى البله ، وقد يكون على درجات متفاوتة تشاهد فى بعض الأطفال الذين
تقل قواهم العقلية عن القوى العادية للذين فى سنهم وبيئتهم . ويمكن تقدير هذا

— ٢١٢ —

التأخر بواسطة اختبارات مَقَنَّنَة وضعت خصيصا لمعرفة مقدار اضطراب النمو العقلي، وتسمى باختبارات الذكاء .

والذكاء قوة عقلية فعالة في الفرد تدفعه للسير في شؤون الحياة وتطوراتها بنجاح . ومن مظاهره المقدرة على حل المعضلات الجديدة بالاستفادة من التجارب السابقة في ذلك .

والذكاء يورث كـ بعض الصفات الجسمية أو الميول الفطرية التي يرثها الطفل عن آبائه وأجداده . وإن للبيئة أثرا ذا أهمية كبرى في ظهوره . فهو يظهر في الصغر ويستمر نموه إلى سن معينة حددها بعضهم بالرابعة عشرة ، والبعض الآخر بالسادسة عشرة . والذكى ذكى طول حياته ما دامت البيئة صالحة لإثارة ميوله واستعداداته العقلية والنفسية اللهم إلا اذا طرأ طارئ غير عادى يؤثر في قواه العقلية ؛ كما أن الغبي غبي بطبيعته ويستمر كذلك مهما بذلت البيئة من جهود في تنمية مداركه .

اختبارات بينيه (Binet) في الذكاء :

في أوائل القرن العشرين قام فريق من كبار المربين في البلاد الأوروبية بدراسة نمو ذكاء الطفل للاستدلال على أسباب تأخر بعض الأطفال في الأعمال المدرسية، ومعرفة ما إذا كان هذا ناشئا عن ضعف في ذكائهم أو عن أسباب أخرى ؛ إذ كثيرا ما وجه اللوم إلى المدارس والمناهج وطرق التدريس المتبعة فيها وإلى المدرسين أنفسهم دون التحقق من استعدادات الطفل العقلية والاجتماعية . فوكل الأمر إلى العالم الفرنسى المسيو بينيه « Binet » للبحث عما يكشف الستار عن حقيقة الموقف . فقام بدراسة أطفال عديدين يتعلون في مدارس مختلفة ويعيشون في بيئات متنوعة . وفى سنة ١٩٠٥ وضع هذا العالم مقياس الذكاء المعروف باسمه ، وقد انتشر في كثير من الممالك وأخذ المربون

يقومون بتطبيقه كل في بلده لغرض تقنيته وفقا لأعمار الأطفال المختلفة، إذ تبين لهم أن تشخيص مشا كل الأطفال من الناحية العقلية والنفسية وعلاجها لا يكون تاما إلا بعد تعرف درجة ذكاء كل منهم ليكن تعليمه حسبما يقتضيه تقدمه أو تأخره بما يناسب استعداداه .

وقد كان هذا العالم حكيما في وضع مقياسه إذ جعله على شكل اختبارات فردية يمكن بها معرفه ذكاء الطفل عن طريق المعلومات العامة التي اكتسبها من الحياة والتجارب الشخصية في محيطه وبيئته . وليس الغرض من هذه الاختبارات معرفة مبلغ تحصيل الطفل في المدرسة من المواد المختلفة .

واختبارات الذكاء هذه مرتبة ترتيبا تصاعديا حسب تدرجها من السهل إلى الصعب ومراعى فيها المستوى العقلي للأطفال من سن ٣ الى ١٥ . وقد جعل «بينيه» هذه الاختبارات متعددة النواحي بحيث تقيس القوى العقلية المختلفة للطفل فيمكننا الحكم بها على مستواه العقلي بوساطة إجابته عنها .

والطريقة التي لجأ إليها في وضع اختبارات وتقنياتها في بادى الأمر، هي أنه جرب كل سؤال على عدد كبير من الأطفال في سن واحدة وبيئة واحدة ومن جنس واحد . فإذا تمكن معظم الأطفال من الإجابة عن السؤال اعتبر صالحا لهذه السن ، والعكس بالعكس ، إذا عجزت الأغلبية عن فهمه والإجابة عنه جرب على من هم أكبر منهم سنا وهكذا .

وبعد اختبار الأطفال فيما يزيد على ٢٠٠ مدرسة بفرنسا نشر مقياسه الشهير الذي برهنت التجارب العديدة على أنه ذو فائدة كبرى في الحكم على مقدار الذكاء الذي لدى الشخص .

الاختبارات الجمعية « لبلارد » :

وقد قام «بلارد» باختبارات مختلفة لقياس الذكاء على عدد كبير من الأطفال في مدارس إنجلترا. وكان يجربها على جماعة منهم في وقت واحد بدلا من إعطائها لكل طفل على حدة كما هو الحال في مقياس « بينيه ». ويمكن بها من معرفة المستوى العقلي للأطفال الذين تقع أعمارهم بين الثامنة والرابعة عشر. وقد وضع اختبارات بحيث تلقى على الأطفال شفويا ويطاب منهم الإجابة عنها فوراً بالكتابة. وقد أسست هذه الاختبارات على عماد من المعلومات العامة المناسبة.

«بلارد» مثل «بينيه» يعنى بوجه خاص في اختبارات بقياس ذكاء الطفل بوجه عام، لا بتقدير أى استعداد عقلي خاص مثل قوة الانتباه والذاكرة وغيرهما.

وقد انتشرت اختبارات الذكاء في جميع بلدان العالم المتحضر. وعمل كثيرون على تهذيب هذه الاختبارات وتقنيها لتعرف المستوى العقلي الحقيقي للأطفال.

وقد ترجمت بعض هذه الاختبارات في مصر، وأجريت على كثير من الأطفال لتعرف مستواهم العقلي، كما وضع بعض المربين المصريين اختبارات أخرى مناسبة لقياس ذكاء التلاميذ.

غير أن هناك اختبارات أخرى تحليلية وليست شاملة كالتى ذكرناها، بمعنى أنه يمكن بواسطتها اختبار القوى العقلية المختلفة. ومنها اختبارات للذاكرة والانتباه والتخيل والتصور. كما أن هناك اختبارات أخرى يمكن أن تقيس بها قوة الشخصية والإرادة ونوع المزاج.

ولهذه الاختبارات المختلفة كتب خاصة تشرحها وتبين كيفية القيام بها

وهي تساعدنا على معرفة ما إذا كان هناك ضعف في إحدى قوى الطفل العقلية، كما تبين لنا أصل ذلك الضعف .

ولكى يتسنى لنا معرفة مقدار ذكاء الطفل فلا بد من معرفة عمره الزمنى أو الميلادى، ثم عمره العقلى وهو عبارة عن العمر القاعدى أو العمر الذى استطاع الطفل أن يجيب عن كل أسئلته بنجاح تام، مضافا إليه حاصل ضرب عدد الإجابات الصحيحة من اختبارات الأعمار الأخرى التى تلى العمر القاعدى مضروبا فى الزمن المقدر لكل سؤال، ويكون عادة شهرين أو ثلاثة تبعا لعدد الاسئلة الخاصة بكل سن . ثم يقدر الذكاء تقديرا حسابيا بقسمة العمر العقلى على العمر الميلادى، وضرب الكسر الناتج فى مائه . وبذلك نحصل على نسبة ذكاء الطفل . فمثلا إذا كان عمر الطفل ١٠ سنوات وكان سنه الميلادى كذلك ١٠ سنوات كان الطفل عاديا ، وتكون نسبة ذكائه مساوية $\frac{10}{10}$ فى $100 = 100$

وإذا زاد عمره العقلى على عمره الميلادى أى زادت نسبة ذكائه عن ١٠٠ كان الطفل ذكيا؛ وموهوبا إذا كانت هذه الزيادة كبيرة . أما إذا نقص العمر العقلى عن الميلادى فإن ذلك يكون دليلا على تأخره من الوجهة العقلية . ويمكن تقسيم شواذ العقول إلى ثلاثة أنواع :

(١) المعاتيه (٢) البلهاء (٣) المأفونون .

المعاتيه :

ودرجة ذكاء الواحد منهم منحنطة جداً فلا يزيد عمره العقلى على سنتين أو ثلاث سنين . وعلى الرغم من أن حواسه كلها قد تكون سليمة تؤدي وظائفها على الوجه الأكمل ، إلا أنه لا يدرك ولا يستطيع أن يتفاهم مع سواه . فحياته حياة حيوانية محضة : أى أنها فسيولوجية مقصورة على الغذاء والشراب، وربما لا يقوى الشخص على طلبهما .

وهذا الشذوذ راجع إلى نقص في تكوين الطفل وخصوصاً في جهازه العصبي ويسمى عادة بالشذوذ التكويني .

ويشاهد في أغلب هؤلاء الأطفال إما كبر حجم الجمجمة (وتعرف بالهيدروسيغال) أو الجمجمة المائية ، وفيها يضغط السائل السحائي على الجهاز العصبي فتتعلل لذلك وظائفه المختلفة . وقد يشاهد أحياناً صغر حجم الجمجمة ويكون كثير من المراكز العصبية ناقصة التكوين فلا تستطيع أداء وظائفها .

كما أنه قد يصاب الطفل بالعته من جراء إصابته بأحد الأمراض التي تنتاب المخ في عهد الطفولة كالتهاب السحايا أو إصابته بأحد الأمراض العصبية . وتظهر على الطفل في كثير من الحالات علامات تدل على الشذوذ . وكثيراً ما تشاهد في تكوينه العظمي كعدم تناسق أعضاء الوجه وعظام الجمجمة ، وقد يغزى شعره ويمتد إلى ما يقرب من منتصف العظم الجبهى ، ويكون بصره زائفاً ، وتبدو عليه علائم الحول . وتظهر على بعض الأطفال علامات الكساح ؛ يأخذ القفص الصدري شكل القمع ، وتكون عظامه عريضة ولينة ؛ وأطراف الطفل العليا والسفلى تكون غير متناسبة في النمو ، فقد تزيد الواحدة على الأخرى في الطول ؛ وتكون الأصابع قصيرة ومتفرقة على شكل غير طبيعي ؛ وتكون حركات المعنوه عادة (إرادية أو غير إرادية) غير متزنة ، كما أنه قد يصاب في نهاية حياته بشلل عام .

وغيره المحافظة على البقاء عند الأشخاص المعانين ضعيفة في أغلب الأحيان ولذلك فهم يتعرضون دائماً للأخطار ، ولا يؤمن عليهم من أن يسيروا وحدهم في الطرقات العامة .

والمعنوهون غير قابلين للتربية والتعليم . وهم غالباً لا يتقدمون في السن إذ تنتهى حياتهم بسرعة .

— ٢١٧ —



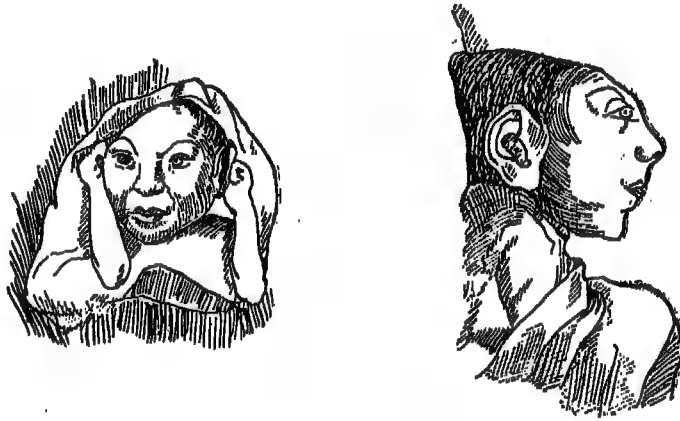
طفلان ضعيفا العقل تبدو على وجهيهما المسحة المنغولية

— ٢١٩ —



رأسان لشخمین ابلهین

وهناك طبقة من المعتوهين يستطيعون أن يطالبوا بشيء من الطعام والشراب . ويتميزون بضعف الإرادة وسرعة الأفعال وكثرة التقلب مع عدم المقدرة على ضبط النفس . وقد نستطيع أن نخطو بهم خطوة بسيطة في التعود الآلى عن طريق التقليد ، ولكنها خطوة في حين محدود جداً .
و « الأمور تيك » : نوع من المعاتيه يكثر في الطبقة الإسرائيلية . ومن مميزاته ضعف النظر الذى ينتهى بالعمى ، أو شلل الأطراف . ويكون المعتوه



رأسان لمعتوهين يظهر فيهما صفر الجمجمة

من هذا النوع فى الغالب قلقاً كثيراً الحركة . ومعجباً بنفسه إلى حد كبير .
والنوع « المنغولى » من المعاتيه يشبه الجنس الآسيوى فى ملامح الوجه فعيناه ملفتان النظر من حيث انحرافهما ، ووجهه منبطح مع بروز الخدين .
وفمه مستدير ، ولسانه كبير الحجم ، وأسنانه متآكلة وأطرافه قصيرة وعظامها عريضة مما يجعلها تبدو كأطراف المصابين بالكساح .
ومن مميزات هذه الطائفة تأثرهم السريع بالموسيقى ؛ فالطفل يميل إليها وتسترعى انتباهه أى نغمة كانت ؛ ويستطيع استبقائها مدة غير قصيرة بعد سماعها مرة واحدة .

ويمكن التدرج في تعليم المعتوهين من هذا النوع الموسيقى تعليمًا آليًا بمجرد ظهور هذا الميل فيهم .

وقد يرجع سبب الشذوذ في هذا النوع إلى الأمراض التناسلية الوراثية . وربما كان سببه زواج الأقارب أو المتقدمين في السن أو إدمان الوالدين على شرب الخمر أو تعرض الأم للانفعالات الشديدة وقت الحمل . وكثيرا ما تنتهي حياة هذه الطائفة البائسة حوالى سن البلوغ .

معاملة المعتاه على اختلاف درجاتهم :

تقضى الإنسانية أن تعامل هذه الطائفة المسكينة معاملة خاصة تناسب حالتهم العقلية والجسمية . فيجب أن تنشأ لهم ملاجئ خاصة لا يسمح لهم بالسكن خارجها خوفا عليهم من الأخطار . ذلك لأن أغلبهم لا يقوى على المحافظة على نفسه . وبطبيعة الحال يجب حرمانهم من الحقوق المدنية ، كما يجب ألا يسمح لهم بالتزوج منعا لانتشار أمثالهم في الشعب . هذا وقد توصل بعض المهتمين بتربية الشواذ إلى تعليم بعض أطفال هذه الفئة تعليمًا آليًا محضًا لا يحتاج إلى تفكير .

٢ - طبقة البلهاء :

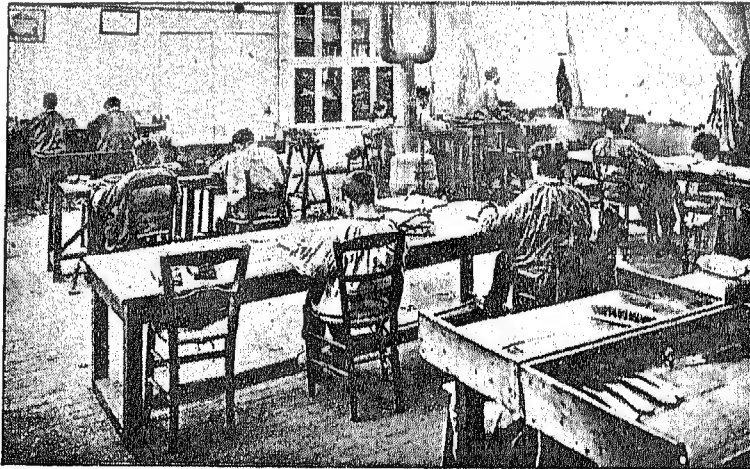
ومرتبة هذه الطبقة من الأطفال وسط بين طبقتي المعتوهين والمافويين . من حيث النمو العقلي فيهم . وهذا الفريق يمتاز عن سابقه بأن الطفل الآبله يمكنه أن يفهم مع غيره بالكلام ، ولكنه لا يستطيع التقدم في القراءة والكتابة . هو لا يقدر على التحصيل . ولا يزيد سنه العقلي غالبًا على سبع سنوات . وتميز هذه الطائفة بضعف الإرادة وكثرة الحركات غير المتزنة ولمس الأشياء لغير غرض خاص .

وهم شديدي الانفعال لآقل الأسباب ، فترى الطفل عبوساً ، سرعان ما يتسهم ، أو ثائراً وسرعان ما يهدأ . وقد تنضج في بعضهم الغريزة الجنسية قبل أوانها .

ولا ينبغي أن نحمل هذا النوع في الأشخاص أى مسؤولية كانت . كما يجب أن يحرم من حقوقه المدنية ومن التزوج كما سبق القول في حال المعاتبة .

ويرجع سبب هذا الشذوذ إلى الأمراض الوراثية ، أو الاضطراب في إفرازات بعض الغدد كالغدة الدرقية مثلاً ، أو اختلال الجهاز العصبي في تأدية وظائفه ، أو نتيجة مضاعفات بعض أمراض الطفولة الحادة .

وتعمل كثير من البلدان المتحضرة على إنقاذ هؤلاء الأطفال بوضعهم في مصحات وملاجيء خاصة كالتى سبق ذكرها في الحديث عن المعتوهين .



معمل في إحدى مدارس ضعاف العقول « المأفونين »
التلاميذ يقومون بصنع الفراجين (الفرش)

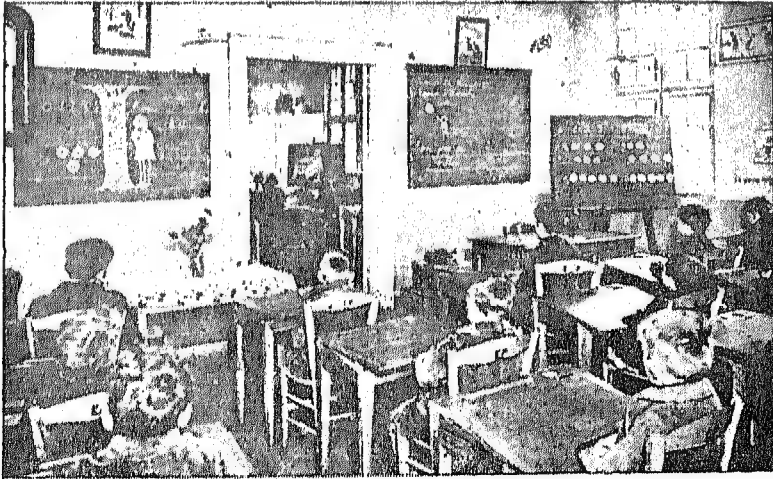
هذا ويمكن تعليم البهائم بعض الاشغال اليدوية الآلية كصنع السجاد ونسج الاقمشة بالآلات اليدوية .

٣ - طبقة المأفونين :

الطفل المأفون هو الذى يقل سنه العقلى عن الميلادى بسنتين إذا كان عمره لا يزيد عن ٩ سنوات ، أو بثلاث سنوات إذا كان سنه الميلادى يزيد على ذلك .

وأفراد هذه الطبقة يمكنهم التفاهم مع غيرهم بالقراءة والكتابة والمحادثات الشفهية ، ولكن تقدمهم العقلى والعلمى يكون دون مستوى الأطفال الذين فى سنهم . ويرجع هذا التأخر العقلى إلى الوراثة أو إلى إصابة الطفل بمرض شديد فى السنين الأولى من حياته .

ويجب أن يوضع أفراد هذه الطبقة فى مدارس خاصة بهم يسيرون فيها تبعاً للمناهج معينة ترمى إلى تعليمهم القراءة والكتابة وبعض المعلومات العامة .



فصل فى إحدى مدارس ضعاف العقول (الأطفال يتعلمون العد)

وتغلب في هذه المناهج الناحية العملية حتى يمكن إعداد الطفل في هذه المدارس لمزاولة حرفة من الحرف يستطيع الارتزاق منها فيما بعد . وهذه المدارس منتشرة في جميع أنحاء العالم المتمدنين .
ويمكن لأفراد طبقة المأفونين أن يتمتعوا بكل الحقوق المدنية ، إلا أن نجاحهم في الحياة محدود .

التأخر المدرسى :

كثير ما نلاحظ بعض الأطفال يتكاثرون في دراساتهم فيرسبون عام بعد عام . وأمثال هؤلاء يسيبون كثيرا من المتاعب للمدرسين ويطلق عليهم طبقة المتأخرين ويرجع تأخر الطفل بوجه عام إلى الأسباب الآتية : —
١ — ضعف القوى العقلية وهنا يجب وضع الطفل في مدارس خاصة كما سبق أن شرحنا .
٢ — ضعف جسماني يؤثر في حياة الطفل العقلية وهنا يجب معالجته حتى



دروس للمتأخرين في الهواء الطلق

يعود إلى حالته الطبيعية وذلك بوضعه في فصول تسمى عادة بفصول الهواء الطلق أو المصحات الدراسية ، وهي عبارة عن مدارس ترمى إلى غرضين : هما العلاج والتعليم البسيط المناسب لحالة الطفل الصحية .

٣ - سوء البيئة ، والمراد بالبيئة البيت والمدرسة . فقد يكون اضطراب المعيشة المنزلية ، وسوء تصرف الوالدين ، وفساد نظام الأسرة سبباً في تأخر الطفل من جراء عدم العناية به وإهماله . كما أنه قد يكون عدم موافقة المدرسة ونظمها للطفل سبباً في تأخره أيضاً . ويجب في كل حالة أن نبحث عن المسببات ونعمل على علاجها . فإذا كان سبب التأخر راجعاً إلى البيئة المنزلية ، فيجب أن نعمل على انتشال الطفل منها إذا يتسنا من إصلاحها . ومثل هذا يحصل في بعض البلاد التي يقضى تشريعها بأخذ الطفل من أحضان والديه إذا كانت البيئة المنزلية تؤثر في تكوينه العقلي أو الخلقى تأثيراً سيئاً ، كما هو الحال في إنجلترا وبلجيكا وأمريكا .

أما إذا كان سبب التأخر راجعاً إلى المدرسة ، فيجب دراسة حال الطفل لتبين ما يصادفه من الصعاب كعدم استعداده لدراسة مادة خاصة من مواد الدراسة ، أو كراهيته للدرس ، ومن ثم للمادة التي يدرسها إلى غير ذلك . وفي كل الأحوال يجب معاملة الطفل معاملة خاصة ، وتوجيهه توجيهاً مناسباً . وعلينا توطيد الصلة بين البيت والمدرسة ليتعاون الوالدان والمربون على تربية الطفل تربية صحيحة ناجحة . وعلى المدرسين أن يعملوا على توثيق عرى الألفة بينهم وبين الأطفال الذين يعهد إليهم أمر تربيتهم وتعليمهم . وأن يشاركونهم في نشاطهم ومشاعرهم مشاركة حقة ليتمكنوا بالتشجيع والترغيب من النهوض بهم .

ب - الشذوذ الجسمي

من الأمور الهامة التي يجب على المربي مراقبتها في الأطفال، الأوقات التي تظهر فيها قدرتهم على الحركات الآلية، لأن هذه الحركات من مظاهر نشاط الأجهزة الداخلية. فينبغي مراعاة وقت المشي، والقيام بالحركات الأخرى، ونمو الأعضاء ومبلغ قيامها بوظائفها وتناسبها مع جسم الطفل؛ فالطفل طويل القامة (العماق) أو قصيرها (القرم) يعتبر في الحقيقة شاذاً في نموه الطولي عن بقية أفراد جنسه.

ولما كانت قامة الشخص هي المقياس الظاهر لمعرفة ما قد يكون من شذوذ في نمو بعض أجزاء الجسم، فإن من الواجب علينا مراقبة قامة أطفالنا. فالجسم كالعمود القائم تتصل أجزاء جهازه العظمي بعضها ببعض في نقط عدة كمفصل القدمين والركبتين والحوض. وتتصل الفقرات بعضها ببعض على طول العمود الفقري كما تتصل بالرأس من أعلى وبالضلوع من الجانبين. وحول كل هذه العظام تتصل العضلات والأربطة. وفي داخل الجسم توجد الأجهزة المختلفة الضرورية لحياة الفرد كالجهاز التنفسي والدوري والهضمي وموضعها القفص الصدري والبطن، أما الجهاز العصبي فوضعه الجمجمة والعمود الفقري.

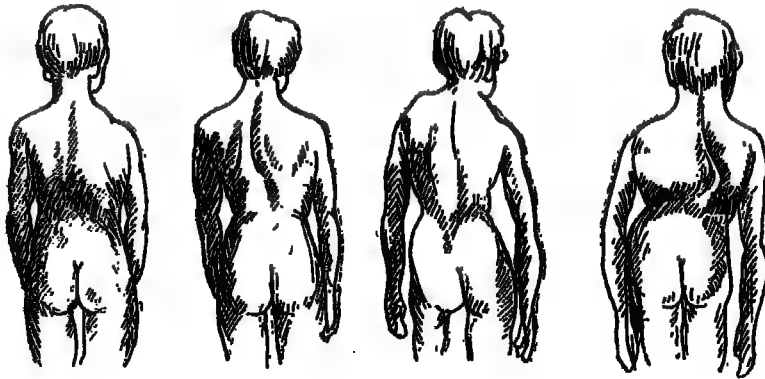
وفي أثناء نمو الجسم، لا تتحمل هذه الأجهزة المختلفة جهداً عظيماً. فهي لا تقوم بوظائفها خير قيام إلا إذا كان نموها طبيعياً معتدلاً مناسباً من ناحية الطول والحجم وفقاً لسن الطفل. أما إذا كان هناك شذوذ في نمو بعض هذه الأجزاء، فإن ذلك يسبب نقصاً أو تعطيلاً في أداء وظائفها. وقد يؤثر شذوذها هذا على ما يجاورها أو يتصل بها من بقية الأعضاء.

وأنواع الشذوذ الجسمية كثيرة، ولكن الذي يهمنا في هذا المقام هي الأنواع الأكثر انتشاراً في الأطفال، والتي يمكن تهذيبها وعلاجها بالوسائل الطبية والتربية البدنية.

— ٢٣١ —



التصاق الركبتين وتباعد القدمين



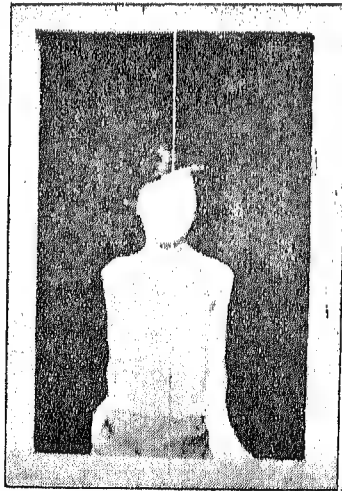
التواء الممود الفقرى

— ٢٢٣ —

التواء في المنطقة العنقية



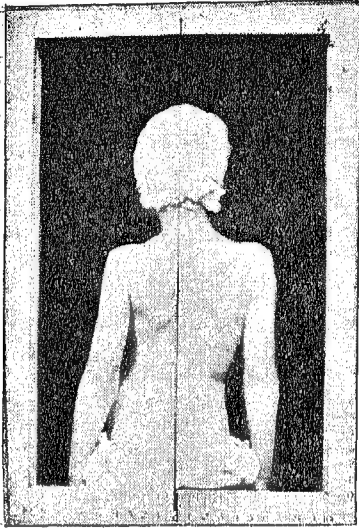
قبل العلاج



بعد العلاج

— ٢٣٥ —

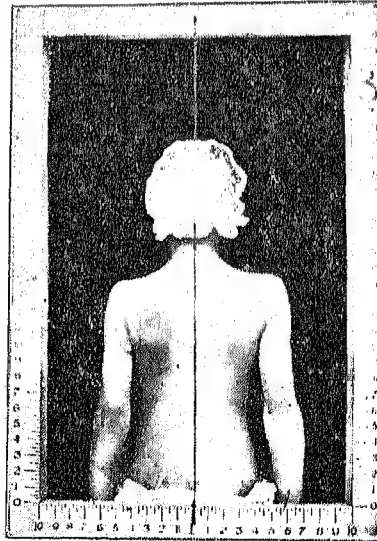
التواء وتقوس العمود الفقري



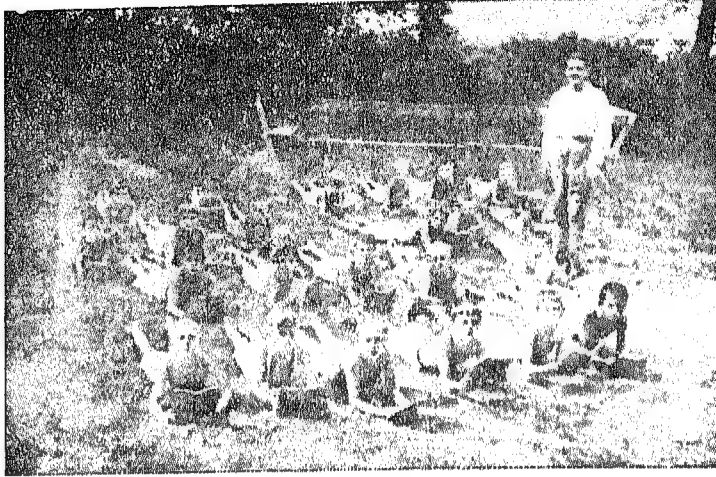
قبل العلاج



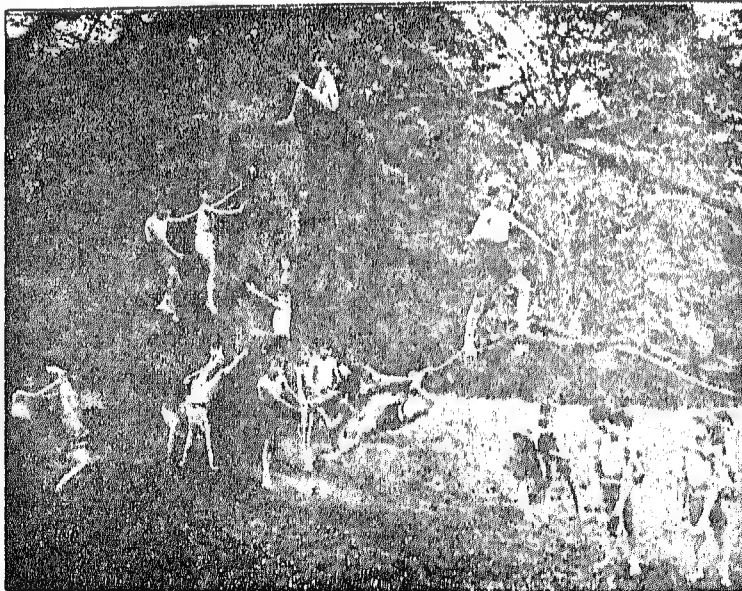
قبل العلاج



بعد العلاج



درس قراءة النعاف الصبة وهم يتمرون لأشعة الشمس



كيفية قضاء الأطفال نعاف الصبة لأوقات فراغهم

الشذوذ الخلقى :

يرجع معظم هذا الشذوذ في الأطفال إلى العادات السيئة التي يكتسبها الطفل من البيئة التي يعيش فيها . فالبيئة كما ذكرنا لها أثر فعال في تكوين الطفل من الوجهة الخلقية والاجتماعية ، كما قد يرجع شذوذ الطفل إلى قوة غرائزه الفردية وعدم تدريبيها وتوجيهها إلى الطريق المستقيم . فقد يكون الطفل أنانياً لا يحب إلا نفسه فيهاجم غيره في غير حق ليصل إلى أغراضه « ويستولى على ما ليس له ، ويميل إلى أذى الناس دون أى مبرر ، ويخرب ويحطم كما يرضى بذلك هوى في نفسه دون مراعاة لشعور الغير وإحساسهم . ويعتبر نفسه كل شيء في هذه الحياة ، فلا يكثر بروابط المجتمع ونظمه . ومن الأطفال من لا يقف شذوذه عند هذا الحد بل يصل به إلى حد الثورة على بيئته وحب الانتقام والسرقة وقد ينتهى به الحال إلى التشرد والإجرام .

أما نوبات الانفعال التي تلازم بعض الأطفال كالغضب الشديد والبكاء والضحك فيتابع وكثرة التقلب والتغير كالأقلام من عنف غير معقول إلى لين متناه . وعدم المقدرة على ضبط الحركات إلى غير ذلك ، كل هذه المظاهر غير العادية يجب أن تكون موضع بحث في سلوك الطفل المعتل من الوجهة الخلقية . وفي الحقيقة إن الشذوذ الخلقى تدخل فيه عوامل كثيرة لا بد من بحثها ودراستها حتى نقف على علة الشذوذ الرئيسية ونعمل على علاجها .

ويجب انشغال شواذ الخلق من الأطفال — خصوصاً إذا بلغ الأمر بهم إلى حد الإجرام — من يئسهم التي يعيشون فيها وإدخالهم لإصلاحات أو معاهد خاصة لتقويم ما اعوج من أخلاقهم وإصلاح ما فسد منها .

— ٢٤٠ —

هذا والعناية واجبة جداً بالأطفال الشواذ مهما كان نوع شذوذهم . ولذلك
عنيت كثير من البلاد الراقية بإنشاء عيادات طبية سيكولوجية ، الغرض منها
فحص الشواذ من الوجاهات الجسمية والعقلية والاجتماعية لتشخيص نوع
الشذوذ ومعالجته معالجة ناجحة على حسب ما يقتضيه حال الطفل .

معالجة الطفل في حالة العصيان ووحدة الطبع والغضب

من الأطفال من يكون صلب الرأى عنيداً أو عصبي المزاج أو حاد الطبع كثير الغضب . ولنوع المعاملة التي يعامل بها أمثال هؤلاء الأطفال شأن كبير في طرق تربيتهم وتهذيبهم . ولا يجب بأي حال من الأحوال أن نعاملهم بمثل ما نعامل به الطفل العادي السهل الانقياد اللين الجانب . وإنما يجب مراعاة اختلاف أمزجتهم وطباعهم والنظر في حالاتهم الخاصة وما تحممه نفوسهم من ميول متنوعة ، ثم نبني على ذلك كله طرق معالجتهم وتهذيبهم . فلا ينبغي مثلاً أن نعامل الطفل العصبي المزاج بنفس المعاملة التي يعامل بها الطفل العنيد صلب الرأى أو الحاد الطبع والكثير الغضب .

وعلى هذا الأساس يتحتم على المربين أن يدرسوا كل طفل من هؤلاء الأطفال على حده دراسة وافية بصفته فرداً مستقلاً ذا شخصية قائمة بذاتها ويحتاج تقويمه إلى توجيه خاص وعناية خاصة .

والطفل إما أن يكون بطبيعته صلب الرأى أو حاد الطبع سريع الغضب ، وإما أن يكون للبيئة أثر عظيم في تعوده ذلك . وفي كلتا الحالتين يجب المبادرة إلى معالجته حتى لا يشب على هذه الخصال الشاذة فيتعذر علينا استئصالها في المستقبل .

معالجة العصيان :

إن الطفل لا يعصى أمر من يجب مادام في مقدوره تنفيذه ذلك . فهو يطيع أوامر والديه دائماً لما يقومون به نحوه من جليل الأعمال . ولكن يجب أن تكون طاعته لهم في حدود المعقول . فالذين يحملون أولادهم على الطاعة العمياء بقوة الضغط عليهم كمطالبتهم بالهدوء والسكون مثلاً على

الرغم من ميلهم الطبيعي إلى النشاط والحركة المستمرة، يخطئون أكبر الخطأ؛ إذ ربما يحمل الطفل تكرار هذه الأحكام القاسية على العصيان، وتشتد فيه صلابة الرأي، فيخالف كل ما يلقى إليه من الأوامر، وقد يؤدي الضغط إلى إضعاف عزيمة الطفل وفساد استعداداته، فنراه يميل مع كل ريح ويسير تحت أى تأثير من غير عقل ولا تمييز.

وقد يكون سبب عناد الطفل وتصلبه سوء تصرف الوالدين، وعدم مساواتهما في المعاملة بين الإخوة والأخوات مما يدعو إلى إثارة الغيرة والحسد بينهم. فكثيراً ما نشاهد أن الطفل المحوط برعاية والديه وحبهما ينقلب عنيداً صلب الرأي كثير الغضب إذا ما رزق والداه بطفل آخر. وأكثرنا له من العناية والعطف. وقد يحقد الطفل على أخيه الأصغر لأنه قد استحوذ على حب والديه دونه. وقد يصبح صاخباً شاكساً مخرباً كأنه بذلك يريد أن يستلقت انتباه والديه المركّز على أخيه الصغير.

وكل ذلك نتيجة لسوء تصرف الوالدين. فالواجب دائماً ألا تظهر الأم عنايتها ومحبتها لطفل أكثر من آخر حتى ولو كانت هي في الواقع تفضل أحدهم؛ وأن تحيط أطفالها جميعاً برعاية واحدة. وإن كانت حالة الصغير مثلاً تستدعى رعاية أكثر، فيجب أن تفهم أخاه أن الصغير في حاجة إلى عناية خاصة لعجزه واعتماده عليها أكثر منه. كما يمكنها أن تستعين بالأكبر في رعاية أخيه. وبهذا ترتبط الإخوة برباط وثيق من المحبة والإخلاص. وربما كان سبب عناد الطفل سوء معاملته ويكون ذلك غالباً في حالة معيشته مع زوجة أبيه أو إخوته عن أبيه ومعاملتهم له معاملة سيئة. وربما كانوا سبباً له في عقابه من والديه بغير ذنب. وهذا يدعو الطفل لأن يثور على تلك المعاملة ويتسبب عن ذلك عناده إذا كان قوى الشخصية.

وقد لوحظ أيضاً أنه تبدو حالات العناد والعصيان على بعض الأطفال

المدللين عند أخذهم بالشدة وذلك بسبب رغبتهم في أن تكون أوامرهم هي النافذة .

وقد تبلغ حدة الطبع بالطفل إذا كان مدللاً ، أن يشتم أمه ويقذفها بما في يده ويصرخ ويغضب ويبيكي إذا لم تنفذ مطالبه . وبعض الأمهات الجاهلات يشفقن على أولادهن في مثل هذه الحالات فيعملن طوعاً لا إرادتهم جهلاً منهن بأن هذه العادات إذا شجعت أصبحت فيهم راسخة تلازمهم طول حياتهم ، علاوة على ما تسببه لهم من الأمراض العصبية المزمنة . فالأم يجب أن تكون حازمة في معاملتها للأطفال ، ويجب أن تعمل على تعويدهم الهدوء بقدرتها الحسنة ، وأن تتجنب التدليل لما له من الأثر السيء في تكوين الطفل عقلياً وخلقياً .

وقد يظهر ضعف المربين أحياناً أمام أطفالهم مما يجعلهم يحسون بضعف سيطرتهم وقلة نفوذهم ، فيدفعهم ذلك إلى العناد والعصيان . ولهذا يجب ألا تظهر أمام أطفالنا بمظهر العجز والتردد وضعف النفوذ . ومن ناحية أخرى إذا كان من خصائصنا حدة الطبع وصلابة الرأي أخذها عنا أطفالنا . ولذلك يجب أن نكون قدوة حسنة لهم في كل شيء ، لأنهم سريعي التقليد بفطرتهم ؛ كما يجب أن تكون معاملتنا لهم مبنية على المحبة والعطف ، لا على الإرهاب والخوف .

ولاشك أن الطفل إذا اندمج في هيئة رفاقه خضع لهم بطبيعته كى يكتسب ودهم ورضاهم عنه ، في حين أنه قد يكون عنيداً حاد الطبع مع بعض أفراد أسرته كأمه أو أخيه أو مربيته . فهو عند اندماجه في الجماعة لا يجنح إلى العناد والغضب مخافة أن ينبذه أقرانه إذا لم يؤد جانب الطاعة والولاء لهم . وإذا كان الطفل سريع الغضب بطبيعته فمن الضرر البالغ أن تتركه يتبادى في ثورة غضبه ، بل يجب أن نخفف من وطأتها . هذا وهناك حالات من

الغضب المرغوب فيه لا يصح إضعافها ، وهى الغضب للحق والفضيلة وللأهل والوطن . فالطفل إذا كبت فيه مثل هذا الغضب قد ينشأ قليل الاكتراث إذا اعتدى على أهله ووطنه ، ويكون إذ ذاك قليل النفع لنفسه وللجتمتع . فالغضب للشرف يجب أن تشجعه التربية بعزم وحكمة .

ويجب معاملة الطفل فى حالة الغضب معاملة معتدلة مع استعمال الحزم . بأن يؤخذ بالهوادة والهدوء ، وأن يترك وشأنه حتى تخمد ثورته ويعود إلى حالته الطبيعية . لأنه لو عومل بالشدة والعنف زادت فيه قوة الباعث على الغضب ، واشتد أثره فى نفسه لدرجة ربما ضرت بصحته وأخلاقه .

ويسبب الغضب عادة حدة الطبع ، وهى عادة سيئة فى الطفل ، إذ نراه يتبرم لأقل سبب ويكوى ويشتم ويلطم الأرض . وإذا أسرف الطفل فى هذا الأمر ولم يجد من يهذب هذه الطباع السيئة فيه ، فإنه يصاب حتماً بأمراض عصبية . وعلينا أن نعامل حاد الطبع بالهدوء وأن نسوسه بالحزم مع عدم المس بكرامته . فليس من الحكمة أن نهين الطفل أو نهزأ به فى مثل هذه الأحوال . بل الواجب أن نهذب من سلوكه تهذيباً مناسباً لمقتضى حاله .

وإذا استدعى الحال عقاب الطفل فلا يجب أن نظهر بمظهر المنتقم منه . بل بمظهر المصلح له الساهر على تهذيبه وتقويمه . وخير أنواع العقاب هى : —
١ — حرمان الطفل بما يحب كالحلوى والمصروف .

٢ — إذا رفض عمل شئ . تركناه حتى يعود إليه راعباً مختاراً .

٣ — فصله من الجماعة التى ينتمى إليها بابعاده عن إخوته أو تركه فى مكان بعيد عنهم مدة قصيرة حتى يعود إلى صوابه .

على أنه لا يجب أن نعاقب الطفل ونحن فى حالة الغضب . لأن هذا قد يدعونا إلى تشديد العقاب عليه بغير حق . بل الواجب أن نكون هادئين

وأن نوقع العقوبة بعد الذنب مباشرة ، لأن تأجيلها قد ينسيه ذنبه ، ويجعله يعتبر العقاب ظلماً وعدواناً .

ويجب أيضاً ألا نستعمل أنواع التوبيخ الشديد والعقوبات العنيفة ، لأنها لو تكررت تعودها الطفل وأصبحت عنده عديمة الفائدة ، فلا يكثر بها . ويجب ألا ننسى أنه من أسوأ الخطأ أن نوقع على الطفل عقاباً يضر بصحته .

الباب الخامس عشر

التربية الخلقية

انمو الخلقى ومعناه . الإرادة وتربيتها
العادات وأهميتها . الانفعالات والعواطف
المثل العليا . الشعور الدينى

معنى النمو الخلقى وأهميته

إن ثمرة التربية الصحيحة نمو الطفل نموا متوافقا في جميع قواه الفردية ، ويشمل ذلك نمو الجسم والعقل والخلق .

فالمرء لا يستطيع أن يعيش صالحا أو سعيداً ما لم تتوافر له صحة البدن ؛ ولا يكون عقله سديداً وقديراً على تدير شؤنه وحسن تصرفها ما لم يكن جسمه سليماً ، ولا يمكن أن يشب على خلق حميد يجلب به الخير لنفسه ولغيره ويدفع به الشر إلا بالحياة الصحية والتفكير القويم .

فالنمو الخلقى يتكون ويزدهر بمساعدة النمو الجسمي والنمو العقلي ، ويزداد تحت ظلالهما ، وبه يصير الطفل في معترك الحياة قوة تسعى في دماءه لبنة ، وحرية واسعة غير هيابة ما يعترضها في سبيل الأعمال الصالحة ؛ وبه النجاح بعينه في الدنيا ، والاستبشار بالنصر دائماً . فقيمة المرء في الحياة تقدر بما يصل إليه من رقي النفس وكاملها واتصافها بالحكمة والعفة والعزة والعدل ، وبما يتغلغل في نفسه من بواعث العمل لصالح الفرد والمجتمع ، ومقدار استعداداته لنبد الشر ، وتجنب الإساءة إلى غيره من الناس .

فالأخلاق الدمثة هي المقياس للتربية الرشيدة .
وأما طريق نموها فأخذ في الظهور بوضوح في مبادئ التربية الحديثة .
وقد أصبحت تربية الأخلاق مرتبطة بالتربية الاجتماعية إلى حد بعيد .

فالأخلاق تتكون في كل ناحية من نواحي حياة الطفل الصغير بطريقة غير مباشرة . ولا يمكننا أن نعلّمها أطفالنا في دروس خاصة مقصودة ، أو نبثها فيهم طفرة واحدة ؛ بل هي تأتي نتيجة للروح المعنوية السائدة في المجتمع الذي يحيط بهم . فالطفل يتنبه إلى وجوب اجتياز مسالك الحياة بصفته

عضواً في الجماعة ، فيوازن في مختلف علاقاته بأفراد أسرته ورفاقه ، بين صوالحه وصوالحهم . ويتحتم عليه أن يعرف أسباب الخير له ، ثم ليقابل بينها وبين أسباب الخير لهم . ويراعى ما ينفعه أو يضره وما ينفعهم أو يضرهم . وهكذا يتدرج إلى أطوار الحياة قادراً على الاندماج مع غيره من الأفراد بثقة متبادلة ، وسمو في المعاملة ، فيقدر مسؤوليته العظيمة تجاه المجتمع الذي نشأ فيه .

ولقد كانت مظاهر التربية الخلقية قديماً أن يراعى الطفل آداب المعاشرة والمجاملات المعتادة . وأن يلتزم الصمت والسكون في حضرة غيره . ويطيع الأوامر ، وينفذ الواجبات التي تفرض عليه بدون توان أو مناقشة . ولكن قواعد السلوك الخارجى هذه . ولو أنها قد تكون دليل الأخلاق ومظهرها ، فإنها لم تعد مهمة في حد ذاتها . وأصبح الخلق يرتكن على البواعث الداخلية التي تدفع الطفل إلى الأعمال الطيبة أو السيئة . لذلك وجب على المربي أن يستقصى حالة الطفل النفسية التي تصدر عنها تلك الأعمال ويتخذها معياراً لخلقه .

فالخلق صورة النفس وصفة راسخة فيها ، تنبعث عنها الأعمال بواعز وجداني ونزعة فطرية من غير تفكير أو تردد . ولا تعتبر أعمال الإنسان خلقية إلا إذا كانت تدخلها الإرادة منبعثة بدون رادع من الخوف أو غرض في الشهرة والظهور .

والعناية بالتربية الخلقية تشمل ما يأتي : -

(١) تعديل الغرائز والميول الفطرية وتهذيبها ومعالجة النزعات المختلفة وأنواع الاستعدادات المتباينة ، ورفعها من الحد الضار غير المذهب إلى الشعور السامى والنزوع الأدبى . فعمل الإنسان دليل على خلقه . وترجع معظم أعمال الإنسان إلى غرائزه وميوله الطبيعية ، ولذا فخلقه يتوقف كثيراً عليها .

فالخوف مثلاً يمكن توجيهه إلى التروى ومخافة الله بدلاً من تركه بذرة للجبين والتقهقر أمام العقبات . وغريزة حب الظهور يمكن أن تذكى فى الطفل تمجيد الأعمال الجليلة والمبادئ الخلقية الصحيحة ، ومقت الأعمال الباطلة بدلاً من الخيلاء والزهو الباطل . والمقاتلة قد تصير قوة للجهاد الأدبى ، والدفاع عن حقوق الغير ، والاتصار للضعيف بدلاً من حب الانتقام وجلب الأذى . وغريزة الانقياد قد تكون أساساً للخشوع الدينى والخضوع لذوى النفوذ والقانون العادل ، وقد تكون سبباً لضعف الشخصية وعدم المغامرة فى سبيل الخير .

ومن هنا يبدأ واجب المربي فى تنظيم الانفعالات النفسية ، وتحويلها إلى عواطف راقية ، وقيادة تلك العواطف فى سبيل الخير .

(٢) تقوية الإرادة وتوثيق دعائتها فى الطفل حتى يستطيع ضبط النفس والتحكم فى مشاعره ، والإذعان لوحى الحق ، وشحذ همته فى الصبر والمثابرة والثبات والمواظبة على وزن الأمور والحكم عليها واختيار الصالح منها اختياراً حراً .

(٣) إعداد الطفل للعمل الطيب بالتدريب الفعلى ، وتكوين العادات الحسنة فى السنين الأولى من حياته .

(٤) وضع القدوة الحسنة فى مراعاة أصول النظام والنشاط وتأدية الواجب وضرب أحسن الأمثال العملية للإخلاص والأمانة والصدق وغيرها من الصفات الفاضلة التى يكسبها الطفل عن طريق اقتدائه بالمثل العليا لتواعد السلوك الخلقى ؛ فنحجب إلى الطفل اتخاذ أبطال من ذويه ومرييه ومن المصلحين ورجال الدين والأدب ليكونوا مشكاة له فى تمثيل الحياة الصالحة فيحتذيه مقياساً له فى أعماله وتصرفاته .

(٥) تنمية الشعور الدينى لأن الدين يدعم الأخلاق العميقة الأثر

في نفس المرء . وكل تربية على غير أسس دينية لابد أن ينهار بناؤها وتتقوض دعائمها ؛ ومن ربي طفله على مبادئ غير دينية كان عمله هداما وتخريبا .

هذه إذن خير الوسائل للنمو الخلقي — أما الطريقة الشكلية لبث دروس الأخلاق كالعظة والإرشاد والنصح وتلقين الحكم والأقوال الذهبية وتحفيظ القوانين وتوقيع العقاب والتخويف والتأنيب ، فطرق ثقيلة على نفس الطفل لأنها تشعره بالتحكم والإلزام . وربما أدت إلى السلوك الصحيح ولكنه يكون ناشئا عن خوف ورهبة لا عن عطف ورغبة .

أما الطرق غير المباشرة فإنها أفعل في النفس وأدعى إلى اتباعها بدراية عملية . وأقوى فعلا في استهواء الطفل الصغير إلى الخير ، وإيحاء روح الفضيلة في خفيته . وتكوين مبادئه ومعتقداته تكوينا متينا يظهر أثره بين ثنايا أعماله . ويبعده عن عوامل الرذيلة وعن التعثر في الخطأ .

الإرادة

الإرادة مظهر من مظاهر النزوع . والنزوع هو الدافع النفساني الذي يدفع الشخص لأداء عمل من الأعمال . أو هو ذلك العمل نفسه إن قام به الإنسان فعلاً .

فإذا كان هذا الدافع موروثاً وعماماً عند جميع أفراد النوع ، كان مظهراً لأحد الميول الفطرية .

وإذا كان مكتسباً شبه آلى كان مظهراً لأحدى العادات .

وأما إذا كان الدافع نتيجة التفكير سمي إرادة . وهي كما عرفها العلامة مكدوجل « العقل في حالته العملية » ، فهي الدافع الذي يدفع الفرد لأداء عمل من الأعمال بعد تفكير وروية .

تحليل العمل الإرادي :

إذا حللنا العمل الإرادي « وجدنا أنه لابد وأن يكون مسبوقاً برغبات وميول متضاربة ، يتغلب إحداها على الأخرى بعد التفكير والروية فمثلاً عند قراءة رواية مسلية تتنازعك عدة ميول :

(١) الاستمرار فيها إلى النهاية

(٢) تركها لأداء واجبك المدرسي ، أو لزيارة قريب أو لقضاء حاجة ما . وينتهي بك الأمر بتفضيل أحد هذه الميول وتنفيذه فعلاً . ولا يتأتى ذلك إلا بالتفكير والموازنة . وهذا معناه أن شعورك بالواجب عليك يدفعك إلى التفكير في الأمر والموازنة بين الميول والرغبات المتعددة

في نفسك لتنتقي منها ما هو أفضل وأرجح . وهنا تصمم على تنفيذه ، ثم تنفذه بالفعل .

وعلى هذا الأساس نجد أن العمل الإرادى يتركب من : —

- ١ — شعور وجدانى .
- ٢ — رغبات أو ميول .
- ٣ — تفضيل أو ترجيح أحد هذه الميول .
- ٤ — عزم أو تصميم عليه .
- ٥ — تنفيذه بالفعل .

منشأ الإرادة في الطفل :

نرى أن الوليد لا تظهر عليه أمارات الإرادة أو النزوع الذاتى نحو عمل من الأعمال . فإذا ما كبر وأخذت مداركه العقلية فى النمو ، بدأت نزعاته الذاتية فى الظهور بالتدريج ، وشرع يقوم فعلا بأعمال وحركات عضلية ترمى إلى أغراض ظاهرة ، كالبحث عن ثدى أمه ، أو الحبو نحوها ، أو النظر إلى لعبته الجذابة ، أو غير ذلك .

وبما أن الحركات الإرادية لا بد أن يسبقها تفكير ، فهى إذن لا تصدر عن الطفل إلا بعد أن تستطيع حواسه القيام بوظائفها ، ويقوى فيه الإدراك الحسى ، وتنمو قواه العقلية ، وتتكون لديه أفكار يعمل على تنفيذها بحركات إرادية .

فقوة الحواس على الإدراك ، ونمو القوى العقلية شرطان أساسيان لنمو الإرادة . كذلك للأفكار التى تصل إلى الطفل شأن عظيم فى نموها ، إذ ترى الطفل يحول الفكرة إلى عمل يقبل عليه بنفسه إذا ما جلب له الفرح والسرور ، وينكش عنه إذا ما كان مؤلما .

والطفل يميل إلى التقليد بقطرته كما سبق القول . وكثيرا ما نراه يقلد
الإنسان أو الحيوان بدافع إرادى . فرغبته فى محاكاتها فى أقوالنا وأعمالنا
مظهر من مظاهر الإرادة .

نستخلص من هذا أن حركات الطفل لا تكون إرادية إلا إذا تدخلت
رغبته فى القيام بتلك الحركات . أما إذا رأى الطفل جسما براقا مثلا ، أو لونا
جذابا فتوجه تلقاه مباشرة ، لم يكن ذلك عملا إراديا . ولكن إذا اتجهت
نفسه إلى الغذاء عند رؤية الطعام ، ومد يده إلى نوع خاص منه ، كان ذلك عملا
إراديا من غير شك ، لأن الطفل فى هذه الحالة يشبع رغبته ، ويسد رمقه
بإرادة منه .

أما فى الحالة الأولى فالجسم البراق أو اللون الزاهى ، هو الذى جذب انتباهه
فاندفع إليه مباشرة قسرا ومن غير تفكير .

مميزات الإرادة عند الأطفال

إذا لاحظنا أعمال الأطفال الإرادية ، وجدناها تختلف عن مثيلاتها
فى الكبار . فهى قليلة متقطعة . وذلك لأن الطفل لا يزال بعد فى دور النمو ،
وفى حاجة إلى التربية والتدريب . وأهم الأسباب التى من أجلها كانت إرادة
الطفل ضعيفة ما يأتى :

١ — إن الطفل يندفع إلى العمل بدافع الرغبة الوقتية والميل الشخصى .
وهذا راجع إلى أنه يتأثر بوجدانه أكثر مما يخضع لفكره ورويته . فنراه
لرغبته الشديدة فى الحصول على شيء ما ، يلقي بنفسه إلى التهلكة من غير
تبصر فى عواقب الأمور .

٢ — يدفع الطفل نشاطه الذاتى وحبه للاستطلاع إلى الانتقال من عمل
إلى آخر قبل أن يتمه . فنراه يعنى بهذا الأمر ، ثم لا يلبث أن ينتقل إلى ذاك .
ومثله فى ذلك كمثل النحلة التى تنتقل من زهرة إلى زهرة طلبا فى ارتشاف

رحيقها فالطفل ميال بطبيعته إلى كل جديد ، وإلى ما يتطلب النشاط والحركة .
٣ — إن الطفل يشعر بالتعب بسرعة لأقل مجهود يبذله ، كما تنقصه المثابرة .
في مزاوله الأعمال والالتفات إليها مدة طويلة .

درجة الإرادة

قد تكون الإرادة قوية وقد تكون ضعيفة .
فالشخص قوى الإرادة هو من يقدم على الأعمال بعزيمة ثابتة ومن غير تردد ، ويستمر في عمله إلى أن ينال مأربه . وإن قامت الصعاب في طريقه فإنه يواجهها بصدر رحب ، ويزداد في اقتحامها قوة على قوة إلى أن ينال غرضه .

مظاهر قوة الإرادة

إن قوة الإرادة فضيلة من الفضائل التي لا تثبت في النفس إلا بمراعاة شروط تكوين العادة . فهي إذن من الأمور المكتسبة التي يحصل عليها المرء بالتجارب والتعود . ومن مظاهرها ما يأتي :

- ١ — الإقدام : فقوى الإرادة هو الذي يقدم على العمل بعزيمة ثابتة .
- ٢ — ضبط النفس وهو مظهر من مظاهر قوة الإرادة . فسيّر المرء وراء نزواته ، وعجزه عن كبح جماح نفسه ، راجع إلى عدم مقدرته على ضبطها .
- ٣ — مضاعفة القوى وبذل الجهد في تقوية الدوافع المستحسنة وإخماد الدوافع المردولة .

٤ — الاستمرار في العمل حتى يصل المرء إلى الغاية المنشودة على الرغم من العراقيل التي تصادفه .

والواجب علينا تقوية الإرادة في الأطفال بأن نكون لهم مثلاً علياً في قوة العزيمة وضبط النفس ، وأن نزودهم بالأفكار التي تحملهم على العمل .

مراعين في ذلك مقدرتهم الجسمية والعقلية. لأننا إذا أعطينا الطفل عملا فوق طاقته فقد لا يتمكن من إتمامه. وربما دعا ذلك إلى تشييط همته وقتل عزيمته، إذ يشعر أنه عاجز عن القيام بمثل ذلك العمل. كما يجب أن تكون الأعمال التي يكلف الطفل بها مرتبطة بميوله ورغباته ليقبل عليها بدافع شخصي. وكذلك يجب أن يشجع على العمل من آن لآخر ليتجدد نشاطه. ويحتمل الاستمرار في العمل المكلف به حتى يتمه على خير الوجوه.

ضعف الإرادة وعلاجه :

يظهر ضعف الإرادة في تردد المبرء في أعماله وهذا لقلة ثقته بنفسه ، وعدم مقدرته على ضبطها ، ولوهن عزيمته وعجزه عن كبح جماح أهوائه . وعلى المربي دراسة نقط ضعف الإرادة فيمن يعهد إليه أمر تربيتهم كي يقضى عليها أو يعالجها علاجا ناجعا باتباع الوسائل الآتية : —

١ — لما كان تردد الطفل في أموره وأفعاله مراجعا إلى عدم ثقته بنفسه . وعجزه عن الاعتماد عليها ، كان واجبا على المربي أن يعوده أولا الإقدام على الأمور السهلة التي يكون في مقدوره القيام بها ، والوصول إلى نتيجة سريعة مرضية ثم ينتقل به إلى غيرها مع مراعاة التدرج فيها حتى يمكنه فيما بعد أن يقدم على أصعب الأمور من غير تردد أو وجل .

٢ — يجب أن يثير في الطفل الرغبة الصادقة في العمل الذي يكلف بأدائه .

٣ — يجب أن يزود الأطفال بالأفكار الصالحة التي تحملهم على العمل .

٤ — يجب أن يكون الغرض الذي يرمى إليه الطفل من الأعمال التي يناط به تأديتها صريحا واضحا ، إذ بدون ذلك يتخبط فيها الطفل خبط عشواء . فلا عزيمة تدفعه ، ولا قوة تسنده .

— ٢٥٨ —

- ٥ — قد يكون ضعف الإرادة في الطفل ناشئا عن خوفه من الاستهزاء به بسبب تأخره عن زملائه . فيجب والحالة هذه أن نزيل أسباب خوفه وأن نشجعه التشجيع الكافي ليقبل على العمل من تلقاء نفسه .
- ٦ — يجب أن نغرس في أطفالنا فضيلة ضبط النفس لما لها من الأثر العظيم في تقوية الإرادة .
- ٧ — يجب أن نستهوئ الطفل إلى حسن الظن بمقدرته والوثوق بنفسه . فهذا يساعد على تقوية إرادته .
- بهذه الوسائل نستطيع أن ننقل بالطفل من عالم التردد إلى عالم الإقدام والعزيمة الصادقة .

المثل الأعلى

إن القدوة الحسنة من أهم العوامل التي تبث الأخلاق الصالحة في الأطفال، لأنها توضح لهم بطريقة فعلية روح الخير، وتمثل لهم معنى الحياة السامية .

فالتهديب بوساطة المثل الصالح يأتي عن طريق الخبرة . وتنفذ الأخلاق مجسمة في مجراها الفعلي فتدعوا نشاط الأطفال إلى التقاطها واقتباسها بالمحاكاة .

والطفل عندما يبلغ شأوا من النمو، يوجه غايته إلى محاكاة أفراد من يعاشره في بيئته ، ويتأثر بأعمال من يعجب بهم من الأشخاص الذين تدور حولهم القصص التي تلقى عليه . فينتج مسلكه نحوهم ، ويتخذهم أنموذجا لنفسه يسعى لإرضائهم والعمل على ضوء مبادئهم وأفكارهم .

والمثل التي تمثل أمام الطفل تتبدل دلالتها في أطوار نموه المختلفة حسب تغير وجهة نظره إلى الحياة وتحور ظروفه ، وتبعا لعلاقاته التي يكونها مع الناس حتى سن المراهقة حين تتحدد غايته من العيش ، فيدأ على تحقيق ما تصبو إليه نفسه .

والإنسان دائما يطمح إلى الكمال ! والبشرية بأجمعها أبدا تنشد السمو؛ والمثل الأعلى ماثل على الدوام نصب عين المجتمع ، يضيء له سبل الرقي فيجد للوصول إلى أعلى مستواه .

عوامل تكوين المثل العليا للأطفال

طالما كان المثل الذي نضعه أمام الطفل طيبا كان السلوك الذي يوحيه

طيباً أيضاً، وكانت الأخلاق المبنية عليه قويمية . ولقد يسمي الطفل اختيار أبطاله فينتقيهم من بين أصحاب الجاه أو الشهرة الباطلة ، أو ممن لا يوافقون ظروفه الخاصة وشخصيته . فينحرف عن حذو الصواب ، وتسوء أخلاقه بمحاكاةهم . لهذا فالعناية واجبة بإحاطة الطفل بالنماذج المثلى لقواعد السلوك ، ومراقبة ما يقع تحت بصره من الأعمال والأفعال .

ولكن نقوده إلى المثل السوى في الحياة العامة يجب مراعاة ما يأتي :

- (١) اتصاف كل من يحيطون به من ذويهم ورفاقه ومربيهم بالسجاياء الفاضلة التي نود أن يتمثل بها وأن يحاكيها في حركاته وسكناته وأفعاله المختلفة حتى يكون لها الأثر التهديبي المطلوب .
 - (٢) تصوير أبطال من عالم الحقيقة أو خلق الخيال ومن أمثل رجال العصر البارزين أو أشخاص التاريخ والإصلاح والاستكشاف والأدب ، وتحبيب الطفل فيهم وإثارة اهتمامهم واحترامهم لهم ، فيتخذهم مصدراً للإلهام الخير ووحى الفضيلة . وأكثر ما يؤثر في الصبية الصغار مثل البسالة والبطولة والشهامة ؛ أما البنات فيعتبرن بالشخصيات التي تشمل عناصر جمال الروح والهدوء والشفقة والتدين وخدمة الغير وعذوبة الطبع وعطف الأمومة .
- ولكن تنجلي المثل العليا للطفل أكثر فأكثر ، ويتسع أفقه الأدبي كلما ارتقى في النمو وازداد فهمه ، يجب تنظيم المؤلفات التي نقرأها عليه ، أو نهيئها له ليطلعها بنفسه إذا ما تعلم القراءة ، من كتب ومجلات دورية وصحائف متنوعة ، فيها القصص والأساطير والتراجم وسير قادة البشر بحيث تكون في مستوى تفكيره ، وموضحة بأسلوب طريف يستهويه إلى تتبعها بشغف ، وإلى محاكاة طرق جهاد هؤلاء الأبطال في سبيل الفضيلة ، وتغلبهم على القسوة والظلم ، وخطتهم في إصلاح الشر الذي بينهم .

نشأة الشعور الدينى وأثره

لا يمكن أن ينجح الإنسان حقاً في دنياه إلا إذا كان لأخلاقه عماد من الشعور الدينى . والدين لا يظفر به المرء بعقله ، وإنما يظفر به بوجوده ونية قلبه . فالوازع الدينى يستيقظ في طوية النفس ، وعنه تنبعث عقيدة الفرد وإيمانه بالخالق عز وجل . وهذه العقيدة وذلك الإيمان يقيان في الحياة شعلة من النور لهداية صاحبهما إلى السلوك بأسلوب لا نهاية لتساميه .

وظفلنا الصغير ، يولد في هذا العالم وبنفسه البريئة بذرة الخير الأصلية التى يشع منها ضوء من الروحانية والحساسية بأسرار الوجود وبقوة الله العليا التى تتراءى في الكون والتى تسجلها شواهد الطبيعة ومعالمها المختلفة . فهو كثيراً ما يبحرنا بأسئلته العميقة عن صنع العالم وأبداع الإنسان والحيوان ؟ وأين هو ذلك البارئ العظيم ؟ ولماذا لا نراه بيننا ؟ وما بدء هذه الحياة ؟ ولماذا خلق الله تعالى الشيطان الرديء ؟ وكيف أتت الناس إلى هذه الدنيا ؟ وإلى أين يذهبون بعد الموت ؟ وما إلى ذلك من الاسئلة العويصة التى دعت بعض الباحثين إلى تلقيبه بالفيلسوف الصغير .

وفي مرحلة الطفولة الأولى نجد الصغير مستعداً لقبول معتقداتنا في قالب مناسب مداركه الأولية . فهو يتناول تفسيراتنا وردودنا عن أسئلته هذه بإيمان وتسليم تام ، دون أن يفهم ما تنطوى عليه أسرارها من حكمة جزيلة ، وإن هذا ليغذى شعوره ويحلى فيه البصيرة الدينية . وهو يخضع لآرائنا بدافع من غريزتي الانقياد والخوف ، وبعامل من الاستهواء والإيحاء . ولا سيما أنه قليل الخبرة بالحياة يثق بحسن معرفتنا بالأمور ، ويعترف بتفوقنا عليه ، ويدرك أن مقدرة الله تعالى فوق مقدرة البشر ، وتتجاوز حد الخليفة بأجمعها ، فيخضع لها بجلال وهيبة وخشوع .

وبنمو عقل الطفل وتدرجه إلى سن المراهقة تقوى فيه نزعة التدين فيصبح ورعه ثابتا بالتعليل والتعقل، ومحصنا بالتمييز والتمحيص. وتقوم عقيدته على أساس مستحكم من الإدراك الكلى لقواعد الدين الحنيف وفروعه القويمة. وهذا طور انقلاب خطير في حياة الناشئ؛ فإن لم تتناوله بالعناية الشديدة، ونحصنه بسلامة التفكير والإقناع، فقد ينساق من كثرة البحث والنقد، إلى هوة من الإيهام والشك والكفر لا سمح الله.

ونشأة الشعور الديني تأتي بتأثير القواعد والتعاليم التي فرضتها الكتب المنزلة كمبادئ للحياة الإنسانية العامة. فهذه تبث في الأطفال محبة الله والإيمان به تعالى، وترهبهم سناء قدرته وسمو حكمته في تشريع الأوامر التي أمرنا باتباعها والنواهي التي أمرنا باجتنابها.

ففي الامتثال لقول الصدق مثلا يكون الفوز في الحياة. ولذا أمرنا الله تعالى أن نحكم الحق على جميع أعمالنا مهما كلفنا ذلك.

وتعليم القرآن الكريم ودراسة الكتب السماوية يجب أن يكونا في بادئ الأمر عن طريق القصص التي تتضمن سير الأنبياء والمصلحين ورسالاتهم التي بعثوا بها إلى أقوامهم المختلفة.

وبما أن الطفل في هذه السن قوى التخيل، كثير النشاط، شديد الاستهواء، ميال إلى المحاكاة، فيجب أن نهى له القدوة الطيبة في جميع حركاتنا وسكناتنا وأقوالنا وأفعالنا حتى نوحى له التقوى في أثناء قيامنا بالصلاة وإيتاء الزكاة والبر بالغير، وحتى نوحى له الخشوع والروعة في ذكر كل ما لله عز وجل.

كذلك ينبغي إجابة الطفل عن أسئلته المتعددة بطريقة تناسب عقله وتبين له حكمة الخالق جل وعلا في جبلة خليقته وسن شرائعه ونواميسه مع البشر.

ومن الحزم ألا نماطله ، ولا نحاول إخفاء الحقائق أو إفساد تفكيره عليه .
فإذا سأل مثلاً : من أين أو كيف جاء أخى الوليد ؟ ، لا نفضله بإقناعه أن
الطبيب أحضره فى حقييته ، أو أنه وجد ذات صباح فى الحديقة تحت شجيرات
الورد ، بل يحسن إفادته بصراحة أن الله تعالى بعثه إلينا كما أرسل أمه وأباه
من قبل ، وكما أنه ينبت النبات لتغذى بشماره ، ويخلق القطيطات لتسلينا بلعبها ،
فهو أيضاً قد شاء أن يهدى إليه أخاه الجديد ليكون رفيقه فى الحياة .

وإذا شاء الطفل أن يعرف أين كان أخوه المولود قبل خروجه إلى العالم
فلنحدثه عن المحبة الوالدية ولنشرح له أن الأم تتعهد أبناءها وتحميمهم من
الاذى لشدة حبها إياهم ، وأنه من فرط حرصها على أخيه المولود وهو صغير
جداً فى بدء تكوينه ، كانت تحمله بالقرب من قلبها محفوظاً من كل ضرر .
وقد يزعج الطفل لموت أحد معارفه ، ويكرر أسئلته المتوالية عن : أين
ذهب ؟ ، وهنا يحسن أن نذكره بلذة النوم وما يشعر به من راحة عندما
ينفض فى الصباح . فالله لفائق رحمته بالمتعبين والعجزة والمرضى يرقدهم فى
ثبات عميق يستيقظون من بعده فى عالم آخر منتعشين ومعافين .

ولكى نقرب إلى ذهن الطفل قدرة الله على كل شيء . وكلية وجوده
فى كل مكان ، فلنصرفه إلى الطبيعة ليمرح فيها ، ويتأمل ظواهرها فتكشف له
أثر البارئ فى بدائعها ، وتعالى بخياله إلى تصور وحدة جلالته الشاملة
لجميع المخلوقات .

وما المحرك للأفعال العجيبة البادية أمام ناظريه إلا يد الله المحجوبة عن
عينيه وراء كل شيء . فبقدره الخالق تهب الرياح وتفتح البراعم وتسطم
النجوم ويرخى الظلام سدوله وينشق الفجر : فهو رب المشرقين ورب
المغربين ، مسجى الليل والنهار ، ووازن المواقيت : وصانع الأنعام والإِنسان
فى أحسن تقويم .

وعند قيام الطفل ببعض أعمال الزرع والانبات ، يدرك مبلغ ضعف البشر
إزاء قوة الله تعالى ، فيمحض إرادته ينبت الحب بعد بذره ، ويخرج لنا من
بطون الأرض شهى الثمار وجميل الأزهار وحدائق غلبا .
يشاهد الطفل كل هذا فيزيد تقديره لعناية الرحمن وعزيز قدرته ،
ويهتز أمام عظمتة الإلهية إعجابا وروعة ، ويتحدث بما زين به لنا الحياة الدنيا
من مسرة وسماح ، ويندفع إلى حمده سبحانه وتعالى على ما تتمتع به من فضل
نعمته ؛ ومن ثم تنشأ فيه الرغبة لإقامة الصلاة ، ويتسع قلبه للعطف على
قاطبة الخلائق ، فيجانب الإساءة ، وينبذ كل فكرة لاخير فيها لإنسان . وعلى
هذا المبني الصالح يكون الشعور الدينى النزيه الذى ينتهى به المسير فى الحياة
إلى الخير الأبقى .

العادات وأهميتها

كيفية تكوين العادات أو التخلص منها

إن السنوات الأولى من حياة الطفل أهم وقت لتعويده مختلف العادات وغرس الصفات الخلقية الحميدة فيه . وذلك لأن قابليته للتعلم تكون على أشدها في هذه المرحلة ففي سن الطفولة يكون الجهاز العصبي مرنا وذا استعداد للتأثر السريع بجميع المؤثرات التي تصل إليه . وكل عمل أو شعور أو تفكير يأتي به في هذا الطور من حياته يترك أثراً باقياً في المادة العصبية ، وبتكرار هذا العمل أو الفكر أو الشعور الواحد ترسخ آثاره في المخ وتعمق فيه ، فيصبح عادة يؤديها بسهولة وبدون تفكير أو عناء . وهكذا يدخر من قوة مجهوده ومن زمن حياته ما يستطيع أن يصرفه في نواحي الترقى الأخرى .

ومن العادات الأولى التي يكونها الإنسان في طفولته ما كان خاصاً بآداب الأكل والشرب والنوم وأوضاع الجسم وأسلوب المحادثة والتحية والمجاملات العامة والاعتماد على النفس في تأدية لوائمه الشخصية والمواظبة على النظافة وعناية الهندام والمحافظة على المواعيد وما إلى ذلك من العادات الصحية والأدبية الأخرى .

والطفل في بادئ نموه يستقبل طول وقته آثاراً مختلفة تطبعها في نفسه يثبتها التي يشب فيها . وهذه الآثار سواء أكانت صالحة أم طالحة لا بد أن تترك وراءها أثراً في نفسه فتكون عادات حسنة أو سيئة تبعاً لنوعها . فهو يتخلق بالرغم منا ومن نفسه بتلك العادات وليس في وسع المربي دفع هذا التخلق الذي يعرضه إليه الاستعداد الفطري ، وإنما في مقدوره أن يوجه هذا الاستعداد إلى الناحية النافعة ، ويحجبه عن الناحية الضارة ؛ فيراقب الطفل

مراقبة شديدة لشغل أوقاته بأعمال طيبة ، وتزويده بأفكار صالحة لتكوين العادات الحميدة المرغوب فيها .

يتبين لنا إذًا أن تكوين العادة ما هو إلا نتيجة عاملين جوهريين هما الأثر والتكرار . فكلما كان الأثر الذى ينطبع فى نفس الطفل لعمل ما سارا رغب الطفل فى تكراره . وبهذا التكرار يكون التمرين المستمر الذى يثبت العادة فى نفسه . فيؤديها على نمط خاص ونظام واحد . ولذا فإننا لا ننجح فى غرس العادات الفضلى فى صغارنا إلا إذا عاملناهم بالرفق والود والتفاهم . وأحجمنا عن التخويف والتهديد والإيذاء الذى يلجئهم إلى الكذب والمخاتلة وغيرهما من الرذائل . كذلك كلما كان أثر الفعل موافقا لميول الطفل وطبائعه زاد مجوده فى تجريبه حتى يتقنه . إذ هو يعيد كرتة باغتياب ، ويوالى محاولته المرة بعد الأخرى بدون ملل . ومن هنا نشأت علاقة العادات بالغرائز حيث ينشأ كثير منها على أساس أعمال الطفل الغريزية ونزعاته الفطرية . فالعمل الغريزى إذا تكرر بطريقة معينة يتخذ أثرا خاصا فى المخ ، ويتأصل فى الطفل فيصبح عادة وسجية منظمة كالشجاعة أساسها الخوف والمقاتلة ، وكالتعاون أساسه الميل إلى النسى وحب الاجتماع ، وكذلك السرقة فإنها ناشئة عن حب التملك والادخار .

ولما كانت العادات فى الأفراد تختلف لتنوع الآثار التى تحدثها ، وجب أن تكون الأعمال التى نقصد تعويد أطفالنا إياها ذات بواعث توافق ميولهم حتى يحققوها بسرور ، ويجدوا لذة فى بذل المجهود للإتيان بها والتدريب عليها . وعلى قدر التدريب والتكرار تكون العادة راسخة فى المرء ومسيطرة عليه .

فلتعويدهم الطاعة والدقة والمثابرة مثلا ، علينا أن نشق أمامهم الطريق بالبواعث السارة التى تجذب ميولهم الشخصية ، فتدفعهم إلى الانقياد للإناء على

— ٢٦٧ —

الفور بحرية ورغبة ، كأن نعطيهم واجبات في تنظيم أدواتهم ، ومسؤوليات في المحافظة على إخوتهم الصغار ومساعدتهم وتعهدهم ، لنشعرهم بموقف القيادة ونثير فيهم حب التعاون فيؤدوا كل هذا بحزم وبدقة . وهكذا كلما تقدموا في النمو وازدادت قواهم العملية أمكننا زيادة نصيبهم من تلك الأعمال ، فيناط بهم أداء مهمات خطيرة يقومون بها من غير مراقبة . وبأكبر مقدار من الدقة .

وليكن تعويد الطفل الاهتمام بنظافته الشخصية وترتيب مواعيده وحسن هندامه مرتبطا بدافع من غريزة حب الظهور وحفظ المكانة بين الأنداد واكتساب احترام الآخرين .

وإذا ألقينا أوامرنا على أطفالنا بأسلوب العطف والرجاء واللطف ، وأحطناهم بالعناية بتنظيم الأعمال التي نود منهم تأديتها ، فإنهم يذعنون إلينا في الحال رغبة في إرضائنا ، وحباً في كسب ثقتنا بهم .

وهم بهذه الطريقة يطيعون عن طيب خاطر ، بعكس وسائل النهي والتحكم والاستبداد بميولهم التي قد ترغمهم على الطاعة فعلا ، ولكن بشيء من التبرم وبدون تحمس للواجب ، حتى إذا ما وجدوا فرصة للتقصير فعلوا ذلك من غير وجل . هذا فضلا عما لذلك من نتيجة في إضعاف إرادة الطفل وإفساد استعداداته .

وهناك التنافس الذي يمكن إثارته مع مراعاة الرفق والحكمة لنؤسس عليه الطاعة والدقة والعادات الصحية المختلفة ، فيجتهد الطفل أن يقوم بعمله على طريقة أحسن وأدق وأسرع من الأول . ويجب إزاء هذا التنافس تقدير الجهود الذي يبذله الطفل فيه والحكم عليه بمبلغ تقدمه في الإتيان لا بالنتيجة الفعلية ، لأن هذا يشجعه على المضي في التحسين .

أما دقة التنفيذ ودقة التعبير وملاحظة دقائق الأمور فلا يتعودها الطفل

— ٢٦٨ —

قائمة بذاتها ، بل يجب أن يراعيها في جميع أعماله . ولجعل العمل الذى نكلف به الطفل شائقاً ، يحسن ابن نخلع عليه غرضاً يكسبه لديه قيمة وأهمية ، فيرتاح في السعى إلى إكماله ، وتوصيله إلى الغاية المقصودة .

وفي الأعمال اليدوية والرسم واللعب التعليمى أكبر فرصة لتعويد الطفل حسن التنفيذ ، ولتحديد غرض أمامه يتوق إلى إظهار مواهبه في تحقيقه بجذوق ودقة .

ولا يفوتنا أن نذكر ما للقصص الملائمة من الأثر في نفس الطفل لما فيها من جمال المثل الأعلى للطاعة والدقة والنظام والترتيب والنظافة وغير ذلك من الصفات التى تكسو الشخصيات المحبوبة فيها ، فهذه القصص تستهوى الطفل لأن يتشبه بهؤلاء الأشخاص المحبوبين فتكسبه بذلك عظمة وقوة .

أثر العادة في الخلق

إن تكوين العادات الحسنة من أهم أغراض التربية الخلقية لأن كثير من أعمالنا يقوم عليها .

فقول الصدق والأمانة والإخلاص والعفة عادات فاضلة وأساسية في خلق الإنسان ، كذلك التقاليد الخاصة بمحيط الطفل والعرف السائد فيه : فكل ذلك قائم على العادات أيضاً .

والعرف في البيئة الاجتماعية بمثابة معاهدة خلقية تربط الطفل بغيره من الأفراد ، فيحترم مبادئهم ، ويرسخ في نفسه أن من كرامة الانتساب إليهم ، الذود عن تقاليدهم ، وعدم الخروج على مبادئها . وإن لهذا في بناء أخلاقه أثراً كبيراً .

والعادة متى تكونت تصبح آلية غير مصحوبة بكثير من التفكير والوجدان . وهى لا تكفى وحدها لتكوين الخلق القويم ، بل يجب أن تكون

مقرونة بسرعة الخاطر ودقة الشعور وقوة الإرادة . والعادات في جميع الأحوال يجب ألا تسيطر على المرء أبداً : وإلا فإنها تجمع بصاحبها وتخضع لإرادته لنفوذها فلا يستطيع أن يعدلها أو يبدلها ، ولا يمكن أن يسخرها لظروفه المتغيرة . فالإرادة يجب أن تكون فوق العادة حتى يتحكم بها المرء على عاداته القديمة أو السيئة . فيكيفها حسب مشيئته ، أو ينزعها إن حادت عن قصد السبيل .

التخلص من العادات السيئة

متى لاحظنا عادات سيئة في أطفالنا يجب ألا تتوانى في معالجتها ، ولا سيما في أول تكوينها .

ويكون ذلك بالبحث عن الباعث لها والعمل لإخماده . وبما أن للإرادة الشأن الأول في التخلص من العادات الرديئة كما سبق التنويه بذلك ، إذ أن الخطوة الأولى في هذا السبيل هي العزيمة القوية ، فقد يكون الأمر شاقاً في بدايته . ولكن مع ترويض عزم الطفل وتدريبه على الإقلاع عن تلك العادات يسهل عليه إهمالها بالتدريج . وهنا يجب أن يكون تضييمه نهائياً باتاً في نبذها . وعلى المرء ألا يلين مع الطفل قطعياً في العدول عن عزمه ، أو السماح له بالرجوع إلى عاداته القديمة ، أو الإتيان بأى عمل يناقض ما أبرمه من قبل ! لأن ذلك مما يقوض إرادته ويضعفها أمام الباعث الخبيث . ويتحتم دائماً تكوين عادات جديدة صالحة في مكان العادات القديمة ، فنوجد للطفل بواعث مستجدة ، وظروفاً صالحة تنسيه العمل القديم وتذوده عنه ، وتغرس في نفسه ميلاً صادقاً إلى العمل الطيب ، فينزِع إليه حتى يتمكن منه ؛ وهو بذلك يخلع الرداء القديم البالي من العادات ، ويرتدى منها أنفُس الثياب وأغلى الديباج . وبقدر قوة الباعث الجديد ، وميل الطفل إليه ، ومثابرتة على الترويض على

ما يدفع إليه من أعمال . يكون تغلبه على العادة القديمة وقهر باعثها ، وسهولة تكوينه عادة أفضل تحل محل العادة القديمة المكروهة .

فالطفل الصغير إذا تعود الخوف من بقاءه في مكان معين من مسكنه مثلاً ، نستطيع مساعدته لكي يتغلب على هذه العادة ، ويسبديلها عادة الإقدام بإبعاد أى باعث مخيف في هذا المكان ، وإزالة أى شرك أوقعه في الخوف منه ؛ ثم استدراجه إلى المكان وريداً بترك أشياء من الحلوى أو اللعيب التي يميل إليها ويطلبها منا ، فنرسله لآخذها من هناك حتى ينشغل فكره بها عن الآثار المخيفة ، ويندفع إلى المكان وهمه محصور في الحصول على ضالته . وهكذا يتعود عدم المبالاة بمخاوفه ، وتغرس فيه الثقة بما يحيط به . ويتعود الشجاعة والإقدام بدل الجبن والإحجام .

• وإن المربي الذي يلجأ إلى الضرب والتأنيب والعقاب المؤلم لمحاربة العادات السيئة في أطفاله ، لا يجنى إلا فساد علاقته بهم ، ونفور عواطفهم منه ، فلا ينسون إساءته إليهم بسهولة . وإن ما يبيده من قسوة ل يبقى في أذهانهم ، ولا تمحي آثاره من نفوسهم ، فيتعودون معاملة غيرهم بمثل ما ألفوا من معاملة ذلك المربي القاسي .

ومن أين يأتي لأمثال هؤلاء الأطفال بواعث رقة الطبع والصبر ولين الجانب والعطف إذا لم يرأف بهم آباؤهم حين تزل أقدامهم ، ويخطئ الأمور تقديرهم . وأولى ثم أولى هؤلاء الآباء أن يمارسوا هناة أطفالهم بحزم نافذ وبصيرة نقادة ليكملوا النقص ، ويرتقوا الفتق ، ويرأبوا الصدع . غير أن هناك مواقف يكون فيها العقاب دافعاً للطفل لأن يضاعف مجهوداته للتخلص من عاداته الرديئة . فإذا كان دائم الميل إلى لمس علب الكبريت مثلاً ونهته أمه عن ذلك وجب أن يكون النهي بلطف أولاً ، مبنياً على أسباب يفهمها الطفل ، مع إمداده بلعبة أو كتاب أو شيء نافع يقوم مقام علة الكبريت .

— ٢٧١ —



سوء التعود

فاذا لم يصغ الطفل لقولها ، فلتكرر نهيه بالشدة التى يخالطها العطف ، ثم تتركه وشأنه حتى يثوب من نفسه إلى طاعتها ، لأنها إن واصلت النهى فقد تفتت قيمته أو يؤدى بالطفل إلى العناد . فإن فشلت ولم يرتدع ، فلتلج العقاب . وهنا يجب أن تحذر الأم اتخاذ العقاب لذاته ، بل يجدر أن تفهم أنه ليس إلا وسيلة لتقوية عزيمة الطفل وتعويده عدم التهاون فى إرضائها . ويكون العقاب بحرمانه من أشياء كمالية فى حياته ، أو بإهماله إلى حين على شرط ألا يسوق ذلك إلى الضرر بصحته أو فقد رجائه من التحسن . يجب أن يؤدى العقاب إذن إلى الإصلاح والنفع ، وأن يتلو الخطأ مباشرة بعد وقوعه ، حتى يستأصله فى حينه . ومن الخطأ أن يساوم المربي طفله على الطاعة بشيء من المال أو المكافآت المادية الأخرى ، لأن هذا ينشئه على المطامع الباطلة . ولكن كما أن النجاح يعقب الجد والعمل ، كذلك يمكن استخدام الثواب نتيجة حسنة للعادات الفاضلة . وهنا تفضل أنواع الثواب التى تمكن الطفل من التمتع بمزايا معينة كالتنويه بمسلكه بالإعجاب والثناء ، وخصه بقبلة أو ابتسامة أو بإسباغ لقب محبوب عليه . وينبغى الحذر فى توقيع العقاب أو الثواب فلا نشعر الأطفال بالجور أو التحيز أو المحاباة . فقد يتبادر إلى ذهن طفل مثلاً أن أمه تحب أخاه أكثر منه فتنبه ثواباً أعظم ، أو أنها تعاقبه لأنها تمقته ولا تميل إليه ، فتتولد فى قلبه البغضاء ، ويشقى بذلك الغراس الخبيث . هذا ويجب أن يكون العقاب أو الثواب متفقاً ونفسية الطفل حسب إحساسه وميوله ، وبجانساً للغرض الذى وُقِع من أجله حتى تتحقق أراضه ؛ كما ينبغى أن يقتنع الطفل بعدالته .

الانفعالات والعواطف وتهذيبها

الانفعال هو حالة من الشعور الفطرى تلم بالنفس ، ومثله الخوف أو الغضب أو السرور . وهو فى أبسط أنواعه مرتبط بالغرائز المختلفة ، إذ أنه ينتج عن الباعث الإدراكى لها ، ويسبق الرغبة فى العمل الصادر عن الغريزة ؛ بل إنه المظهر الثابت لها والمميز بين بعضها عن بعض . فالخوف والعجب مثلاً يميزان بين غريزتى الهرب وحب الاستطلاع . وللانفعالات أثر ظاهر فى سلوك الإنسان وتصرفاته ، إذ أنها عند ما تعترى شخصاً ما ، تولد فيه قوة محرّكة عظيمة ، ونشاطاً دافعاً للعمل بطريقة معينة حسب الغريزة الخاصة بها . فالمرء إذا خاف غامر فى الإقدام على الهرب من المؤثرات المخيفة بالقفز لعلو مرتفع ، أو الجرى بسرعة مدهشة لا يستطيعها لو كان فى حالة هدوء واطمئنان . وعلى العكس من ذلك قد يشل الانفعال صاحبه فيعجز عن بذل أى مجهود جسمى أو عقلى . فالخائف مثلاً قد يجمد فى مكانه لاحرك به ، وقد تقف ذاكرته ، ويقعده تفكيره عن التصرف لتلا فى الخطر الذى يحق به . كذلك الحياء متى استولى على إنسان جعله ينكمش فى وحدة منعزلة عن غيره من الناس .

ولجميع الانفعالات أعراض خاصة تتم عنها فى المنفعل . فالغضببان يخفق قلبه ، ويحمر وجهه ، وقد ترتعد فرائضه ، ويندفع إلى العمل بدون روية أو مبالاة . ويستمر الانفعال مابقى الباعث الذى أثاره ، فإذا مازال الباعث ، زال فى الغالب الانفعال . وإن كان الانفعال عنيفاً فإنه يضر بأعصاب المرء ويزعجها ، وينهك جسمه ويرهق عقله . ولذا فلا يؤمن جانبه فى حسن التمييز وموازنة الأمور . فمتى كان الإنسان مستخراً بقوة انفعاله فإنه لا يستطيع لإصالة رأى وصواب التحليل والتفكير . وقد تشد قوة الانفعال فى نفسه ، فتخرجه

عن حد الاعتدال في مسلكه ، ويبنى تصرفاته على غير فطنة أو سبب معقول . وليس ذلك لحسب ، بل قد يدفع الانفعال الإنسان إلى ناحية الشر في العمل ويسلبه نزعة الخير . فالزهو مثلاً قد يؤدي إلى الغرور والخيلاء ؛ والغضب قد يسبب القسوة ويسوق إلى الهجو والسب . لهذا كان تهذيب الانفعالات من أول العوامل لتكوين الخلق القويم ورفع المستوى الأدبي لأعمال الإنسان . ويرمى تهذيب الانفعالات إلى الأغراض الآتية : —

(١) تحويلها إلى دوافع أساسية تحفز إلى الأعمال الصالحة وتعمل لتكوين العادات الحسنة والصفات الفاضلة . فالغضب مثلاً يمكن تحويله إلى الثورة من أجل الحق والعجب قد يشجع على حسن الاهتمام بشئون غيرنا من الناس ؛ والخوف قد يؤدي إلى رهبة الخالق وإجلاله عز وجل .

(٢) ضبط جماحها وتخفيف حدتها حتى تسيطر الإرادة والتفكير عليها . فمَن كان الإنسان أكثر تحكماً في انفعالاته ومشاعره ، قامت تصرفاته على أساس من الحكمة والتبصر . فالغضب مثلاً يجب ألا يتسع مداه إلى درجة العنف في المغالبة والتطرف في الدفاع عن النفس ، بل ينبغي إيقافه عند حد التفاهم على إقساط الحقوق بالعدل بيننا وبين معاشرينا .

(٣) تنظيمها لتكوين العواطف السامية النبيلة . ويشمل هذا التنظيم توثيق علاقاتها ببعضها ببعض ، وتوجيه نشاطها حول مدار معين للجهاد الخلقى ؛ وهذه هي الغاية العليا لتهذيب الانفعالات . فهي متى تحولت إلى عواطف أصبحت قوى فعالة للخير ، وتنبأ لأعمال المروءة وحسن الصنعة ؛ فالشفقة مثلاً تثيرها محبة الحيوان والأطفال ، والخوف عليهم من إصابتهم بأذى ، والدفاع عن سلامتهم ، والغبطة بتعديهم وتغذيتهم وإراحتهم وإبداء مظاهر الخنو عليهم ، وتهدة خواطرهم ، والتأني معهم ، واحتمال ضعفهم ، والتسامح في غلطاتهم .

ومن ثم يمكننا أن نعرف العاطفة : فهي جملة انفعالات متجمعة حول موضوع واحد . وتنشأ في نفس الطفل بعد تقدمه في النمو . إذ يكتسبها عن طريق الخبرة والتبصر . وأثرها رابض في ذهنه غير زائغ . وهى على أنواع منها عواطف المحبة وعواطف الكراهة .

ويثار في دائرة عواطف المحبة ، الفرح أو الجذل ، والشعور بجمال الشيء المحبوب ، ومشاركته في الوجدان والحنو عليه ، وحب الظهور به ، والعتاب كأن تلوم الأم طفلها الذى تحبه عند غضبها عليه لقسوته على الحيوان مثلاً والجزع وهو شعور الحنو ممزوجاً بالخوف على الشيء المحبوب . والشوق وهو الود المقترن بالألم ، والغيرة وهى حب التملك والحنو والغضب معاً . أما عواطف الكراهة فيثار في دائرتها الغل أو الاستياء وهى ينشأ من تجمع الغضب والسيطرة ، والحسد ويتكون من الخضوع وحب التملك والغضب . ويمكن أن نذكر علاوة على النوعين السابقين للعاطفة نوعاً آخر يطلق عليه عاطفة اعتبار الذات . وهى تتكون من تفاعل انفعالى الزهو والحنو . وتظهر في احترام الإنسان لنفسه ، أو شعوره بالكبرياء والغرور ، أو الاستكانة والذلة .

وتتنوع العواطف أيضاً حسب محور انفعالها والموضوع الذى نوجه نحوه . فهى حسية إذا كانت متعلقة بأشياء محسوسة كاللعب والطيور والرفاق والإخوة ، والوالدين والدمى والقطيطات الصغيرة . وهى معنوية إن كانت تدور حول معنى مجرد ، كمعاطفة حب الصدق كمعاطفة بغض والكذب .

وعواطف الطفل تكون أول نشأتها حسية ومتعلقة بذاته وحاجاته الشخصية . فهو يتعلق بمرضعه وبالأشخاص الذين يلاعبونه أو يرافقونه عند التنزه . ثم إنها بعد ذلك ترقى وتصبح بالتدريج عواطف معنوية اجتماعية ،

— ٢٧٧ —



الرفق بالحيوان

فتأخذ الحماية للأسرة والمجتمع والجنس البشرى بأجمعه . وعندما تتعدى العواطف دورها المحسوس ، تتجه نحو المثل العليا للصفات الخلقية الفاضلة كحب الشهامة والإيثار والشرف ، وكراهة الكيد والحقد والغل .

والمرحى الذى نقصد إليه من تهذيب العواطف ، هو الوصول بها إلى هذا النوع المعنوى الاجتماعى ، الذى تتغلب فيه نزعات الحب على نزوات البغض . لأن عواطف المحبة أكثر إفاضة وأسرع إجداءً من عواطف الكراهة فى السلوك العام . فمتى أحببنا الخير ازدادت فينا الحماسة لتحقيقه ، والرغبة لتنفيذه فى حياتنا العامة . أما كراهة الشر فليست إلا مبدأ نقرره حتى يصرفنا عنه ويدعونا إلى مجانبته فى أعمالنا المختلفة . وقبلنا تدفعنا تلك الكراهة المجردة إلى المساهمة فى سبيل النفع والمصلحة العامة .

والعواطف أن لم نصرفها فى نواحى الجهاد والعمل المفيد ، بقيت مشاعر قوية تجيش فى الصدر ، ولكنها لا تثمر فى الإنتاج الخلقى والإصلاح المأمول ، فالفرد منا قد يكون دقيق الحس فياضا بالعواطف الشريفة ، ولكنه متى واجه مجال البر والإحسان تهيأه ، وقعد عن التعلق بمبادئه وعمارستها ، وفاته العمل بها والإقامة على بواعثها الطيبة . ولذلك وجب أن تكون تربية العواطف بالعلم المقترن بالعمل حتى يرسخ أثرها فتصبح مبادئ ثابتة وقواعد صالحة لمسلك الإنسان . وهى كالعادة كلما تكررت بواعثها وكانت سارة مفرحة للنفس ، تمكنت منها ، وتغلبت على التفكير والإرادة . فالسعادة والسرور يبعثان فى الطفل العناية بقطته الصغيرة وإسداء عطفه عليها . ويشجعه الثناء على مداومة الاهتمام بالحيوان الأعجم الضعيف .

وأيضا كلما قويت وجدانية الفرد وحساسيته الطبيعية ، سهل تكوين عواطفه وتهذيبها . فالأطفال وجدانيون بفطرتهم لتمكن الغرائز من نفوسهم وتغلبها على قوى الفكر والإرادة . ولذلك كان من السهل أن نسير بانفعالاتهم

ومظاهر الوجدان فيهم ، فتتخذها أساساً لتكوين العواطف وتنمية الخلق .
ومن العوامل التي تساعدنا على هذا ، تزويد الأطفال بالعناصر الصالحة حتى
تكون مداراً لعواطفهم المختلفة ، ويكون ذلك بإلقاء القصص التي تطلعهم على
طبيعة بلادهم وعلاقتها ببلاد العالم الأخرى . وعن سكان الأقطار المختلفة
وتاريخ الشعوب ونشأتها وأساطيرها وحياة جهابذة الرجال وجهود البشرية
بأكملها في سبيل تعميم الخير والقضاء على عناصر الشر في العالم — ليأخذوا
بأنفسهم ، فيبدلوا أنفسهم في تحسين حال مواطنيهم ، وإسعاد البائسين . وكف
حاجة المعوزين ومؤاساتهم . ومن الممكن حضانة المعلومات التي يلتقطونها
من القصص بمرافقتهم لنا في زيارة المعاهد الخيرية والملاجئ ومؤسسات
رعاية الفقراء ، وفي رحلات أخرى متنوعة ، تفقههم على مناظر واقعية من
حياة الوطن وتاريخه وأحواله الاجتماعية . لنجعل مراكز عواطفهم من
نحوه ملبوسة ، فتكون أفعالهم في نفوسهم لا ثمرة الرحمة والاحترام والإعجاب
وتكوين عواطف الوطنية والإنسانية وحب الخير العام .

ومن القصص ما تمثل العواطف تمثيلاً يناسب عقول الأطفال ويظهر
عواقب أعمالها في صور مشوقة تبين سعادة النفوس ذات العواطف الطيبة،
وشقاء النفوس ذات العواطف الشريرة ، فتجعلهم يريدون الأولى ويهرونها ،
ويمقتون الثانية وينفرون منها .

وإذا عينا بتجميل البيئة التي يعيش فيها الطفل ، لتبهج مشاعره وتبعث في
نفسه الانشراح والسرور ، فإننا ننعش فيه عاطفة حب الجمال .
فالبيئة المكانية بما فيها من مناظر جميلة وأشكال وألوان وشذى أريج،
تسلط على وجدانه وتهذبه . وعندما يشاهد الطفل معيشة الكائنات ، ويلاحظ
ملاءمة تركيبها للوظائف التي تؤديها في حياتها ، فإنه ينظر إليها بعين روعة
فيعجب بها ويحنو عليها ، وتستلب قلبه وعنايته . ثم تطبع في نفسه صورة جميلة

لتوافق مظاهر الطبيعة ، فيأخذه العطف على بناتها من أزهار وطيور وأشجار
كان يقتطفها من قبل ويتلفها ويعاملها بقسوة بدافع من غريزة الهدم والتخريب ؛
لذا يسديه العطف على كل ذلك ، فيضن به أن يتلف أو يعامل بقسوة .

ولأنه ليشعر بلذة الفن الجميل أيضا في ترتيب مسكنه المهيأ لمعيشته مع
أسرته . وحينما ينعم النظر في تنسيق مشاهد هذا العالم ، ويرى فصائل النبات
وقطعان الحيوان راتعة معه في الحياة جنباً لجنب ، وحينما يتأمل كيف يتغلب
بعضها على بعض ، وكيف يتغلب الإنسان عليها جميعاً يستطيع أن يدرك أعمال البشر
وقدرتهم على إصلاح أحوالهم وتحسين معيشتهم في الأرض ، فتنبو فيه روح
الأخوة وحب التعاون . وهذا الروح يقوده إلى مسلك من الحكمة البليغة
في مساعدة غيره من الناس وإلى حسن التمييز بين النافع والضار من الأعمال .
وإذا ربطنا عواطف الأطفال بالانفعالات النفسية المفرحة التي يثيرها
النغم الموسيقي وألحان الأناشيد والأغاني وإلقاء منتخبات النظم المشير إلى
جمال الطبيعة وحياة البشر والتاريخ القومي ، فإن ذلك يقوى حماسه
ويخصب وجدانه .

كذلك إذا أمتعنا بصره بمختلف الصور والألوان المنسجمة ، وإذا
روحنا عن نفسه بالأنوار الهادئة الجميلة فإن ذلك كله يصور له المعاني تصويراً
يوفق بين مشاعره ، ويبعث فيه الطمأنينة والسعادة والهدوء .

ولا يخفى ما للألوان من تأثير على انفعالات الإنسان ، فإذا كانت براءة
خاطفة أو متنافرة فإنها تهيجه وتقلق شعوره . أما اللون الرائق البهي فإنه
يشعره بالسعادة والحبور والصفاء .

الفهرس

صفحة	الموضوع
٣	مقدمة الكتاب
٥	الباب الاول
٧	معنى التربية
٨	أهمية التربية للفرد والمجتمع
١٠	أنواع التربية
١١	التربية الجسمية
١١	التربية العقلية
١٢	التربية الخلقية
١٣	عوامل التربية
١٥	الباب الثاني
١٧	شروط النمو الجسماني
٢٢	ملابس الطفل
٢٣	تغذية الطفل
٢٥	اضطراب نمو الطفل بسبب سوء التغذية
٢٧	وزن الطفل
٢٩	الباب الثالث
٣١	البيئة
٣٦	الوراثة
٣٦	أقسام الوراثة
٤٠	وراثة الأمراض والعيوب الجسمية
٥٠	الباب الرابع
٥١	معنى علم النفس

— ٢٨٤ —

صفحة	الموضوع
٥٣	قائدته في تفهم نفسية الأفراد والجماعات
٥٦	دراسة الطفل وأهميتها
٥٨	الطريقة الفردية في دراسة الطفل
٥٩	الطريقة الجمعية في دراسة الطفل
٦٠	القيمة العملية لدراسة الطفل
٦٣	الباب الخامس
٦٥	العقل والجسم والصلة بينهما
٦٦	أطوار الحياة العقلية
٦٦	الصلة بين العقل والجسم
٦٨	المجموع العصبي
٧٤	الخلايا العصبية
٧٦	تربية المجموع العصبي
٧٩	الباب السادس
٨١	الغرائز
٨٧	المقاتلة والغضب
٨٩	غريزة الادخار
٩٠	غريزة حب الظهور أو السيطرة
٩٢	غريزة الخضوع
٩٣	المنافسة والمباراة
٩٥	الباب السابع
٩٧	الميول الفطرية العامة
١٠٠	الاستهواء
١٠٣	الاستهواء والتربية
١٠٨	الاجتماع والمشاركة الوجدانية
١٠٩	أثر المشاركة الوجدانية في الفرد والجماعة

الصفحة	الموضوع
١١٠	أثر المشاركة الوجدانية في التربية والتعليم
١١٢	التقليد
١١٤	فائدة التقليد للفرد والمجتمع
١١٥	التقليد والتربية
١١٩	الباب الثامن
١٢١	معنى الطفولة
١٢٢	أهميتها
١٢٤	أدوارها
١٢٤	الطفولة الأولى
١٢٨	دور البلوغ
١٣١	الباب التاسع
١٣٣	النمو الجسمي للطفولة الأولى
١٣٤	السنين
١٣٤	الحركة الجسمية
١٣٥	أهمية الحركة لنمو الجسم والعقل
١٣٦	النشاط الذاتي وأثره
١٣٨	طرق استثارته
١٣٩	الباب العاشر
١٤١	الحواس
١٤٢	حاسة البصر
١٤٥	حاسة السمع
١٤٦	حاسة الشم
١٤٧	حاسة الذوق
١٤٩	حاسة اللمس
١٤٩	تربية الحواس

الصفحة	الموضوع
١٥٣	الاحساس والادراك الحسى
١٥٥	كيف يدرك الطفل .
١٥٨	الادراك الكلى
١٥٩	خطواته .
١٦٠	قيمة اللغة فى الإدراك
١٦٣	الباب الحادى عشر .
١٦٥	اللعب .
١٦٨	أهمية اللعب للأطفال
١٧٠	لعب الأطفال .
١٧٣	تهيئة المربى .
١٧٥	الباب الثانى عشر
١٧٧	حب الاستطلاع
١٨٢	الحل والتركيب .
١٨٧	الملاحظة عند الأطفال
١٩٣	التخويف وأضرار القمع .
١٩٦	خيال الأطفال وأكاذيب الأطفال
٢٠١	الباب الثالث عشر
٢٠٣	القصص وفائدتها .
٢٠٤	صفات القصة الجيدة .
٢٠٦	طريقة إلقاء القصص .
٢٠٩	الباب الرابع عشر .
٢١١	الأطفال الشواذ
٢١١	الشذوذ العقلى .
٢١٢	اختبارات «بينيه» فى الذكاء

— ٢٨٧ —

المصنعة	الموضوع
٢١٤	الاختبارات الجمعية ■ لبلارد
٢١٥	المعانيه
٢٢٢	معاملة المعانيه
٢٢٢	طبقة البلهاء
٢٢٤	طبقة المأفونين
٢٢٥	التأخر المدرسى
٢٢٧	الشذوذ الجسمى
٢٣٩	..الشذوذ الخلقى
٢٤١	معالجة الطفل فى حالة العصيان وحدة الطبع
٢٤٧	الباب الخامس عشر
٢٤٧	الترية الخلقية
٢٤٩	معنى النمو الخلقى
٢٥٣	الإرادة
٢٥٤	منشأ الإرادة فى الطفل
٢٥٥	مميزات الإرادة عن الأطفال
٢٥٦	مظاهر قوة الإرادة
٢٥٧	ضعف الإرادة وعلاجه
٢٥٩	المثل الأعلى
٢٥٩	عوامل تكوين المثل العليا
٢٦١	نشأة الشعور الدينى وأثره
٢٦٥	العادات وأهميتها
٢٦٨	أثر العادة فى الخلق
٢٦٩	التخلص من العادات السيئة
٢٧٣	الانفعالات والعواطف وتهذيبها





